كتابُ الأغاني
الجزء السَّابع عَشَر

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل

لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مُصعب الزبيري قال: حدثني شيخ من المَكِّيين. ووجدت هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب مَرْوِيّاً عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، عن مصعب، عن شيخ من المكيين والرواية عنهما متفقة قال:

كان ابنُ سريج قد أصابته الرِّيح الخبيثة، وآلى يميناً ألَّا يُغني، ونَسَك ولزم المسجد الحرام حتى عُوفي، ثم خرج وفيه بَقيَّةٌ من العِلَّة، فأتى قبر النبيِّ ﷺ وموضع مُصَلَّاه، فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النُّسُك والقراءة، فكان أهل الغناء يأتونه مُسلّمين عليه فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حَوْلاً حتى لم يُحسَّ من علته بشيء، وأراد الشخوص إلى مكة، وبلغ ذلك سُكينَةَ بنتَ الحسين فاغتمَّت اغتماماً شديداً وضاق به ذَرْعُها، وكان أشعبُ يخدمها، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب: ويلك إن ابنَ سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حَوْلٍ ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً، ويعَزُّ ذلك عليّ، فكيف الحيلة في الاستماع منه ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جعلت فداك وأنَّى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه؟ فارفعي طمعك وامسحي بُوزَك[1] تنفك حلاوة فمك، فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه، وخَنقنه حتى كادت نفسه أن تتلف، ثم أمرت به فسُحب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً، فخرج على أسوأ الحالات، واغتمَّ أشعبُ غمّاً شديداً، وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك، فأتى منزلَ ابن سُريج ليلاً فطرقه، فقيل من هذا؟ فقال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلاً من أنفه وجبهته على لحيته، وثيابه ممزقة، وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق، ومات الدم فيها، فنظر ابن سُريج إلى منظر فظيع هاله وراعه فقال له: ما هذا ويحك؟ فقص عليه القصة، فقال ابن سريج: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، ماذا نزل بك؟ والحمد للَّه الذي سلّم نفسك، لا تعودنَّ إلى هذه أبداً، قال أشعب: فديتك، هي مولاتي ولا بدّ لي منها، ولكن هل لك

(١) البوز: كلمة غير فصيحة تعني الفم الكبير.

حيلة في أن تصير إليها وتغنيها فيكون ذلك سبباً لرضاها عني؟ قال ابن سريج: كلا واللَّه، لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته، قال أشعب: قد قطعتَ أملي، ورفعتَ رزقي، وتركتني حيران بالمدينة لا يقبلني أحد، وهي ساخطة عليّ، فاللَّهَ اللَّهَ فيَّ وأنا أنشدك اللَّه إلَّا تحمَّلت هذا الإثم فيّ. فأبى عليه، فلما رأى أشعب أن عَزْمَ ابن سريج قد تمّ على الامتناع قال في نفسه: لا حيلة لي، وهذا خارج، وإن خرج هلكت. فصرخ صرخة آذنَ أهلَ المدينة لها، ونبَّه الجيران من رقادهم وأقام الناسَ من فرشهم، ثم سكت فلم يدر الناسُ ما القصة عند خفوت الصوت بَعْد أنْ قد راعهم، فقال له ابن سريج: ويلك ما هذا؟ قال: لئن لم تَصرْ معي إليها لأصرخنْ صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحدٌ إلَّا صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي، ولأعلمنهم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان ـ يعني غلاماً كان ابنُ سُريج مشهوراً به ـ فمنعتُك وخلصت الغلام من يدلك حتى فتح الباب ومضى، ففعلت بي هذا غيظاً وتأسُّفاً، وأنك إنما أظهرت النُّسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه ـ وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه ـ فقال ابن سريج: اعْزُب أخزاك اللَّه، قال أشعب: واللَّه الذي لا إلٰه إلا هو، وإلا فما أملك صَدقةٌ وامرأتُه طالق ثلاثاً، وهو نَحير في مقام إبراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبي رِغَال إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن فلما رأى ابنُ سريج الجِدَّ منه قال لصاحبه: ويحك أما ترى ما وقعنا فيه؟ وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث. وتذمَّم ابنُ سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرجْ من منزل الرجل فقال: رجلي مع رجلك، فخرجا فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب: امض عني، قال: واللَّه لئن لم تفعل ما قلت لأصيحنّ الساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولن: إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سرّاً، وإنك كابرتَني عليه وجحدتَني وفعلت بي هذا الفعل. فوقع ابنُ سريج فيما لا حيلة له فيه فقال: أمْضي لا بارك اللَّه فيك، فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج، ففتح الباب لهما ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة، فجلسا ساعة ثم أذن لهما، فدخلا إلى سكينة فقالت: يا عُبَيد، ما هذا الجفاء؟ قال: قد علمتِ بأبي أنت ما كان مني، قالت: أجل، فتحدثا ساعة وقصّ عليها ما صنع به أشعب، فضحكت وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرتْ لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت؟ قالت: وأين؟ قال: المنزل، قالت: برئت من جَدِّي إن برحْتَ داري ثلاثاً، وبرئت من جدي إن أنت لم

تغنّ إنْ خرجتَ من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمتَ في داري شهراً إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشراً، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفَّعتُ فيك أحداً. فقال عبيد: وَاسخنةَ[١] عيناه، واذهابَ ديناه، وافضيحتاه، ثم اندفع يغني:

أستعين الذي بكفَّيه نفعي ورجائي على التي قتلتْني

[الخفيف]

الصوت المذكور آنفاً، فقالت له سكينة: فهل عندك يا عبيد من صبر؛ ثم أخرجت دُمْلجاً[٢] من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالاً فرمت به إليه ثم قالت: أقسمت عليك لَمَّا أدخلته في يدك، ففعل ذلك، ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزَّة فأقرئها مني السلام وأعلمْها أن عُبيداً عندنا، فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمرت عبيداً وأشعب فخرجا فناما في حجرة مع مواليها، فلما أصبحت هُيِّئ لهم غِذاؤهم، وأذنت لابن سريج فدخل فتغذى قريباً منها مع أشعب ومواليها وقعدت هي مع عزّة وخاصّة جواريها، فلما فرغوا من الغِذاء قالت: يا عَزَّ إن رأيتِ أن تُغنينا فافعلي، قالت: إي وعيشِك، فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي:

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تقادمَ عهدُه أقْوَى وأقفر بعد أمِّ الهيْثَمِ
إنْ كنتِ أزمعتِ الفِراقَ فإنما زُمَّتْ ركابُكُمُ بليْلٍ مُظلمِ

[الكامل]

فقال ابن سريج: أحسنتِ واللَّه يا عزّة، وأخرجتْ سُكينة الدُّمْلُج الآخر من يدها فرمته إلى عزة وقالت: صَيِّري هذا في يدك، ففعلت، ثم قالت لعُبَيْد: هات غننا، فقال: حَسْبُكِ ما سمعت البارحة، فقالت: لا بدّ أن تغنينا في كل يوم لحناً، فلما رأى ابنُ سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنّى:

قالت من أنت على ذُكْرٍ فقلْتُ لها أنا الذي ساقه للحَيْن[٣] مقْدارُ
قد حانَ منك ـ فلا تَبْعُدْ بك الدارُ ـ بَيْنٌ وفي البَيْن للمتبول[٤] إضْرارُ

[البسيط]

ثم قالت لعَزَّة في اليوم الثاني: غَنّي، فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد، ولابن محرز فيه لحن، ولحن عزة أحسنهما:

---

(١) واسخنة عيناه: كلمة تقال عند المصيبة وهي ضد قرارة العين.
(٢) الدُملُج: السِّوار. (٣) الحَيْن: الموت والهلاك.
(٤) المتبول: الذي تُبل أي ذهب الحبُّ بعقله.

وقـرَّتْ بـهـا عـيـنـي وقـد كـنـتُ قـبـلـهـا كـثـيـرَ الـبـكـاء مُـشـفـقـاً مـن صُـدودِهَـا
وبُـشْـرة خَـوْدٌ مـثـلُ تِـمـثـال بِـيـعَـةٍ تـظـلُّ الـنـصـارى حـولـه يـومَ عِـيـدِهَـا

[الطويل]

قال ابن سريج: واللَّه ما سمعتُ مثل هذا قطّ حُسْناً ولا طيباً، ثم قالت لابن سريج: هات، فاندفع يغني:

أرقْـتُ فـلـم أنـمْ طَـربَـا وبـتُّ مُـسَـهَّـداً نَـصِـبَـا
لِـطَـيْـفِ أحَـبِّ خَـلْـق الـلَّـه إنـسـانـاً وإنْ غَـضـبَـا
فـلـم أردُدْ مـقـالـتـهـا ولـم أكُ عـاتـبـاً عَـتَـبَـا[1]
ولـكـنْ صَـرَّمـت حـبـلـي فـأمـسـى الـحـبـلُ مُـنـقَـضـبَـا[2]

[مجزوء الوافر]

فقالت سكينة: قد علمتُ ما أردتَ بهذا، وقد شفَّعْناك ولم نردّك، وإنما كانت يمين على ثلاثة أيام، فاذهب في حفظ اللَّه وكلاءته، ثم قالت لعزة: إذا شئت، ودعتْ لها بُحلَّة ولابن سريج بمثلها. فانصرفت عزة وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته وانصرف، فمضى من وجهه إلى مكة راجعاً.

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها:

صـوت

حُـيـيـتَ مـن طَـلَـلٍ تـقـادَم عـهـدُه أقـوى وأقـفـر بـعـد أم الـهَـيْـثَـم

[الكامل]

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، والغناء لعزة الميلاء وقد كتب ذلك في أول هذه القصيدة وسائر ما يغنى فيها. ومنها.

صـوت

أرقـتُ فـلـم أنـمْ طـربَـا وبـتُّ مـسـهـداً نـصـبَـا

(١) العَتَب: الفساد والأمر الكريه.
(٢) المنقضِب: المنقطع.

لـــطـــيـــفِ أحـــبِّ خـــلـــق الـــلَّـــه إنـــســـانـــاً وإن غَـــضـــبَـــا
إلـــى نـــفـــســـي وأوجـــهـــهـــم وإن أمـــســـى قـــد احـــتـــجـــبَـــا
وصَـــرَّم حـــبـــلـــنـــا ظُـــلـــمـــاً لـــبـــلْـــغـــة كـــاشـــحٍ[1] كَـــذَبَـــا

[مجزوء الوافر]

عروضه من الوافر، الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر. ومنها قوله:

صـــوت

لِبشرة أسرى الطيف والخَبْتُ دونها وما بيننا من حَزْنِ أرض وبِيدِهَا
وقرَّت بها عيني وقد كنت قبلها كثيراً بكائي مُشفقاً من صُدودِهَا
وبشْرَةُ خَود مثُل تمثال بِيعَة تظلُّ النصارى حولها يوم عيدِهَا

[الطويل]

(١) الكاشح: هو مضمِر العَداوة.

خالد بن الحارث المخزومي وبشرة

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسبها إلى أحد، ولابن محرز في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيها لعَزّة الميلاء خفيف رمل.

وبَشْرة هذه التي ذكرها الحارث بن خالد أَمَةٌ كانت لعائشة بنت طلحة، وكان الحارث يكنى عن ذكر عائشة بها، وله فيها أشعار كثيرة منها مما يغنى فيه قوله:

صـوت

يـا ربـع بـشْـرة بـالـجَـنـاب تـكـلَّـم ... وأبِـنْ لـنـا خـبـراً ولا تَـسـتَـعْـجِـم
مـا لـي رأيـتُـكَ بـعـد أهـلـك مـوحـشـاً ... خَـلَـقـاً كـحَـوْض الـبـاقـر الـمـتـهـدِّم
تـسـقـي الـضـجـيـعَ إذا الـنـجـومُ تَـغـوَّرت ... طـوْعُ الـضـجـيـع[1] وغـايـةُ الـمـتـوسِّـم
قُـبُّ الـبـطـون[2] أوانـسٌ شـبْـهُ الـدُمَـى ... يَـخـلِـطـنَ ذاك بـعـفَّـة وتـكـرُّم

[الكامل]

عروضه من الكامل، والشعر للحارث بن خالد، والغناء لمعبد ولحنه من خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو، ومنها.

صـوت

يـا ربـع بـشـرة إنْ أضـرَّ بـك الـبِـلَـى ... فـلـقـد عَـهـدْتـك آهـلاً مَـعـمـورَا
عَـقَـبَ الـرَّذاذُ خِـلافـه فـكـأنـمـا ... بَـسـط الـشـواطِـبُ بـيـنـهـنَّ حَـصـيـرَا

[الكامل]

غناه ابن سُريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لحن لمالك

(١) الضجيع: المُضاجِع.
(٢) قُبّ البطون: ضامرو البطون من غير هزال.

وقيل: بل هو لابن محرز وعروضه من الكامل.

وقوله عقب الرذاذ خلافه: يقول: جاء الرذاذ بعده، ومنه يقال: عقب لفلان غنى بعد فقر، وعقب الرجل أباه إذا قام بعده مقامه، وعواقب الأمور مأخوذة منه واحدتها عاقبة. والرذاذ: صغار المطر، وقوله خلافه أي بعده قال متمم بن نُويرة:

وفَقدي بني أمٍّ تداعَوْا فلم أكن خِلافَهمُ لأستكين فأضْرعا

[الطويل]

أي بعدهم. والشواطب: النساء اللواتي يَشْطُبن لِحَاء السَّعَف يعملن منه الحُصر، ومنه السيف المُشَطَّب، والشَّطِيبة: الشُّعْبَة من الشي، ويقال بعثنا إلى فلان شطيبة من خيلنا أي قطعة.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال:

كانت مغنية تختلف إلى صديق لها، فأتته يوماً فوجدته مريضاً لا حراك به، فدعت بالعود وغنت:

يا ربع بشرة إن أضرَّ بك البِلَى فلقد عهدتك آهلاً معمورَا

[الكامل]

ومما يغنّى فيه من هذه الأبيات الرائية.

صوت

أعرفْت أطلال الرسوم تنكَّرتْ بعدي وغُيِّرَ آيهُنَّ دُثُورَا
وتبدَّلتْ بعد الأنيس بأهلها عُفْرَ البواقر[1] يَرْتَعين وُعورَا
من كلّ مُصْبيَة الحديث ترى لها كَفَلاً كرابية الكثيب وَثيرَا

[الكامل]

الأطلال: ما شخص من آثار الديار. والرسوم: البقايا من الديار وهي دون الأطلال وأخْفَى منها، وتنكرت: تغيرت. والداثر: الدارس، والعُفْر: الظباء واحدها أعفر، والوعور: المواضع التي لا أنيس فيها، والرابية: الأرض المُشرفة وهي دون الجبل، والكثيب: القطعة العالية المرتفعة من الرمل جمعها كُثُب، والوثير: التام المرتفع يقال فراش وثير إذا كان مرتفعاً عن الأرض. لإسحاق الموصلي في البيتين الأولين ثاني ثقيل بالبنصر، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى،

(١) البواقر: مفردها البقرة للمؤنث والمذكر.

ولطويس فيهما خفيف ثقيل، وقيل: إنه ليس له، ولابن سريج في الثالث ثم الأول خفيف رمل، وقيل: بل هو لخُلَيدة المكّية، وفي البيت الأول والثاني لمالك رملُ بالوسطى، وقيل: الرمل لطويس، وخفيف الثقيل لمالك، ولمعبد في هذا الصوت لحنان: أحدهما ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، والآخر خفيف ثقيل أول.

ومنها:

صـوت

يـا دارُ حـسَّـرهـا الـبِـلـى تَـحـسـيـرا وسفَـتْ عـلـيـهـا الـريـح بـعـدك مُـورَا[1]

دقّ الـتـرابُ بـجـنـبـهـا فـمُـخَـيِّـمٌ بِـعِـراصـهـا[2] ومُـسَـيَّـرٌ تـسـيـيـرَا

[الكامل]

غنى في هذين البيتين ابن مِسْجَح خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى، وللغريض في:

أعـرفـت أطـلال الـرسـوم

وما بعده ثقيل أول بالبنصر، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

حسَّرها: أذهب معالمها، ومنه حَسَر الرجلُ عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفهما، وحسر الصَّلَعُ شَعر الرأس إذا حَصَّه. والمُور: التراب، والمُخيم: المقيم.

ومنها صوت أوله:

مـن كـلّ مُـصـبـيـة الـحـديـث تـرى لـهـا كَـفَـلاً كَـرابـيَـةِ الـكـثـيـب وثـيـرَا

يـفـتِـنَّ ـ لا يَـأْلُـونَ ـ كـلَّ مُـغـفَّـل يـمـلأنَـه بـحـديـثـهـنَّ سُـرورَا

[الكامل]

ومنها:

صـوت

دعْ ذا ولـكـن هـل رأيـت ظـعـائـنـاً قَـرَّبْـنَ أجـمـالاً لـهـنّ قُـحُـورَا

(١) المُور: الرياح المترددة في عرض.

(٢) العِراص: مفردها العَرصة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بِنَاء.

قـرَّبْـنَ كـلَّ مُـخَـيَّـس مُـتَـحَـمِّـلٍ بُـزُلاً تُـشَـبـه هـامَـهُـنَّ قُـبُـورَا

[الكامل]

القُحور واحدها قَحر وهو المُسنّ. والمُخَيَّس: المحبوس للرِّحلة. والمتحمل: معتاد الحَمْل.

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه، ولابن جامع في:

دع ذا ولـكـن هـل رأيـت ظـعـائـنـا

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها:

صـوت

إنْ يُـمْـس حـبـلُـكِ بـعـد طـول تَـواصُـل خَـلَـقـاً ويُـصْـبـحْ بـيـتُـكُـمْ مَـهـجـورَا

فـلـقـد أرانـي والـجـديـدُ إلـى بِـلًـى زَمـنـاً بـوصـلـك راضـيـاً مَـسـرورَا

جَـذِلاً بـمـا لـي عـنـدكـمْ لا أبـتـغـي لـلـنـفـس بـعـدك خُـلَّـة وعَـشـيـرَا

كـنـتِ الـهـوى وأعـزَّ مـن وَطِـئ الـحَـصـا عـنـدي وكـنـتُ بـذاك مـنـك جَـديـرَا

[الكامل]

لإبراهيم الموصلي ويحيى المكي في هذه الأبيات لحنان كلاهما من الثقيل الثاني، فلحن إبراهيم بالوسطى، ولحن يحيى بالبنصر، ولإسحاق فيهما رمل، وقيل: إن لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال:

حدثني رجل من أهل البصرة قال: اشتريت جارية مغنية، فأقامت عندي زمناً وهَوِيَتْنِي، وكرهتُ أن يراها أهلي فعرضْتُها للبيع، فجزعتْ وقالت: لقد اشتريتني وأنا لك كارهة، وإنك لتبيعني وأنا لذلك كارهة. فقال لي أخٌ لي: أرنيها، فقلت: هي عند فلانة فانظر إليها، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر، فلما اعترضها وفرغ من ذلك غنّت:

إنْ يُـمْـس حـبـلُـك بـعـد طـول تـواصـل خَـلَـقـاً ويـصـبـحْ بـيـتـكـمْ مـهـجـورَا

فـلـقـد أرانـي والـجـديـد إلـى بِـلـىً زمـنـاً بـوصـلـك راضـيـاً مـسـرورَا

[الكامل]

ثم بكت وضربت بالعود الأرض فكسرته، فخيرتها بين أن أعتقها أو أبيعها ممن

شاءت، فاختارت البيع وطلبت موضعاً ترضاه حتى أصابته فصيّرتها إليه.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني إبراهيم بن عليّ بن هشام قال:

حدثتني جارية يقال لها طباع جارية محمد بن سهل بن فَرْخُنَّد قالت: غنيت إسحاق في لحنه.

أعـرفـت أطـلال الـرسـوم تـنـكـرت بـعـدي . . . . . .

فأنكر عليّ من مَقاطعه شيئاً وقال: ممن أخذته؟ فقلت: من مُخارق، فقال لي: ليس كما تحدث الخرَّاز، بل هو كما أقول لك. ورده عليّ. فهو يقال كما يقول مخارق وكما غيَّره إسحاق.

صـوت

أخـشـى عـلـى أربَـدَ الـحـتـوفَ ولا أرهـبُ نَـوْء الـسِّـمـاك وَالأسَـدِ
فـجَّـعَـنـي الـرعـدُ والـصـواعـق بـالـفـا رس يـوم الـكـريـهـة الـنَّـجُـدِ
يـا عـيـن هَـلَّا بَـكـيـتِ أرْبَـدَ إذْ قُـمـنـا وقـام الـخـصـومُ فـي كَـبـدِ
إنْ يَـشْـغَـبـوا لا يُـبـالِ شَـغْـبَـهُـمُ أو يَـقْـصـدُوا فـي الـخـصـام يَـقـتـصِـدِ

[المنسرح]

عروضه من المنسرح. النَّجُد: البطل ذو النَّجْدة، وقال الأصمعي في النجد مثل ذلك وقال: النَّجد بكسر الجيم: الذي قد عَرِق جدّاً. والكبَد: الثبات والقيام.

الشعر للَبيد بن ربيعة، والغناء للأبجر رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق، أوله الثالث والرابع ثم الأول والثاني وذكرتْ بَذلُ أن في الثالث والرابع لحناً لحسين بن محرز.

أخبار لبيد في مرثية أخيه

وقد تقدم من خبر لبيد ونسبه ما فيه كفاية.

يرثي أخاه لأمه أربدَ بنَ قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب، وكانت أصابته صاعقة فأحرقته.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم، عن عمر بن قتادة قال:

قدم على رسول اللَّه ﷺ وفدُ بني عامر بن صَعْصعة، فيهم عامر بن الطفيل وأربدُ بن قيس وجبَّارُ بنُ سُلْمى بن مالك بن جعفر بن كلاب، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم، فهَمَّ عامر بن الطفيل بالغدر برسول اللَّه ﷺ، وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: واللَّه لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العربُ عقبى فأتبع أنا عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد: إذا أقبلنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلكَ فاعْلُه أنت بالسيف، فلما قدموا على رسول اللَّه ﷺ قال له عامر: يا محمد خَالني قال: «**لا واللَّه حتى تؤمن باللَّه وحده**»، قال: يا محمد خالني. وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمرَه، فجعل أربد لا يُحير شيئاً، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالني، قال: لا واللَّه حتى تؤمن باللَّه وحده لا تشرك به، فلما أبى عليه رسول اللَّه قال: أما واللَّه لأملأنها عليك خيلاً حُمْراً ورجالاً سُمْراً، فلما ولَّى قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللّهم اكْفني عامر بن الطفيل**». فلما خرجوا من عند رسول اللَّه ﷺ قال عامر لأربد: ويلك يا أربد، أين ما كنتُ أوصيتك به؟ واللَّه ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وايم اللَّه لا أخافك بعد اليوم أبداً، قال: لا تعجل عليّ لا أبالك، واللَّه ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟ فقال عامر:

٤ بعث الرسول بما ترى فكأنما ... عَمْداً أشُدُّ على المَقانب غارا

ولقد وردْن بنا المدينةَ شُزَّباً ... ولقد قتلْن بجَوِّها الأنصارا

[الكامل]

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث اللَّه على عامر الطاعون في عنقه فقتله اللَّه وإنه لفي بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر أغُدَّة كغدة البَكْر وموت في بيت امرأة من بني سلول؟ فمات، ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ فقال: لقد دعانا إلى عبادة شيء لوَدِدْت أنه عندي الآن فأرميه بنبلي هذه حتى أقتله، فخرج بعدَ مَقالته هذه بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل اللَّه عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه.

نسخت من كتاب يحيى بن خازم قال: حدثنا عليّ بن صالح صاحب المُصَلَّى قال: حدثنا ابن دأب قال:

كان أبو بَرَاء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلة، فبعث لبيدَ بنَ ربيعة إلى رسول اللَّه ﷺ، وأهدى له رواحل، فقدم بها لبيد، وأمره أن يستشفيه من وجعه، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**لو قبلتُ من مُشرك لقبلتُ منه**». وتناول من الأرض مَدرَة فتفل عليها ثم أعطاها لبيداً وقال: دُفْها له[1] بماء ثم اسقه إياه، وأقام عندهم لبيد يقرأ القرآن واكتَتَب منهم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]، فخرج بها، ولقيه أخوه أربد على ليلة من الحَيّ فقال له: انزل، فنزل، فقال: يا أخي أخبرني عن هذا الرجل فإنه لم يأته رجل أوثق عندي فيه قولاً منك، فقال: يا أخي ما رأيت مثله، وجعل يذكر صدقه وبِرَّه وحسن حديثه، فقال له: هل معك من قوله شيء؟ قال: نعم فأخرجها له فقرأها عليه، فلما فرغ منها قال له أربد: لوددت أني ألقى الرحمن بتلك البُرقَة[2] فإن لم أضربه بسيفي فعليَّ وعليَّ. قال: ونشأت سحابة وقد خَلَّيَا عن بعيريهما، فخرج أربد يريد البعيرين، حتى إذا كان عند تلك البُرقة غشيته صاعقة فمات، وقدم لبيد على أبي بَرَاء فأخبره خبر رسول اللَّه ﷺ وأمْرَه، قال: فما فعل فيما استشفيته؟ قال: تاللَّه ما رأيت منه شيئاً كان أضعف عندي من ذلك؛ وأخبره بالخبر، قال: فأين هي؟ قال: ها هي ذه معي، قال: هاتها، فأخرجها له فدافها ثم شربها فبرأ.

قال ابن دأب: فحدثني حنظلةُ بن قُطْرُب بن إياد أحدُ بني أبي بكر بن كلاب قال:

---

(١) دُفها له: امزجها له وامزقها.

(٢) البُرقة: غِلَظٌ فيه حجارة ورمل وطين.

لما أصاب عامرَ بنَ الطفيل ما أصابه بعثت بنو عامر لبيداً وقالوا له: اقدَمْ صلنا على هذا الرجل فاعلمْ لنا عِلْمه، فقدم عليه فأسلم، وأصابه وجع هناك شديد من حُمّى، فرجع إلى قومه بفَضْل تلك الحُمَّى، وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار، فقال سُرَاقة بن عوف بن الأحوص:

لعمرُ لبيد إنه لابْنُ أمِّه ... ولكنْ أبوه مسَّه قِدَمُ العَهْدِ
دفعناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فحْلاً فوقه قَزَعُ اللبْدِ[1]
فعالجت حُمَّاه وداءَ ضلوعه ... وترنيقَ عَيشٍ مَسَّه طَرَفُ الجُهْدِ
وجئت بدِينِ الصابئين[2] تَشوبه ... بألواح نَجْد بُعْدَ عَهْدك من عهدِ
وإن لنا داراً زعمتَ ومَرْجعاً ... وَثَمَّ إيابُ القَارظَيْنِ[3] وذي البُرْدِ

[الطويل]

قال فكان عمر يقول: وايم اللَّه إياب القارظين وذي البُرْد.

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي، وحبيبُ بن نصر المهلبي وغيرهما قالوا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثتني ظَمياءُ بنت عبد العزيز بن مَوَلة قالت: حدثني أبي عن جدي مَوَلة بن كُنَيف.

أن عامِر بن الطفيل أتى رسول اللَّه ﷺ فوسَّده وسادة ثم قال: أسلم يا عامر، قال: عَلى أنَّ لي الوَبر[4] ولك المَدَر[5]، فأبى رسول اللَّه ﷺ، فقام عامر مغضباً فولَّى وقال: لأملأنَّها عليك خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً، ولأربطنَّ بكل نخلة فرساً. فسألته عائشة: من هذا؟ فقال: هذا عامر بن الطفيل، والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر معه لزاحموا قريشاً على منابرهم، قال: ثم دعا رسول اللَّه ﷺ وقال: «**يا قوم، إذا دعوت فأمِّنُوا**»، فقال: اللَّهم اهْد بني عامر واشْغَل عني عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وأنَّى شئت، فخرج فأخذته غُدة[6] مثل غُدّة البَكْر في بيتِ سَلُولية. فجعل يَثب وينزو في السماء ويقول: يا موت ابْرُزْ لي، ويقول: غُدَّة مثل غدة البكر وموت في بيت سلولية، ومات.

---

(١) اللَّبْد: ما يجعل على ظهر الفرس، السرج.
(٢) الصابئون: الخارجون من دين إلى آخر.
(٣) القارظان: الرحلان الخارجان في طلب القرظ يجتنيانه فلم يعودا.
(٤) الوَبَر: هو وبر الماشية وأراد هنا أهل البادية.
(٥) المَدَر: هو الحجر وأراد هنا أهل المدن.
(٦) الغُدة: هي كل عقدة في الجسم أطاف بها شحم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة قال: أخبرني أسعد بن عمرو الجُعْفي قال: أخبرني خالد بن قَطَن الحارثي قال:

لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأة من بني سلول كأنها نَخْلة حاسراً وهي تقول:

أنعى عامر بن الطفيل وأبقى ... وهل يموت عامر من حقّا

[الرجز]

وما أرى عامر مات حَقّا

قال: فما رثيَ يوم أكثر باكياً وباكية وخمشَ وجوه وشقَّ جيوب من ذلك اليوم.

وقال أو عبيدة عن الحرْمازي قال:

لما مات عامر بن الطفيل بعد مُنْصَرَفه عن النبي ﷺ نصبت عليه بنو عامر أنْصاباً مِيلاً في ميل حِمًى على قبره، لا يُنْشَر فيه ماشيةٌ ولا يُرْعى ولا يسلكه راكب ولا ماش، وكان جَبَّار بن سُلْمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حمًى لقبر عامر بن الطفيل، فقال: ضيقتم على أبي عليّ، إن أبا عليّ بَانَ من الناس بثلاث: كان لا يَعطَش حتى يعطش الجمل، وكان لا يَضلّ حتى يضلّ النَّجْم، وكان لا يَجْبُن حتى يجبن السَّيل.

قال أبو عبيدة: وقدم عامر على النبي ﷺ وهو ابن بضْع وثمانين سنة.

ومما رثى به لبيد أخاه أربد قوله:

ألا ذهبَ المُحافظُ والمُحامي ... ودافعُ ضَيْمنَا يومَ الخصام

وأيقنْتُ التفرُّقَ يوم قالوا ... نُقَسِّم مالَ أربدَ بالسِّهام[1]

وأربدُ فارسُ الهَيْجَا إذا ما ... تقعَّرتِ المَشَاجر[2] بالفِئام[3]

[الوافر]

وهي طويلة يقول فيها:

فودِّعْ بالسلام أبا حُزَيز ... وقلَّ وداعُ أربدَ بالسلام

[الوافر]

(١) السِّهَام: مفردها سَهْم، وهو قِدْح الميسر يقارع به.

(٢) المشاجِر: مفردها مِشجر وهو عود الهودج.

(٣) الفِئام: الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظِهِ/ وِطاء الهودج جمعها فؤُومُ.

قال: وكانت كنية أربد أبا حزَّاز، فصغره ضرورة، وقال فيه أيضاً:

ما إنْ تعدَّى المنونُ من أحَدِ ... لا والدٍ مُشفقٍ ولا وَلَدِ
أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نَوْء السِّمَاك والأسدِ
فجَّعني الرعْدُ والصواعقُ بالـ ... ـفارس يوم الكريهة النَّجُدِ
ألحاربِ الجابر الحَريبَ[1] إذا ... جاء بَكيئاً[2] وإنْ يَعُدْ يَعُدِ
يَعْفو على الجَهْد والسؤال كما ... أنزِل صَوبُ الربيع ذي الرَّصَدِ
لم تبلغ العين كلّ نَهْمَتها[3] ... ليلة تمسي الجياد كالقِدَدِ[4]
كل بني حُرَّة مصيرهُمُ ... قُلٌّ وإن أكثرتْ من العَددِ
إنْ يغبطوا يهبطوا وأن أمروا ... يوماً يصيروا للهلْك والنَّفَدِ[5]
يا عينُ هلَّا بكيت أربدَ إذْ ... قُمْنَا وقام الخصومُ في كَبَدِ
وعينُ هلَّا بكيت أربد إذ ... ألوتْ رياح الشتاء بالعُضُدِ[6]
وأصبحَتْ لاقحاً مصرَّمةً ... حين تقضَّتْ غوابرُ المُدَدِ
إنْ يَشْغبوا لا يُبَالِ شَغْبَهمُ ... أو يقصدوا في الخصام يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ كريمٌ وفي حلاوته ... مُرٌّ، لطيف الأحشاء والكَبِدِ

[المنسرح]

نسخت من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن علي بن مجاهد، قال: أُنشِدَ أبو بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ قولَ لبيد في أخيه أربد:

لعمري لئن كان المُخبِّر صادقاً ... لقد رُزِئتْ في حادث الدهر جَعفرُ
أخٌ ليَ أمَّا كلُّ شيء سألته ... فيُعْطى وأمَّا كُل ذنب فيَغفِرُ

[الطويل]

فقال أبو بكر رضوان اللَّه عليه: ذلك رسول اللَّه لا أربد بن قيس.

وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطول الخبر بذكرها. ومما رثاه به وفيه غناء قوله:

---

(١) الحريب: يقال سَلَب ماله فهو حريب ومحروب جمعها حربى وحُرَباء.
(٢) البكيء: ذو القلّة الذي لم يصب حاجته.
(٣) النَّهمة: الشهوة.
(٤) القِدَد: مفردها القدة وهي الجماعة المتفرقة الأهواء.
(٥) النَّفَد: فناء المال والزَّاد.
(٦) العُضُد: مفردها العضيد، وهي النَّخلَة القوية الجذع.

صـوت

بَـلـيـنَـا ومـا تَـبْـلـى الـنـجـومُ الـطـوالـعُ ... وتـبـقـى الـجـبـال بـعـدنـا والـمَـصـانـعُ
وقـد كـنـتُ فـي أكـنـاف دارِ مَـضَـنَّـةٍ ... فـفـارقـنـي جـارٌ بـأربـدَ نـافـعُ
فـلا جَـزَعٌ إنْ فـرَّقَ الـدهـرُ بـيـنـنـا ... فـكـلُّ فـتـى يـومـاً بـه الـدهـرُ فـاجـعُ
ومـا الـمـرء إلَّا كـالـشـهـاب وضَـوئـه ... يَـحـورُ[1] رمـاداً بـعـد إذْ هُـو سـاطـعُ
ألـيـس ورائـي إنْ تـراخـتْ مَـنـيّـتـي ... لـزومُ الـعـصـا تُـحْـنَـى عـلـيـهـا الأصـابـعُ
أخـبِّـر أخـبـارَ الـقـرون الـتـي مـضـتْ ... أدِبُّ كـأنـي كـلـمـا قـمـتُ راكـعُ
فـأصـبـحـتُ مـثـل الـسـيـف أخـلَـق جـفَـنـه ... تـقـادمُ عَـهْـد الـقَـيْـن والـنَّـصْـلُ قـاطـعُ
فـلا تَـبْـعـدَنْ إنَّ الـمـنـيَّـةَ مـوعـدٌ ... عـلـيـنـا، فَـدَانٍ لـلـطـلـوع وطـالـعُ
أعـاذِلُ مـا يُـدريـك إلَّا تَـظَـنـيًّـا ... إذا رَحَـلَ الـسُّـفَـارُ مَـنْ هـو راجـعُ
أتـجـزعُ مـمـا أحـدث الـدهـرُ لـلـفـتـى ... وأيُّ كـريـم لـم تُـصـبْـهُ الـقـوارعُ[2]

[الطويل]

غنّى في الأول والخامس والسادس والسابع حُنَيْنٌ الحِيريّ خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وحماد، وفيها ثقيل أوّل بالوسطى يقال: إنه لحُنين أيضاً، ويقال: إنه لأحمد النَّصْبيّ ويقال: إنه منحول.

ومما رثاه به قوله وهي من مختار مراثيه:

طـرب الـفـؤادُ ولـيـتـه لـم يَـطـربِ ... وعَـنَـاهُ ذكـرى خُـلَّـة لـم تُـصْـقِـبِ[3]
سَـفَـهـاً ولـو أنـي أطـعـت عـواذلـي ... فـيـمـا يُـشِـرْن بـه بـسـفـح الـمِـذنَـبِ
لـزجـرتُ قـلْـبـاً لا يَـرِيـعُ[4] لـزاجـر ... إنَّ الـغـويَّ إذا نُـهـى لـم يُـعْـتِـبِ
فـتـعـزَّ عـن هـذا وقُـلْ فـي غـيـره ... واذكُـرْ شـمـائـلَ مـن أخـيـك الـمُـنْـجِـبِ[5]
يـا أربـدَ الـخـيـر الـكـريـمَ جُـدودُه ... أفـردْتـنـي أمـشـي بـقـرن أعْـضَـبِ[6]
إن الـرزيَّـة[7] لا رزيَّـةَ مـثـلُـهـا ... فُـقْـدان كُـلّ أخ كـضَـوْء الـكـوكـبِ
ذهـب الـذيـن يُـعـاش فـي أكـنـافـهـم ... وبـقـيـت فـي خَـلْـفٍ كـجِـلْـد الأجـربِ

(١) يحور: يعود، يرجع.
(٢) القوارع: مفردها القارعة وهي المصيبة.
(٣) لم تُصْقب: لم تقرب.
(٤) يريع: يذل وينقاد.
(٥) المُنجِب: الحسيب المختار.
(٦) أعضب: مقطوع.
(٧) الرَّزِية: الرزيئة: المصيبة.

يتأكّلون مَغالةً وخيانةً ويعاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ
ولقد أراني تارة من جعفر في مثْل غيث الوابل المُتَحَلّبِ
من كلّ كهْل كالسِّنان وسيِّد صعْب المقادَة كالفنيق[1] المُصْعِبِ
من معشرٍ سَنَّتْ لهمْ آباؤهمْ والعزّ قد يأتي بغير تطلُّبِ
فَبَرى عظامي بعد لحمي فقدُهُم والدهرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ

[الكامل]

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا أبو السائب سالم بن جنادة قال: حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه.

عن عائشة أنها كانت تُنشد بيت لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهمْ وبقيتُ في خَلْف كجلد الأجربِ

[الكامل]

ثم تقول: رحم اللَّه لبيداً، كيف لو أدرك من نحن بين ظَهْرَانيهم؟ قال عروة: رحم اللَّه عائشة، فكيف بها لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم؟ قال هشام: رحم اللَّه أبي، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال وكيع رحم اللَّه هشاماً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ قال أبو السائب: رحم اللَّه وكيعاً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ قال أبو جعفر: رحم اللَّه أبا السائب، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ قال أبو الفرج الأصفهاني: ونحن نقول: اللَّه المستعان، فالقصة أعظم من أن تُوصف.

صوت

فإن كان حقّاً ما زعمتِ أتيتُه إليك فقام النائحاتُ على قَبْري
وإن كان ما بُلِّغتِه كان باطلاً فلا متِّ حتى تَسهري الليلَ من ذكْري

[الطويل]

عروضه من الطويل، والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فَوْز، وخبرها يأتي هاهنا، والغناء لبَذل خفيف رمل بالبنصر، وفيه لبُنَان بن عمرو ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لحن لابن جامع من كتاب إبراهيم، وزعم أبو العباس أن لمعبد اليقطيني فيه خفيف رمل، وذكر حبش أن لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى، وذكر عليّ بن يحيى المنجم أنه لعُليَّة، وقيل: إن خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زُنْقُطة والصحيح أنه لبَذْل.

(١) الفنيق: الفحل المُكرم لا يركب ولا يؤذى لكرامته على أهله. جمعها الفُنُق.

ذكر خبر العباس بن الأحنف وفوز

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن إسحاق الخراساني قال: حدثنا محمد بن النضر قال:

كانت فوز جارية لمحمد بن منصور، وكان يلقّب فتى العَسْكر، ثم اشتراها بعضُ شباب البرامكة فدبَّرَها[١] وحجّ بها، فلما قدمت قال العباس:

ألا قَدْ قَدِمَتْ فَوْزُ ... فَقَرَّت عَيْنُ عَبَّاسِ
لِمَنْ بَشَّرني البُشْرى ... على العينين والرّاسِ
أيا ديباجةَ الحُسْن ... ويا رامشةَ الآسِ[٢]
يلومونـي على الحُبّ ... وما بالحُبّ من باسِ

[الهزج]

أخبرني محمد قال: حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباريّ وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب قال: حدثني عليّ بن محمد النوفلي قال:

كانت فوز لرجل جليل من أسباب السلطان، وكان العباس يتشبه في أشعاره وذِكْرِ فوز بما قاله أبو العتاهية في عتبة، فحج بها مولاها فقال العباس:

يا ربّ رُدَّ علينا ... من كان أُنْساً وزَيْنَا
من لا نُسَرُّ بعيش ... حتى يكون لَدَيْنَا
يا من أتاح لقلبي ... هواه شُؤماً وحَيْنَا
ما زلتُ مذ غبتَ عني ... من أسخنِ الناس عَيْنَا
ما كان حَجُّك عندي ... إلَّا بلاءً عَلَيْنَا

[المجتث]

فلما قدمت قال:

(١) دبَّرها: أي جعلها مدَبَّرة: وهي الأمة التي تعتق بموت سيدها.
(٢) رامِشَة الآس: مورقة الريحان.

ألا قـــد قَـــدِمَـــتْ فَـــوزُ فـــقـــرَّتْ عـــيـــنُ عـــبَّـــاسِ

[الهزج]

وذكر الأبيات المتقدمة.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال:

حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً والعباسُ بن الأحنف بين يديه، فقال العباس للفضل: دعني أعابث الأصمعي، قال: لا تفعل فليس المُزاح من شأنه، قال: إن رأى الأمير أن يفعل، قال: ذاك إليك، قال: فلما دخلتُ قال لي العباس:

يا أبا سعيد، من الذي يقول:

إذا أحـــبـــبـــت أن تـــصـــنـــ ـعَ شـيـئـاً يُـعـجـب الـنـاسَـا
فـــصـــوِّر هـــاهـــنـــا فـــوْزاً وصـــوِّرْ ثـــمَّ عـــبَّـــاسَـــا
فـــإنْ لـــم يـــدنُـــوَا حـــتـــى تـــرى رأسـيـهـمـا رَاسَـا
فـكـذِّبْـهـا بـمـا قـاسَـتْ وكـذبـه بـمـا قـاسَـى

[الهزج]

فقال لي ابن أبي السِّعلاء الشاعر: إنه أراد العبث بك وهو نَبَطِيٌّ[1] فأجبه على هذا، قال: فقلت له: لا أعرف هذا ولكني أعرف الذي يقول:

إذا أحـــبـــبـــت أن تُـــبْـــصـــ ـر شـيـئـاً يُـعْـجـب الـخَـلْـقَـا
فـــصـــوّر هـــاهـــنـــا زَوْراً وصـور هـاهـنـا فَـلْـقَـا[2]
فـــإن لـــم يَـــدْنُـــوَا حـــتـــى تـرى خَـلْـقَـيـهـمـا خَـلْـقَـا
فـكـذبـهـا بـمـا لاقـتْ وكـذِّبـه بـمـا يَـلْـقَـى

[الهزج]

فعرَّض بالعباس أنه نَبَطِيٌّ، فضحك الفضل، فوجم العباس، وقال له: قد كنت نهيتك عنه فلم تقبل.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن الفضل الهاشمي قال: حدثني أبو تَوْبة الحنفيُّ قال:

---

(١) النَّبَطيّ: الذي ينزل بالبطائح بين العراقين.
(٢) الفَلْق: نزع صوف الجِلد.

وجَّه العباس بن الأحنف رسولاً إلى فوز، فعاد فأخبره أنها تَجدُ صُداعاً، وأنه رآها مَعصوبة الرأس، فقال العباس:

عـصـبـتْ رأسَـهـا فـلـيـت صُـداعـاً ... قـد شـكـتْـهُ إلـيَّ كـان بـراسِـي
ثـم لا تـشـتـكـي وكـان لـهـا الأجـ ... ـرُ وكـنـتُ الـسـقـامَ عـنـهـا أقـاسِـي
ذاك حـتـى يـقـولَ لـي مـن رآنـي ... هـكـذا يـفـعـل الـمُـحـبُّ الـمُـوَاسِـي

[الخفيف]

قال: فبرئت ثم نُكِسَت فقال:

إن الـتـي هـامـت بـهـا الـنـفْـسُ ... عـاوَدهـا مـن عـارضٍ نُـكْـسُ
كـانـت إذا مـا جـاءهـا الـمُـبْـتَـلَـى ... أبـرأه مـن كَـفـهـا الـلَّـمْـسُ
وَابـأبـي الـوجـهُ الـمـلـيـحُ الـذي ... قـد عَـشـقَـتْـهُ الـجـنّ والإنْـسُ
إنْ تـكـن الـحُـمَّـىٰ أضـرَّتْ بـه ... فـربـمـا تـنـكَـسِـفُ الـشـمْـسُ

[السريع]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو العباس الخَلنْجيّ قال: حدثني أبو عبدكَان الكاتب قال: حدثني أبو توبة الحنفي قال:

لما قال العباس بن الأحنف:

أمـا والـذي أبـلـى الـمُـحـبَّ وزادنـي ... بـلاءً لـقـد أسـرَفْـتِ فـي الـظـلـم والـهَـجْـرِ
فـإن كـان حـقّـاً مـا زعـمـتِ أتـيـتُـه ... إلـيـك فـقـام الـنـائـحـاتُ عـلـى قـبْـري
وإن كـان عُـدوانـاً عـلـيّ وبـاطـلاً ... فـلا متِّ حتى تَسهري الليل من ذكري

[الطويل]

بعثت إليه فوز: أظننا ظلمناك يا أبا الفضل فاستُجيبَ لك فينا، ما زهلْتُ البارحةَ ساهرةً ذاكرة لك.

أخبرني جحظة البرمكي قال: حدثني أبو عبد اللَّه بن حمدون، عن أحمد بن إبراهيم قال: حدثني محمد بن سلام قال:

كان في خُلُق العباس بن الأحنف شِدَّة، فضرب غلاماً له وحلف أنه يبيعه، فمضى الغلام إلى فوز فاستشفع بها عليه، فكتبت إليه فيه فقال:

يـا مـن أتـانـا بـالـشـفـاعـاتِ ... مـن عـنـد مـن فـيـه لَـجَـاجـاتـي[1]

(١) اللّجاجات: مفردها اللَّجاجة وهي الخصومة.

إن كـــنـــتُ مـــولاك فـــإنَّ الـــتـــي قـــد شـــفَـــعَـــتْ فـــيـــك لَـــمَـــوْلاتـــي
إرســـالُـــهـــا فـــيـــك إلـــيـــنـــا لـــنـــا كـــرامـــةٌ فـــوق الـــكـــرامـــاتِ
[السريع]

ورضي عنه ووصله وأعتقه.

أخبرني جحظة قال: حدثنا أبو عبد اللَّه بن حمدون، عن أبيه حمدون بن إسماعيل، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل قال:

جاءنا العباس بن الأحنف يوماً وهو كئيب، فنشطناه فأبى أن ينشط، فقلنا: ما دهاك؟ فقال: لقيتني فوز اليوم فقالت لي: يا شيخ؛ وما قالت ذلك إلا من حادث مَلالٍ، فقلنا له: هَوِّنْ عليك فإنها امرأة لا تثبت على حال، وما أرادت إلا العبَثَ بك والمزاح معك، فقال: إني واللَّه قد قلت أقبح مما قالت، ثم أنشدنا:

هَـــزِئَـــتْ إذْ رأتْ كـــئـــيـــبـــاً مُـــعَـــنًّـــى أقـــصـــدتْـــهُ الـــخـــطـــوبُ فـــهـــو حَـــزيـــنُ
هـــزِئـــتْ بـــي ونـــلـــتُ مـــا شـــئـــتُ مـــنـــهـــا يـــا لَـــقَـــوْمـــي فـــأيُّـــنـــا الـــمـــغـــبـــونُ
[الخفيف]

فقلت له: قد انتصفتَ وزدت.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا علي بن الصباح قال: حدثنا أبو ذكوان قال:

كانت لفوز جارية يقال لها يُمْن، وكانت تجيء إلى العباس برسالتها، فمضت إلى فوز وقد طلبت من العباس شيئاً فمنعها إياه، وزعمت أنه أرادها ودعاها إلى نفسه، فغضبت فوز من ذلك فكتب إليها:

لـــقـــد زعـــمـــتْ يُـــمْـــنٌ بـــأنـــي أردتُـــهـــا عـــلـــى نـــفـــســـهـــا تَـــبّـــاً لـــذلـــك مـــن فِـــعْـــلِ
ســـلـــوا عـــن قـــمـــيـــصـــي مـــثـــلَ شـــاهـــدِ يُـــوسُـــفٍ فـــإنَّ قـــمـــيـــصـــي لـــم يـــكـــن قُـــدَّ مـــنْ قُـــبْـــلِ[1]
[الطويل]

أخبرني محمد قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدثني سَعيد بن حُمَيد قال:

كانت فوز قد مالت إلى بعض أولاد الجند، وبلغ ذلك العباسَ فتركها، ولم ترض هي البَديل بعد ذلك، فعادت إلى العباس وكتبت إليه تعاتبه في جفائه، فكتب إليها:

(١) قُدَّ مِن قُبُل: شُقَّ من الأمام.

كـتـبـتْ تـلـومُ وتَـسـتـريـبُ زيـارتـي وتـقـول لـسـتَ لـنـا كـعـهْـد الـعـاهـدِ
فـأجـبـتُـهـا ودمـوعُ عـيـنـي جـمَّـةٌ تـجـري عـلـى الـخـدَّيـن غـيـر جـوامِـدِ
يـا فـوز لـم أهـجـركُـمُ لـمَـلالـة مـنـي ولا لـمـقـالِ واشٍ حـاسـدِ
لـكـنـنـي جـرَّبـتـكُـمْ فـوجـدتـكُـمْ لا تَـصـبـرون عـلـى طـعـام واحـدِ
[الكامل]

ولقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وقال: سرقها من أبي نواس حيث يقول:

صـوت

ومـظـهـرةٍ لـخـلـق الـلَّـه وُدّاً وتـلـقـى بـالـتـحـيَّـة والـسـلامِ
أتـيـتُ فـؤادهـا أشـكـو إلـيـه فـلـم أخْـلُـصْ إلـيـه مـن الـزحـامِ
فَـيَـا مَـنْ لـيـس يَـكـفـيـه مُـحـبٌّ ولا ألْـفَـا مُـحـب كـلَّ عـامِ
أظُـنُّـك مـن بَـقِـيَّـة قـوْمِ مـوسـى فـهـمْ لا يـصـبـرون عـلـى طَـعَـامِ
[الوافر]

غنت فيه عريب لحناً ذكره ابن المعتز ولم يذكر طريقته.

ومما يغنى فيه من شعر العباس في فوز قوله:

صـوت

يـا فـوزُ مـا ضَـرَّ مـن يُـمْـسِـي وأنـتِ لـه أَلَّا يـفـوزَ بـدنـيـا آل عَـبَّـاسِ
أبـصـرتُ شـيْـبـاً بـمـولاهـا فـواعـجـبـاً مـنـه يـراهـا ويـبـدو الـشـيْـبُ فـي الـراسِ
[الهزج]

غناه سُليْم، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود قال:

قرأت على أحمد بن أبي فنن شعر العباس بن الأحنف وكان مشغوفاً به، فسمعته يقول: وددت أن أبياته التي يقول فيها:

يـا فـوز مـا ضـرَّ مـن يُـمـسـي وأنـت لـه

لي بكلّ شعري.

وفي بذل يقول عبد اللَّه بن العباس الرَّبيعي يخاطبَ عمْراً في بذل: بقوله:

صـــوت

تَسمَّعْ بحقّ اللَّه يا عمرُو منْ بَذلِ فقد أحسنَتْ واللَّه واعتمدَتْ قتلي
كأني أرى حُبِّيك يَرجَحُ كلَّما تغنَّتْ لإعجابي وأفقِد من عَقْلي

[الطويل]

غناه عبد اللَّه بن العباس الرَّبيعي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وغنى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

ذكر بذل وأخبارها

كانت بَذْل صفراء مولّدة من مولدات المدينة، وربيت بالبصرة، وهي إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية، يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت، ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنَّس، يشتمل على اثني عشر ألف صوت، يقال إنها عملته لعليّ بن هشام، وكانت حلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي، فأخذها منه محمد الأمين وأعطاه مالاً جزيلاً، فولدهما جميعاً يدَّعون وَلاءها.

فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم وطبقتهم.

وقرأتُ على جحظة، عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده قال:

كانت بذل من أحسن الناس غناء في دهرها، وكانت أستاذةَ كل محسن ومحسنة، وكانت صفراء مدينية، وكانت أروى خلق اللَّه تعالى للغناء، ولم يكن لها معرفة، وكانت لجعفر بن موسى الهادي فوُصفت لمحمد بن زبيدة، فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها فأبى، فزاره محمد إلى منزله، فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: يا أخي بعْني هذه الجارية، فقال: يا سيدي مثلي لا يبيع جارية، قال: فهبها لي، قال: هي مُدبَّرة[1]. فاحتال عليه محمد حتى أسكره وأمر ببذل فحُملت معه إلى الحَرَّاقة وانصرف بها، فلما انتبه سأل عنها فأخبر بخبرها فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاء وبذل جالسة فلم يقل شيئاً، فلما أراد جعفر أن ينصرف قال: أوْقروا حَرَّاقة ابن عمي دراهم، فأوقرتْ.

قال: فحدثني عبد اللَّه بن الحنيني، وكان أبوه على بيت مال جعفر بن موسى أن مبلغ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم. قال: وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قُتل، ثم خرجت، فكان ولد جعفر وولد محمد يدَّعون ولاءها، فلما ماتت ورثها ولد عبد اللَّه بن محمد بن زبيدة.

---

(١) المُدَبَّر: العبد الذي يجعله سيّده حرّاً بعد موته.

وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر عن ابن المكي عن أبيه وقال فيه.

إن محمداً وهب لها من الجوهر شيئاً لم يملك أحد مثله فَسَلم لها، فكانت تُخرِج منه الشيءَ بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم، فكان ذلك مُعتمدَها مع ما يصل إليها من الخلفاء، إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة.

قال: ورغب إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين في التزويج فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت.

قال أبو حشيشة في خبره: وكنت عند بذل يوماً وأنا غلام وذلك في أيام المأمون ببغداد وهي في طَارمة[١] لها تمتشط، ثم خرجتُ إلى الباب فرأيت المواكب فظننت أن الخليفة يمرّ في ذلك الموضع، فجرعت إليها فقلت: يا ستي، الخليفة يمرُّ وشيكاً[٢] على بابك، فقالت: انظروا أي شيء هذا، إذ دخل بوّابها فقال: عليّ بن هشام بالباب، فقالت: وما أصنع به؟ فقامت إليها وَشيكةُ جاريتُها وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها فأكبَّت على رجلها وقالت: اللَّهَ اللَّهَ أتحجُبين عليَّ بنَ هشام؟ فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ولم تقم إليه، فقال: إني جئتك بأمر سيدي أمير المؤمنين وذلك أنه سألني عنك فقلت: لم أرها منذ أيام، فقال: هي عليك غَضبى فبحياتي لا تدخل منزلك حتى تذهب إليها فتسترضيها. فقالت: إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم، فقامت فقبلت رأسه ويديه ورجليه، وقعد ساعة وانصرف، فساعة خرج قالت: يا وشيكة هاتي دواة وقرطاساً، فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها، حتى كتبت اثني عشر ألف صوت ـ وفي بعض النسخ: رؤوس سبعة آلاف صوت ـ ثم كتبت إليه: يا عليّ بن هشام، تقول: قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبت هذا وأنا ضَجرَةٌ، فكيف لو فرَّغتُ لك قلبي كله. وختمت الكتاب وقالت لها: امضي به إليه، فما كان أسرع من أن جاء رسولُه خادمٌ أسودُ يقال له مُخارق بالجواب يقول فيه: يا سِتي لا واللَّه ما قلتُ الذي بلغك، ولقد كذب عليَّ عندك، إنما قلت: لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت، وقد بعثتِ إليّ بديوان لا أؤدي شكرك عليه أبداً. وبعث إليها بعشرة آلاف درهم وتخوتاً فيها خزّ ووشي[٣] ومُلَح وتَخْتاً مطبقاً فيه ألوان الطيب.

---

(١) الطارِمة: بناء من خشب كالقبَّة.

(٢) الوشيك: السريع.

(٣) المُلَح: مفردها الملحة وهي ما لذّ واستملح.

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لعليّ بن هشام يعاتب بذلاً في جفوة نالته منها:

تـغـيَّـرت بـعـدي والـزمـان مُـغَـيِّـرٌ وخِـستِ[1] بـعـهـدي والـمَـلُـولُ يَـخـيـسُ
وأظـهـرتِ لـي هـجـراً وأخـفـيـت بِـغْـضـة وقـرَّبْـت وعـداً والـلـسـانُ عَـبُـوسُ
ومـمـا شـجـانـي أنـنـي يـوم زرتـكُـمْ حُـجِـبْـتُ وأعـدائـي لـديـكِ جُـلـوسُ
وفـي دون ذا مـا يَـسـتـدِلُّ بـه الـفـتـى عـلـى الـغَـدْر مـن أحـبـابـه ويَـقـيـسُ
كـفـرتُ بـديـن الـحـب إن طُـرْتُ[2] بـابـكُـم وتـلـك يـمـيـن ـ مـا عـلـمـت ـ غَـمـوسُ
فـإن ذهـبـتْ نـفـسـي عـلـيـكـم تـشـوقـاً فـقـد ذهـبـتْ لـلـعـاشـقـيـن نـفـوسُ
ولـو كـان نـجـمـي فـي الـسـعـود وصـلـتُـمُ ولـكـنْ نـجـومُ الـعـاشـقـيـن نُـحـوسُ

[الطويل]

وأخبرني أبو العباس الهشامي المِشك، عن أهله: أن علي بن هشام كان يهوى بذلاً ويكتم ذلك، وأنها هجرته مدة، فكتب إليها بهذه الأبيات.

وذكر محمد بن الحسن أن أبا حارثة حدثه عن أخيه.

أنّ معاوية قال: قالت لي بذل: كنت أروي ثلاثين ألف صوت، فلما تركت الدرس أنسيت نصفها، فذكرت قولها لزُرزر الكبير فقال: كذبت الزانية.

قال: وحدثني أحمد بن محمد الفَيزران عن بعض أصحابه.

أن إبراهيم بن المهدي كان يعظمها ويَتوافَى لها، ثم تغيَّر بعد ذلك استغناء عند نفسه عنها، فصارت إليه فدعت بعود فغنت في طريقة واحدة وإيقاع واحد وأصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً، ووضعت العود وانصرفت، فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه.

وقال محمد بن الحسن: وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بذلاً في نسبة صوت غنته بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه، فقالت للمأمون: يا أمير المؤمنين هي واللَّه لأبيه أخذتها من فيه، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره؟ فاشتد ذلك على إسحاق حتى رُئي ذلك فيه.

(١) خاس بالعهد: نكس به.
(٢) طار الباب: يطور أي يقرب وطار قرب.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني حماد بن إسحاق قال:

غنت بذل يوماً بين يدي أبي:

إنْ تَـرَيْـنـي نـاحـل الـبـدنِ فـلـطُـولِ الـهَـمِّ والـحَـزَنِ
كـانَ مـا أخـشـى بـواحـدتـي لـيـتـه واللَّـهِ لـم يَـكُـنِ

[المديد]

فطرب أبي واللَّه طرباً شديداً وشرب رطلاً وقال لها: أحسنت يا بنتي، واللَّه لا تغنين صوتاً إلا شربتُ عليه رطلاً.

قال أبو الفرج: والغناء في هذا الشعر لبذل خفيف رمل بالوسطى.

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه:

أن المأمون كان يوماً قاعداً يشرب وبيده قدح إذ غنت بذل.

ألَا لَا أرى شـيـئـاً ألـذّ مـن الـوَعْـد

فجعلته:

ألَا لا أرى شـيـئـاً ألـذّ مـن الـسـحْـق[1]

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها وقال: بلى يا بذل النيك ألذ من السحق، فتشوَّرت[2] وخافت غضبه، فأخذ قدحه ثم قال: أتمي صوتك وزيدي فيه:

ومـن غـفـلـة الـواشـي إذا مـا أتـيـتـهـا ومـن زَوْرتـي أبـيـاتـهـا خـالـيـاً وَحْـدي
ومـن صـحـة فـي الـمـلـتـقـى ثـم سـكـتـة وكـلـتـاهـمـا عـنـدي ألـذ مـن الـخـلـدِ

[الطويل]

نسبة هذا الصوت

ألا لا أرى شـيـئـاً ألـذّ مـن الـوعـد ومـن أمـلـي فـيـه وإن كـان لا يـجـدي

[الطويل]

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة.

صـوت

بـانـت سـعـاد فـقـلـبـي الـيـوم مـتـبـول مُـتَـيَّـمٌ عـنـدهـا لـم يُـجْـزَ مـكـبـولُ

(١) السُّحْق: البعد.
(٢) تشوَّرت: خجلت واستحيت.

ومـــا ســـعـــادُ غـــداةَ الـــبَـــيْـــن إذ رحـــلـــوا إلا أغـــنّ غَـــضـــيـــضُ الـــطـــرف مـــكـــحـــولُ

[البسيط]

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سُلمى المُزَني، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة والهشامي.

أخبار كعب بن زهير

كعب بن زُهير بن أبي سُلْمى المُزَني، وقد تقدم خبر أبيه ونسبه، وأمّ كعب امرأةٌ من بني عبد اللَّه بن غطفان يقال لها كَبشة بنتُ عمَّار بن عَديّ بن سُحيم، وهي أمُّ سائر أولاد زهير، وهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء وسأله الحُطيئة أن يقول شعراً يُقدِّم فيه نفسه ثم يُثني به بعده ففعل.

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام. وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة قالا:

أتى الحُطيئةُ كعبَ بنَ زهير، وكان الحُطيئةُ راويةَ زهير وآل زهير فقال له: يا كعب، قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرَك، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك. وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثني بي، فإنّ الناس لأشعاركم أرْوى وإليها أسرع، فقال كعب:

فمن للقوافي شانها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعب وفَوَّزَ[1] جِرْوَلُ[2]

يقول فلا يعْيَا بشيء يقوله ... ومن قائليها من يسيء ويعجلُ

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً ... تَنَخَّل منها مثل ما يتنَخَّلُ

يثَقِّفُها حتى تلين مُتونها ... فيَقْصُرُ عنها كلُّ ما يُتَمثَّلُ

[الطويل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عليّ بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجَصَّاص قال:

قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أكْدى[3]، فمرّ به النابغةُ فقال له: أبا أمامة أجزْ، فقال: وما قلت؟ قال: قلت:

---

(١) فوَّز: مات.

(٢) جِروَل: هو جرول بن أوس ولقبه الحطيئة.

(٣) أكدى: قلَّ خيره، ولم يظفر بحاجته.

تـــزيـــد الأرض إمَّـــا مُـــتَّ خِـــفّـــاً وتَـحـيـا إن حَـيـيـت بـهـا ثَـقِـيـلا

[الوافر]

نزلت بمستقر العرض منها.

أجز، قال: فأكْدى واللَّه النابغةُ، وأقبل كعب بن زهير وإنه لغلام، فقال أبوه: أجز يا بني، فقال: وما أجيز؟ فأنشده فأجاز النصف بيت فقال:

وتـــمـــنـــع جـــانـــبـــيـــهـــا أن يـــزولا

فضمه زهير إليه وقال: أشهد أنك ابني.

وقال ابن الأعرابي: قال حماد الرواية:

تحرك كعب بن زهير وهو يتكلم بالشعر، فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك فكلما ضربه تَزَيَّد فيه فغلبه، فطال عليه ذلك فأخذه فحبسه فقال: والذي أحلف به لا تتكلم ببيت شعر إلا ضربتك ضرباً يُنكِّلك[١] عن ذلك، فمكث محبوساً عدة أيام، ثم أخبر أنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً ثم أطلقه وسرّحه في بَهْمه وهو غلَيِّم صغير، فانطلق فرعى، ثم راح عشية وهو يرتجز:

كـأنـمـا أحْـدُو بـبَـهْـمـي عِـيـرَا مـن الـقـرى مُـوقـرةً شَـعـيـرَا

[الرجز]

فخرج إليه زهير وهو غضبان، فدعا بناقته فكفلها بكسائه ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب، فأخذ بيده فأردفه خلفه، ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يَبعث ابنه كعباً ويعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى الحي:

إنـي لـتُـعْـديـنـي عـلـى الـهَـمِّ جَـسْـرَةٌ[٢] تـخـبُّ بـوصَّـال صَـروم وتُـعْـنِـقُ

[الطويل]

ثم ضرب كعباً وقال له: أجز يا لُكَعُ، فقال كعب:

كـبـنـيـانـة الـقَـرئـيِّ مَـوضـعُ رحـلـهـا وآثـارُ نِـسْـعَـيْـهـا[٣] مـن الـدَّفِّ[٤] أبـلـقُ

[الطويل]

---

(١) نكَّل: صرف.

(٢) الجَسْرة: الناقة العظيمة.

(٣) النِّسْع: المفصل بين الكفّ والساعد.

(٤) الدَّف: المشي والسير.

فقال زهير:

عـلـى لاحـبٍ مـثـل الـمَـجَـرَّةِ خـلْـتَـه إذا مـا عـلا نَـشْـزاً مـن الأرض مُـهْـرَقُ
[الطويل]

أجز يا لكع، فقال كعب:

مُـنـيـرٌ هَـدَاهُ لَـيْـلُـه كـنـهـاره جَـمـيـعٌ إذا يـعـلـو الـحُـزُونـة أفْـرُقُ
[الطويل]

قال: فتبدى زهير في نعت النعام وترك الإبل، يَتَعَسَّفه عمْداً ليعلم ما عنده وقال:

وظـلَّ بِـوَعْـسـاء الـكـثـيـب كـأنـه خـبـاءٌ عـلـى صَـقْـبَـيْ بِـوَانٍ مُـروَّقُ
[الطويل]

صَقْبَيْ بوان عمود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تـراخـى بـه حُـب الـضَّـحَـاء وقـد رأى سَـمَـاوةَ قَـشْـرَاءِ الـوظـيـفَـيْـن عَـوْهَـقِ[1]
[الطويل]

فقال زهير:

تَـحـنّ إلـى مـثـل الـحَـبَـابـيـر جُـثَّـم لَـدى مَـنْـتـجٍ مـنْ قَـيْـضـهـا[2] الـمـتـفـلِّـقِ
[الطويل]

الحَبابير جمع حُبَارى وتجمع أيضاً حُبَارَيات، فقال كعب:

تَـحَـطَّـم عَـنـهـا قَـيْـضُـهـا عـن خـراطـم وعـن حَـدق كـالـنَّـبْـح لـم يَـتَـفَـتَّـقِ
[الطويل]

الخراطم هاهنا: المناقير، والنبخ: الجدري، شبه أعين ولد النعامة به.

قال فأخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال له: قد أذنت لك في الشعر يا بني، فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله وهو صغير يومئذٍ قال:

أبـيْـتُ فـلا أهـجـو الـصـديـق ومـن يَـبِـعْ بـعـرْض أبـيـه، فـي الـمَـعَـاشـر يُـنْـفِـقِ
[الطويل]

قال: وهي أول قصيدة قالها.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا

(١) العوهَق: المعنَّق.
(٢) القيض: قشر البيض اليابس.

عمر بن شبة قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثني الحجاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن بن مُضرِّب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال:

خرج كعب وبُجَير ابنا زهير بن أبي سلمى إلى رسول اللَّه ﷺ حتى بلغا أبرق الغرَّاف، فقال كعب لبجير: الحق الرجل وأنا مقيم هاهنا فانظر ما يقول لك، فقدم بجير على رسول اللَّه ﷺ، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبـلـغـا عـنـي بُـجَـيْـراً رسـالـة ... عـلـى أي شـيء وَيـبَ[1] غـيـرك دلَّـكـا
عـلـى خُـلُـق لـم تُـلْـفِ أمّـاً ولا أبـاً ... عـلـيـهِ ولـم تُـدرك عـلـيـه أخـاً لـكـا
سـقـاك أبـو بـكـر بـكـاس رَوِيَّـةٍ ... فـأنـهـلـك الـمـأمـون مـنـهـا وَعـلَّـكـا

[الطويل]

ويروى المأمور، قال: فبلغت أبياته هذه رسول اللَّه ﷺ فأهدر دمه، وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله. فكتب إليه أخوه بجير يخبره وقال له: انْجُهْ وما أراك بمُفلتٍ. وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يُسلم ويُقبل إلى رسول اللَّه ﷺ، ويقول له: إن من شهد أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسوله قبل ﷺ منه وأسقط ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول اللَّه ﷺ:

بـانـت سـعـادُ فـقـلـبـي الـيـوم مَـتـبـولُ ... مُـتـيـمٌ عـنـدهـا لـم يُـجْـزَ مـكـبـولُ

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول اللَّه ﷺ وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حلْقة ثم حلْقة ثم حلْقة وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يحدثهم ثم على هؤلاء ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول الله الأمان. قال: «**ومن أنت؟**» قال: كعب بن زهير، قال: «**أنت الذي يقول، كيف قال يا أبا بكر؟**» فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

سـقـاك أبـو بـكـر بـكـأس رَوِيَّـة ... وأنـهـلـك الـمـأمـون مـنـهـا وعـلّـكـا

[الطويل]

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مأمونٌ واللَّه**»، ثم أنشده يعني كعباً:

بـانـت سـعـاد فـقـلـبـي الـيـوم مَـتـبُـولُ

---

(١) الوَيْب: إلزام الويل.

قال عمر بن شبة: فحدثني الحزامي قال: حدثني محمد بن فُليح عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المُسيّبي قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة قال:

أنشدها رسول اللَّه ﷺ في مسجده، فلما بلغ إلى قوله:

إن الرسول لسيفٌ يُستضاء به ... مُهَنَّد من سيوف اللَّه مسلولُ

في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطنِ مكَّةَ لما أسلموا زُولوا

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا خُور معازيلُ

[البسيط]

أشار رسول اللَّه ﷺ إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير.

قال الحزامي: قال علي بن المديني:

لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً قطّ أتمّ ولا أحسن من هذا، ولا أبالي أن لا أسمع من خبره غير هذا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: ومما يروى من خبره أن زهيراً كان نظاراً متوقيًّا وأنه رأى في منامه آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ثم تركه فهوى إلى الأرض فلما احتُضِر قصّ رؤياه على ولده وقال: إني لا أشك أنه كائنٌ من خَبَر السماء بعدي شيء، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه. فلما بُعث النبي عليه السلام خرج إليه بُجير بن زهير فأسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلما هاجر رسول اللَّه ﷺ أتاه بجير بالمدينة وكان من خيار المسلمين، وشهد يوم الفتح مع رسول اللَّه ﷺ ويوم خيبر ويوم حُنين وقال في ذلك:

صَبَحْناهُمْ بألف منْ سُلَيْم ... وألف من بني عثمان وافي

فَرُحْنَا والجيادُ تجولُ فيهمْ ... بأرماح مُثَقَّفَة خفافي

وفي أكتافهمْ طعنٌ وضرْبٌ ... ورشْقٌ بالمُرَيَّشَة اللِّطَافِ

[الوافر]

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامي، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعب إليه:

فخالفْتَ أسباب الهدى وتبعته ... فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

[الطويل]

ثم قال في خبره أيضاً: إن كعباً نزل برجل من جهينة، فلما أصبح أتى النبي عليه

السلام فقال: يا رسول اللَّه، أرأيتَ إن أتيتك بكعب بن زهير مُسلماً أتُؤمنه؟ قال: نعم، قال: فأنا كعب بن زهير، فتواثبت الأنصار تقول: يا رسول اللَّه ائذن لنا فيه، فقال: وكيف وقد أتاني مسلماً. وكف عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً، فأنشد رسولَ اللَّه ﷺ قصيدته:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ

حتى انتهى إلى قوله:

لا يقع الطعْنُ إلَّا في نُحورهمُ وما بهمْ عن حياض الموت تَهْليلُ[1]

[البسيط]

هكذا في رواية عمر بن شبة، وروايةُ غيره تعليل.

فعند ذلك أومأ رسول اللَّه ﷺ إلى الخلق حوله أن تسمع منه:

قال: وعرَّض بالأنصار في قصيدته في عدة مواضع منها قوله:

كانت مواعيدُ عُرقوب لها مَثَلاً وما مواعيدُهَا إلا الأباطيلُ

[البسيط]

وعرقوب رجل من الأوس، فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا: ما مدحنا مَن هجا الأنصار، فأنكروا قوله وعوتب على ذلك فقال:

من شَرّه كرمُ الحياة فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ[2] من صالحي الأنصارِ

ألباذلين نفوسَهم لنبيهمْ عند الهِياج وسَطْوة الجبَّارِ

والناظرين بأعين مُحمَرَّة كالجمْر غير كَليلة الإبصْارِ

والضاربين الناسَ عن أديانهمْ بالمشرَفِيّ وبالقنا الخَطَّارِ

يتطهَّرون يرونه نُسكاً لهم بدماءِ مَنْ عَلقُوا من الكُفَّارِ

صَدموا الكتيبة يومَ بَدر صدمةً ذَلَّت لوقعتها رقابُ نِزَارِ

[الكامل]

قال أبو زيد: الذي عناه كعبٌ، رجلٌ من الأوس كان وعد رجلاً ثمر نخلة، فلما أطلعت أتاه، قال: دعْها حتى تَلقح، فلما لَقِحَتْ قال: دعها حتى تُزهي، فلما أزهت أتاه فقال: دعها حتى تُرْطب، ثم أتاه فقال: دعها حتى تُتْمر، فلما أتمرت عدا عليها

(١) التهليل: الصياح.

(٢) المِقْنَب: الألف من الرجال أو أقل من ذلك.

ليلاً فجدَّها[1]، فضُرب به في الخُلْف المثل، وذلك قول الشماخ:

وواعدني ما لا أحاول نَفْعَه مواعيدَ عُرْقُوب أخاه بيَثْرِبِ
[الطويل]

وقال المتلمس لعمرو بن هنْد:

من كان خُلْفُ الوَعْد شيمَتَه والغَدرُ عُرْقُوبٌ له مَثَلُ
[الكامل]

وما قالته الشعراء في ذكْر عرقوب يكثر.

قال إبراهيم بن المنذر: حدثني مَعْن بن عيسى قال: حدثني الأوقصُ محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: حدثني عليّ بن زيد.

أن كعب بن زهير أنشد رسول اللَّه ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحرام لا في مسجد المدينة.

قال إبراهيم: حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال:

عنى كعب بن زهير بقوله:

في فتية من قريش قال قائلهم

عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

صوت

أبيني أفي يُمْنى يَديْك جَعَلْتِنِي فأفرَح أم صَيَّرْتني في شمالِكِ
أبِيتُ كأني بين شقَّيْن من عَصاً حذار الرَّدى أو خيفةً من زِيالِكِ
تعالَلْتِ كي أشجى وما بك علَّةٌ تُريدين قتلي قد ظفرْت بذلِكِ
[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لابن الدُّمينة بعضه، وبعضه ألحقه المغنون به وهو لغيره، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر.

(١) جَدَّها: أخذ عطاءها.

أخبار ابن الدمينة ونسبه

الدُّمَيْنة أمه، وهي الدميْنة بنت حُذيفة السَّلُولية واسمُ ابن الدمينة عبدُ اللَّه بن عبيد اللَّه، أحدُ بني عامر بن تَيم اللَّه بن مُبَشِّر بن أكلُب بن ربيعة بن عِفْرِس بن حَلْف بن أفتل وهو خَثْعَم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك. وقيل: إن أكْلُب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عِفْرِس، وإنهم حالفوا خثعم ونزلوا فيها فنُسبوا إليهم.

ويكنى ابنُ الدمينة أبا السَّريّ، وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سلول يأتي امرأته ليلاً فرصده حتى أتاها فقتله ثم قتلها بعده ثم اغتالته سلول بعد ذلك فقتلته.

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة وابن الأعرابي، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكار عن أصحابه، وما اتفقت الروايتان فيه، فإذا اختلفتا نسبت كل خبر إلى راويه.

قال الزبير: حدثني موهوب بن رشيد الكلابي وإبراهيم بن سعد السلمي وعمر بن إبراهيم السَّعدي، عن مِيناس بن عبد الصمد، عن مصعب بن عمرو السلولي أخي مزاحم بن عمرو قالوا جميعاً:

إن رجلاً من سلول يقال له مُزاحم بن عمرو كان يُرْمى بامرأة ابن الدمينة، وكان اسمها حَمَّاء، قال السكري، كان اسمها حَمَّادة، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابنُ الدمينة من إتيانها واشتدَّ عليها، فقال مزاحم يذكر ذلك، وهذا من رواية ابن حبيب، وهي أتم وأصح:

يا ابنَ الدمينة والأخبارُ يرفعها ... وَخْدُ[1] النجائب[2] والمَحقور يُخفيها
يا ابن الدمينة إن تَغضبْ لما فعلت ... فطال حُزنُك أو تغضب مواليها
أو تُبْغضوني فكم من طعنة نَفَذ ... يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها
جاهدتُ فيها لكمْ إني لكمْ أبَداً ... أبغي مَعَايبكمْ عَمْداً فآتيها

(١) الوَخْد: ضرب من السير.
(٢) النجائب: مفردها النجيبة، وهي الإبل.

فذاك عندي لكمْ حتى تُغيّبني ... غبراءُ مظلمةٌ هَارٍ نَواحيها
أغشى نساء بني تيم إذا هجعَتْ ... عني العيونُ ولا أبغي مَقَاريها[1]
كم كاعب من بني تيم قعدتُ لها ... وعانسٍ حين ذاق النومَ حاميها
كقِعْدة الأعسر العُلْفُوفِ[2] مُنتجِياً ... متينةً من متون النبل يُنْحيها
وشهقة عند حسّ الماء تشهقها ... وقول ركبتها قِضْ حين تَثْنيها
علامةٌ كَيَّةٌ ما بين عانتها ... وبين سَبَّتها لا شُلَّ كاويها
وتَعدل الأيرَ إن زاغتْ فتبعثه ... حتى يقيم برفْق صَدره فيها
بين الصَّفُوقَيْن في مُسْتَهدِف وَمِدٍ[3] ... ذي حرَّة ذاق طعْمَ الموت صاليها
ماذا ترى ابنُ عَبيد اللَّه في امرأة ... ليست بمحصنة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها ... وصادف القوسَ في الغِرَّاتِ باريها
ترى عجوز بني تيم مُلَفَّعَةً ... شُمْطاً عَوارضُها رُبْداً دواهيها
إذ تجعل الدِّفنسُ[4] الورهاء[5] عذرتها ... قُشَارَةً من أديم ثم تَفريها
حتى يظلّ هِدانُ[6] القوم يحسبها ... بِكْراً وقَبْلُ هَوَى في الدار هَاويها

[البسيط]

قال الزبير عن رجاله، وابنُ حبيب عن ابن الأعرابي: لما بلغ ابنَ الدمينة شعرُ مزاحم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ما قاله وقد بلغك، قالت: واللَّه ما رأى ذلك منّي قطّ، قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصفهن له النساء، قال: هيهات واللَّه أن يكون ذلك كذلك، ثم أمسك مُدَّةً وصبر حتى ظن أن مزاحماً قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: واللَّه لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك، فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: يا حمَّاء، ما هذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هي بصوت ضعيف: ادخل، فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حَصًى في ثوب فضرب بها كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحه

(١) المقاري: مفردها مقراة وهي القصعة التي يقدم فيها الطعام للضيف.
(٢) العُلفوف: الضخم في جمعه.
(٣) الوَمِد: الشديد الحرّ.
(٤) الدِّفِنس: الثقيلة الهمَّة، الحمقاء.
(٥) الورهاء: الحمقاء.
(٦) الهِدان: الثقيل الهمّة الأحمق.

ميتاً، فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله. قال الزبير في حديثه: وقد قال ابن الدمينة في تحقيق ذلك:

قالوا هجتك سَلولُ اللؤمِ مُخْفيةً ... فاليوم أهجو سَلولاً لا أخافيها
قالوا هجاك سلوليٌّ فقلت لهم ... قد أنصف الصخرة الصمَّاء راميها
رجالهم شرُّ مَنْ يمشي ونسوتُهمْ ... شرّ البريَّة واسْتٌ ذلَّ حاميها
يحكُكْن بالصخر أسْتَاهاً بها نُقَبٌ ... كما يحك نِقابَ الجُرْب طاليها

[البسيط]

قال: وقال أيضاً يذكر دخول مزاحم ووضعه يده عليه:

لك الخيرُ إنْ واعدتَ حمَّاء فالقَها ... نهاراً ولا تُدلجْ إذا الليل أظلَمَا
فإنك لا تدْري أبيضاءَ طَفْلَةً ... تُعانق أم لَيْثاً من القوم قَشْعَمَا[1]
فلما سَرَى عن ساعِدَيَّ ولحْيتي ... وأيقن أني لست حَمَّاء جَمْجَمَا[2]

[الطويل]

قالوا جميعاً، ثم أتى ابنُ الدمينة امرأتَه فطرح على وجهها قطيفة، ثم جلس عليها حتى قتلها، فلما ماتت قال:

إذا قعدتُ على عِرْنين جاريةٍ ... فوق القطيفة فادعوا لي بحفَّارِ

[البسيط]

فبكت بُنَيَّة له منها فضرب بها الأرض فقتلها، وقال متمثلاً: لا تتخذنَّ من كلب سوء جرْواً.

قال الزبير في خبره عن عمه مصعب، عن حُميد بن أنيف قال:

فخرج جناحٌ أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة، فبعث إليه فحبسه.

وقالوا جميعاً: قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، وهي من خثعم، ترثي ابنها وتحضّض مصعباً وجناحاً أخويه.

بأهلي ومالي بل بِجُلِّ عشيرتي ... قتيلُ بني تَيْم بغير سلاحِ
فهلّا قتلتم بالسلاح ابنَ أختكم ... فتظهرَ فيه للشهود جراحُ

(١) قشعم: الأسد الضخم.
(٢) جمجم: تلجلج.

فلا تطمعوا في الصلح ما دُمتُ حيَّةً وما دام حيّاً مُصعَبٌ وجَناحُ
ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدور وأن الطالبين شِحَاحُ

[الطويل]

قالوا: فلما طال حبسه ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلاً ولا حجة خلاه، وقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم مكان المقتول، وقتلت خثعم بعد ذلك نفراً من سلول. ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة.

قالوا: وأقبل ابن الدمينة حاجّاً بعد مدة طويلة، فنزل بتَبالة، فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه، وقد كانت أمه حرضته عليه وقالت: اقتل ابن الدمينة، فإنه قتل أخاك، وهجا قومك، وذمّ أختك، وقد كنت أعذرك قبل هذا لأنك كنت صغيراً وقد كبرت الآن، فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينة واقفاً يُنْشد الناس، فغدا إلى جزار فأخذ شَفْرته، وعدا على ابن الدمينة فجرحه جراحتين، فقيل: إنه مات لوقته، وقيل: بل سلم تلك الدفعة، ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العَبْلاء ينشد، فعلاه بسيفه حتى قتله، وعَدَا وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه، فجاءه رجل من قومه فصاح به: يا مصعب، إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامَّة فاخرجْ، فلما عرفه قال له: أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان؟ قال: نعم، فخرج إليه ووضع يده في يده فسلمه إلى السلطان فقذفه في سجن تَبَالة.

قال السُّكريّ في خبره: ومكث ابن الدُّمينة جريحاً ليلته ومات في غد، فقال في تلك الليلة يُحرض قومه ويوبخهم:

هَتفتُ بأكْلبٍ ودعوتُ قيساً فلا خُذُلاً دعوتُ ولا قَليلا
ثأرْتُ مُزاحماً وسرْتُ قيساً وكنت لما هممتُ به فَعُولا
فلا تَشْلَلْ يداك ولا تزالا تُفيدان الغنائم والجزيلا
فلو كان ابن عبد اللَّه حيّاً لصبَّح في منازلها سَلولا

[الوافر]

قال: وبلغ مصعباً أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تَبَالة فيقتلوه به غِيلَةً فقال يحرّض قومه:

لقيت أبا السريّ وقد تَكَالى[1] له حقُّ العداوة في فؤادي
فكاد الغيظ يُفْرِطُني إليه بطَعنٍ دونه طعنُ السَّدادِ

(١) تكالى: اختبأ واستتر، توارى.

إذا نـبـحـت كـلابُ الـسـجـن حـولـي ... طـمـعـتُ هَـشَـاشـةً وهَـفَـا فـؤادي
طـمـاعـةَ أن يـدقَّ الـسـجـن قـومـي ... وخـوفـاً أن يُـبَـيِّـتـنـي الأعـادي
فـمـا ظَـنِّـي بـقـومـي شَـرُّ ظَـنٍّ ... ولا أن يُـسْـلـمـونـي فـي الـبـلادِ
وقـد جـدَّلـت قـاتـلـهـم فـأمـسـى ... يَـمُـجُّ دمَ الـوَتِـيـنِ[1] عـلـى الـوِسـادِ

[الوافر]

فجاءت بنو عُقَيل إليه ليلاً فكسروا السجن وأخرجوه منه، قال مصعب: فلما أفلت من السجن هرب إلى صنعاء فقدم علينا وإني بها يومئذٍ والٍ، فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم، فرأيته حينئذٍ ولم يكن جَلْداً من الرجال.

ومما يغنّى به من شعر ابن الدمينة قوله من قصيدة أولها:

أقـمـتُ عـلـى زَمَّـانَ يـومـاً ولـيـلـة ... لأنـظـر مـا واشـى أمـيـمـةَ صـانِـعُ
فَـقَـصْـرُك مـنـي كـلَّ عـام قـصـيـدةٌ ... تَـخُـبُّ[2] بها خُوصُ[3] المطِيِّ النزائعُ[4]

[الطويل]

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أن عبد اللَّه بن شبيب أنشده إياها عن محمد بن عبد اللَّه الكراني لابن الدمينة. والذي يغنى به منها قوله:

صـوت

أُقَـضِّـي نـهـاري بـالـحـديـث وبـالـمـنـى ... ويـجـمـعـنـي والـهـمَّ بـالـلـيـل جـامـعُ
نـهـاري نـهـارُ الـنـاس حـتـى إذا بـدا ... لِـيَ الـلـيـلُ شـاقـتـنـي إلـيـك الـمـضـاجـعُ
لـقـد ثـبـتـتْ فـي الـقـلـب مـنـك مـحـبـةٌ ... كـمـا ثـبـتـت فـي الـراحـتـيـن الأصـابـعُ

[الطويل]

غناه إبراهيم رملاً بالوسطى عن عمرو بن بانة.

نسخت من كتاب أبي سعيد قال: حدثنا ابن أبي السريّ، عن هشام قال:

هَوِيَ ابنُ الدمينة امرأةً من قومه يقال لها أميمة، فهام بها مدة، فلما وصلته تجنّى عليها وجعل ينقطع عنها، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلاً ثم أقبلت عليه فقالت:

---

(١) الوتين: عرق في الرقبة.
(٢) الخَبُّ: ضرب من العَدو.
(٣) الخوص: مفردها أخوص وخوصاء وهي الغائرة العينين.
(٤) النزائع: الإبل المنتزعة من أيدي الغرباء.

صـــوت

وأنـتَ الـذي أخـلـفـتـنـي مـا وعـدتـنـي ... وأشـمَـتَّ بـي مـن كـان فـيـك يـلـومُ
وأبـرزتـنـي لـلـنـاس ثـم تـركـتـنـي ... لـهـمْ غَـرَضـاً أُرمـى وأنـت سـلـيـمُ
فـلـو أنّ قـولاً يَـكْـلُـمُ الـجـسـم قـدْ بَـدا ... بـجـسـمِـيَ مـن قـول الـوُشـاةِ كُـلُـومُ[1]

[الطويل]

الشعر لأميمة امرأة ابن الدمينة، والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي، وذكر حبش أن لإبراهيم أيضاً فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وذكر حكم الوادي أن هذا اللحن ليعقوب الوادي، وفيه لعَرِيب خفيف ثقيل.

قال: فأجابها ابن الدمينة فقال:

وأنـت الـتـي قـطَّـعـتِ قـلـبـي حَـزَازَةً ... ومـزَّقـت قَـرْحَ الـقـلـب فـهـو كَـلِـيـمُ
وأنـت الـتـي كـلَّـفـتـنـي دلَـجَ الـسُّـرَى ... وجُـونُ[2] الـقَـطَـا[3] بـالـجَـلْـهـتـيـن جثـومُ
وأنـت الـتـي أحـفَـظْـتِ قـومـي فـكـلُّـهُـمْ ... بَـعـيـدُ الـرضَـى دانـي الـصـدود كـظـيـمُ

[الطويل]

قال: ثم تزوجها بعد ذلك وقُتل وهي عنده.

فأخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: حدثني أبي قال: حدثنا سعيد بن سَلْم، عن أبي الحسن الينبعيّ قال:

بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبِلَاط ليلاً إذا بظلّ نسوة في القمر، فالتفتنا فإذا بجماعة نسوة، فسمعت واحدة منهن وهي تقول: أهُوَ هُو؟ فقالت الأخرى: نعم واللَّه إنه لهو هو، فدنت مني ثم قالت: يا كهل، قُلْ لهذا الذي معك:

لـيـسـتْ لـيـالـيـك فـي خَـاخٍ بـعـائـدةٍ ... كـمـا عـهـدتُ ولا أيـامُ ذي سَـلَـم

[البسيط]

فقلت له: أجِبْ فقد سمعتَ، فقال: قد واللَّه قُطِعَ بي وأُرْتجَ عليّ فأجِبْ عني، فالتفت إليها ثم قلت:

فـقـلـتُ لـهـا يـا عَـزَّ كـلُّ مـصـيـبـةٍ ... إذا وُطِّـنَـتْ يـومـاً لـهـا الـنـفـس ذَلَّـتِ

[الطويل]

---

(١) الكلوم: الجروح.
(٢) الجُون: مفردها جُونيّ، وهي ضرب من القطا سود البطون والأجنحة.
(٣) القطا: مفردها قطاة وهي نوع من الحمام.

فقالت المرأة: أوّه، ثم مضت ومضينا، حتى إذا كنا بمَفْرَق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت أنا إلى منزلي، فإذا أنا بجُويرية تجذب ردائي، فالتفتّ إليها فقالت: المرأةُ التي كلمَتْك تدعوك، فمضيت معها حتى دخلت داراً، ثم صرت إلى بيت فيه حصير، وَثُنيتْ لي وسادة فجلست عليها، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها، وجاءت المرأة فجلست عليها وقالت: أنت المجيب عن الغلام؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أفظَّ جوابك وأغلظه! قلت: واللَّه ما حضرني غيره، فبكت ثم قالت لي: واللَّه ما خلق اللَّه خلقاً أحب إليّ من إنسان كان معك. قلت: وأنا الضامن لك عنه ما تحبين. قالت: أو تفعل؟ قلت: نعم، فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة، وانصرفت، فإذا الفتى ببابي فقلت: ما جاء بك؟ قال: علمت أنها سترسل إليك، وسألتُ عنك فلم أجدك فعلمت أنك عندها فجلست أنتظرك. فقلت: فقد كان كل ما ظننت، ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة. فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا ورحنا، فإذا الجارية تنتظرنا، فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار، فإذا برائحة الطيب، وجاءت فجلست مَلِيّاً ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً ثم قالت:

صـــوت

وأنـتَ الـذي أخـلـفـتـنـي مـا وعـدتـنـي ... وأشـمـتَّ بـي مـن كـان فـيـك يـلـومُ
وأبـرزتـنـي لـلـنـاس ثـم تـركـتـنـي ... لـهـم غـرضـاً أرمـى وأنـت سـلـيـمُ
فـلـو أن قـولاً يَـكْـلُـم الـجـسـمَ قـد بـدا ... بـجـسـمـيَ مـن قـول الـوُشـاة كُـلُـومُ

[الطويل]

ثم سكتت فسكت الفتى هنيهة ثم قال:

غـدرتِ ولـم أغـدُر وخُـنـت ولـم أخُـنْ ... وفـي دون هـذا لـلـمُـحـبّ عـزاءُ
جَـزَيْـتُـك ضِـعـف الـودّ ثـم صَـرَمـتِـنِـي ... فـحـبُّـكِ فـي قـلـبـي إلـيـكِ أداءُ

[الطويل]

فالتفتتْ إليَّ وقالت: ألا تسمع ما يقول؟ قد أخبرتُك، قال: فغمزتُه فكفَّ ثم قالت:

صـــوت

تـجـاهـلـتَ وصـلـي حـيـن لـجَّـتْ عَـمـايـتـي ... وهـلَّا صـرمـتَ الـحـبـل إذْ أنـا مُـبـصـرُ
ولـي مـن قُـوَى الـحَـبْـلِ الـذي قـد قـطـعـتَـه ... نـصـيـبٌ وإذْ رأيـي جَـمـيـعٌ مُـوفَّـرُ

ولـكـنـمـا آذَنْـتَ بـالـصُّـرْمِ بـغـتـةً ولـسـتُ عـلـى مـثـل الـذي جـئـتَ أقْـدِرُ
[الطويل]

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر حبش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر.

قال: فقال الفتى مجيباً لها:

لـقـد جـعـلـت نـفـسـي ـ وأنـت اجـتـرمْـتـه وكـنـتِ أحـبَّ الـنـاس ـ عـنـك تَـطـيـبُ
[الطويل]

فبكت ثم قالت: أو قد طابت نفسك، ولا واللَّه ما فيك خير بعدها فعليك السلام، ثم قامت والتفتت إليّ وقالت: قد علمتُ أنك لا تفي بضمانك عنه. وانصرفنا.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي قال:

كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به وأفعل مثل ذلك، فجائني يوماً فوقف بين البابين وأنشد لابن الدمينة:

صـــوت

ألا يـا صَـبَـا نَـجْـدٍ مـتـى هـجـتِ مـن نَـجْـدِ فـقـد زادنـي مـسـراك وَجْـداً عـلـى وَجْـدِ
أأن هـتـفـتْ ورقـاءُ فـي رَوْنَـق الـضُّـحـى عـلـى فَـنَـنٍ[1] غـضّ الـنـبـات مـن الـرَّنْـدِ[2]
بـكـيـت كـمـا يـبـكـي الـحـزيـنُ صـبـابـةً وذُبْـتَ مـن الـشـوق الـمـبـرِّح والـصَّـدِّ
بـكـيـت كـمـا يـبـكـي الـولـيـدُ ولـم تـكُـنْ جَـزُوعـاً وأبـديْـتَ الـذي لـم تـكـن تُـبـدِي
وقـد زعـمـوا أنّ الـمُـحِـبَّ إذا دَنَـا يـمَـلُّ وأن الـنَّـأيَ يَـشـفـي مـن الـوَجْـدِ
بـكُـلٍّ تـداويـنـا فـلـم يَـشْـفِ مـا بـنـا عـلـى أنّ قُـرْبَ الـدار خـيـرٌ مـن الـبُـعْـدِ
[الطويل]

وزيد على ذلك بيت وهو:

ولـكـنّ رب الـدار لـيـس بـنـافـع إذا كـان مـن تـهـواه لـيـس بـذي ودِّ
[الطويل]

---

(١) الفَنَن: الغصن، جمعها أفنان.
(٢) الرَّنْد: ضرب من الشجر، رائحته طيبة ويشبه الآس شكلاً.

ثم ترنح ساعة ودُيِّخ أخرى ثم قال: أنْطَح العمود برأسي من حسن هذا؟ فقلت: لا، أرفُقْ بنفسك.

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم، له فيه لحنان: أحدهما ماخوري بالبنصر أوله البيت الثاني، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوله البيت الأول.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد اللَّه بن إبراهيم الجُمحيّ قال: حدثني أحمد بن سعيد عن ابن زَبَنَّجٍ راوية ابن هَرْمة قال:

لقي ابنُ هَرْمة بعضَ أصدقائه بالبلاط فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من المسجد، قال: فأي شيء صنعت هناك؟ قال: كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومي، قال: فأي شيء قال لك؟ قال: أمرني أن أطلق امرأتي، قال: فأي شيء قلت له؟ قال: ما قلت له شيئاً، قال: فواللَّه ما قال لك ذلك إلَّا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه، أفرأيت إن أمرته بطلاق امرأته أيطلقها؟ قال: لا واللَّه قال: فابن الدمينة كان أنصف منك، كان يهوى امرأة من قومه فأرسلت إليه: إن أهلي قد نهوني عن لقائك ومراسلتك، فأرسل إليها:

صـوت

أطـعْـتِ الآمـرِيـك بـقـطْـع حـبـلـي ... مُـريـهـمْ فـي أحـبـتِـهـمْ بـذاكِ
فـإنْ هُـمْ طـاوعـوك فـطـاوعـيـهـم ... وإن عـاصَـوْكِ فـاعْـصِـي مـن عـصـاكِ
أمَـا والـراقـصـاتِ بـكُـل فـجٍّ ... ومـن صـلَّـى بـنَـعـمـان الأراكِ
لـقـد أضـمـرتُ حُـبَّـك فـي فـؤادي ... ومـا اضـمـرتُ حـبّـاً مِـنْ سـواكِ

[الوافر]

في هذه الأبيات لإسحاق رمل، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى، ولعريب خفيف ثقيل ابتداؤه نشيد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول، وفيه لمُتَيَّم خفيف رمل آخر.

وحدثني بعض أصدقائنا، عن أبي بكر بن دريد ولم أسمعه منه قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه. ووجدته أيضاً في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعيّ، فجمعت الحكايتين قال:

مررت بالكوفة وإذا أنا بجارية تَطَّلع من جدار إلى الطريق، وفتى واقف وظهره

إليّ وهو يقول لها: أسهر فيك وتنامين عني، وتضحكين مني وأبكي، وتستريحين وأتعب، وأمْحَضُك[١] المودة وتَمْذُقينها[٢] لي، وأصدقك وتنافقينني، ويأمرك عدوّي بهجري فتطيعينه، ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه. ثم تنفس وأجهش باكياً، فقالت له: إن أهلي يمنعونني منك وينهونني عنك فكيف أصنع؟ فقال لها:

أرَيْتِ الآمريكِ بصَرْم[٣] حَبْلِي ... مُرِيهم في أحبتهم بذاكِ
فإن هم طاوعوك فطاوعيهم ... وإن عاصوك فاعصي من عصاكِ

[الوافر]

ثم التفت فرآني فقال: يا فتى، ما تقول أنت فيما قلت؟ فقلت له: واللَّه لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك.

تمت أخبار ابن الدمينة.

صوت

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدَّا
فما أحمِل الحِقْدَ القديمَ عليهمُ ... وليس رئيس القوم من يحمل الحِقْدَا
وليسوا إلى نصري سِراعاً وإنْ هُمُ ... دَعوني إلى نَصْرٍ أتيتُهُم شَدَّا
إذا أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومهمْ ... وإن هدموا مَجدي بنيتُ لهم مجْدَا
يعاتبني في الدَّيْن قومي وإنما ... تَديَّنْتُ في أشياء تُكسِبهم حَمْدَا

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر للمُقنَّع الكِنديّ، والغناء لابن سُريج رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه من روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى، وذكر علي بن يحيى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل، وذكر إبراهيم أن فيه لِقَفَا النَّجَّارِ لحناً لم يذكر طريقته، وأظنه من خفيف الثقيل.

(١) امحضُك: أخلص لك.
(٢) تمذقينها: تشوبينها، تخلطينها.
(٣) الصَّرم: القطع.

نسب المقنع الكندي وأخباره

المُقَنَّع لقب غلب عليه لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سَفَر اللثامَ عن وجهه أصابته العين.

قال الهيثم: كان المقنع أحسن الناس وجهاً وأمدَّهم قامة وأكملهم خَلْقاً، فكان إذا سَفَر لُقِعَ أي أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت[١]، فكان لا يمشي إلا مقنعاً.

واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شَمر بن فُرْعان بن قيس بن الأسود بن عبد اللَّه بن الحارث الوَلَّادة ـ سمي بذلك لكثرة ولده ـ ابن عمرو بن معاوية بن كندة بن عُفير بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محمل كبير وشرف ومروءة وسؤدَد في عشيرته.

قال الهيثم بن عدي: كان عمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شَمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها فيقصّر عنه، ونشأ محمد بن عمير المقنّع فكان مُتَخرِّقاً[٢] في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء، حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم، وهوى بنت عمّه عمرو فخطبها إلى إخوتها فردّوه وعيّروه بتخرّقه وفقره وما عليه من الدَّين فقال هذه الأبيات المذكورة.

فأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن زكريا الغلابي، عن العُتبي قال: حدثني أبو خالد من ولد أمية بن خلف قال:

قال عبد الملك بن مروان ـ وكان أول خليفة ظهر منه بخل ـ: أي الشعراء أفضل؟ فقال له كثير بن هَراسة يُعرّض ببخل عبد الملك: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول:

---

(١) العَنَت: الشِّدة.

(٢) المتخرِّق: المبالغ في إغداق العطايا على الناس لدرجة الإسراف.

إنـي أحـرِّض أهـلَ الـبـخـل كـلَّـهـمُ ... لـو كـان يـنـفـع أهـل الـبـخـلِ تَـحـريـضـي
مـا قـلَّ مـالـيَ إلَّا زادنـي كـرمـاً ... حـتـى يـكـون بـرزق الـلَّـه تَـعـويـضـي
والـمـالُ يـرفـع مـن لـولا دراهـمُـه ... أمـسـى يـقـلِّـب فـيـنـا طَـرفَ مَـخـفـوضِ
لـن تُـخـرج الـبِـيـضُ عَـفـواً مـن أكـفِّـهـمُ ... إلا عـلـى وجـع مـنـهـم وتـمـريـضِ
كـأنـهـا مـن جـلـود الـبـاخـلـيـن بـهـا ... عـنـد الـنـوائـب تُـحْـذى بـالـمـقـاريـضِ

[البسيط]

فقال عبد الملك وعرف ما أراد: اللَّه أصدق من المقنع حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧].

صـوت

يـا ابـن هـشـام يـا عَـلِـيَّ الـنَّـدَى ... فـدتْـك نـفـسـي ووقـتـك الـرَّدَى
نـسـيـتَ عـهـدَي أو تـنـاسـيـتـنـي ... لـمَّـا عَـدانـي عـنـك صَـرْفُ الـنَّـوَى

[السريع]

خبر لإسحاق وابن هشام

الشعر والغناء لإسحاق الموصلي رمل بالبنصر، وهذا الشعر يقوله في عليّ بن هشام أيام كان إسحاق بالبصرة، وله إليه رسالة حسنة هذا موضع ذكرها، أخبرنا بها علي بن يحيى المنجم عن أبيه، ووقعت إلينا من عدة وجوه.

إن إسحاق كتب إلى عليّ بن هشام: جُعِلت فداك بعث إليّ أبو نصر مولاك بكتاب منك إليّ يرتفع عن قدري، ويقصر عنه شكري، فلولا ما أعرف من معانيه لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فما لنا ولك يا عبد اللَّه، تدعنا حتى إذا أُنسينا الدنيا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا، وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا، فبأي شيء تستحل هذا؟ فأما ما ذكرتَه من شوقك إليّ، فلولا أنك حلفْتَ عليه لقلت:

يا من شكا عبثاً إلينا شوقَه ... شكوى المحِبِّ وليس بالمشتاقِ
لو كنتَ مشتاقاً إليّ تُريدني ... ما طبتَ نفساً ساعةً بفراقي
وحفظتَني حِفْظَ الخليل خليلَه ... ووفيتَ لي بالعهد والميثاقِ
هيهاتَ قد حدثتْ أمورٌ بعدنا ... وشُغلْتَ باللَّذَّات عن إسحاقِ

[الكامل]

وقد تركتُ جعلتُ فداك ما كرهت من العتاب في الشعر وغيره، وقلتُ أبياتاً لا أزال أخرج بها إلى ظهر المِرْبَد واستقبل الشَّمَال، وأتنسَّم أرواحكم فيها، ثم يكون ما اللَّه أعلم به، وإن كنتَ تكرهها تركتها إن شاء اللَّه:

ألَا قد أرى أنَّ الثَّواءَ[1] قليلُ ... وأنْ ليس يَبقى للخليل خليلُ
وإني وإن مُكِّنْتُ في العيش حِقبة ... كذي سفر قد حان منه رحيلُ
فهل لي إلى أن تَنظر العينُ مرَّةً ... إلى ابن هشام في الحياة سبيلُ
فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة ... وفي النفس منه حاجة وغليلُ

[الطويل]

(١) الثَّواء: الإقامة والمكوث.

وأما بعد، فإني أعلم أنك وأن لم تَسَلْ عن حالي تحب أن تعلمها وأن تأتيك عني سلامة، فأنا يوم كتبت إليك سالم البدنِ مريضُ القلبِ، وبعد، فأنا جُعِلتُ فداك في صنعة كتاب مليح ظريف، فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم وأسبابهم وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غِنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قِيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات، وما قيل فيهن من الأشعار، ولمن كُنّ وإلى مَنْ صِرْنَ ومَن كان يغشاهن، ومن كان يُرخص في السماع من الفقهاء والأشراف، فأعلمني رأيك فيما تشتهي لأعمل على قدر ذلك إن شاء اللَّه. وقد بعثت إليك بأنموذج، فإن كان كما قال القائل: قبّح اللَّهُ كلَّ دَنٍّ[1] أولُه دُرْديٌّ[2]، لم نتجشم إتمامه، وربحنا العَنَاء فيه، وإن كان كما قال العربي: إن الجواد عينُه فُرارُه أعلمتنا فأتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه إن شاء اللَّه.

وهذا مما يدل على أن كتاب الأغاني المنسوب إلى إسحاق ليس له، وإنما ألف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء غير مختلط بعضها ببعض.

وكان إسحاق يألف عليّاً وأحمد ابنَيْ هِشام وسائر أهلهما ألْفاً شديداً، ثم وقعت بينهم نَبْوَة ووحشة في أمر لم يقع إلينا إلا لُمعاً غير مشروحة، فهجاهم هجاء كثيراً، وانفرجت الحال بينه وبينهم.

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وغيرهما، عن أبي أيوب سليمان المديني.

عن مصعب قال: قال لي أحمد بن هشام: أما تستحي أنت وصُبَاح بن خاقان، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب، أن شبب بذكركما إسحاق في الشعر، وهو مغن مذكور فيقول:

قد نهانا مُصعَبٌ وصُبَاحٌ ... فعصينا مصعباً وصُباحَا
عَذَلاً ما عَذَلَا أم مَلاماً ... فاسترحنا منهما واستراحَا

[المديد]

ويروى: علما في العذل أم قد ألاما.

ويروى: عذلا عذلهما ثم أناما.

(١) الدَّن: الراقود العظيم.
(٢) الدُّردي: ما يبقى في أسفل الزيت.

فقلت: إن كان فعل فما قال إلا خيراً، إنما ذكر أنَّا نهيناه عن خمر شربها وامرأة عشقها، وقد أشاد باسمك في الشعر بأشد من هذا، قال: وما هو؟ قلت: قوله:

وصافيةٍ تغشى العيون رقيقةٍ ... رهينة عام في الدِّنان وعامِ
أدَرْنا بها الكأسَ الرَّويَّة مَوْهِناً ... من الليل حتى انْجابَ كلّ ظلامِ
فما ذرّ قرنُ الشمس حتى كأننا ... من العِيِّ نحكي أحمد بنَ هِشامِ

[الطويل]

قال: أوقد فعل العاضُّ بظْر أمه؟ قلت: إي واللَّه لقد فعل.

إلى هاهنا رواية مصعب.

ووجدت هذا الخبر في غير روايته وفيه زيادة فذكرتها، قال: فآلى أحمد بن هشام أن يبلغ فيه كل مبلغ يقدر عليه، وأن يجتهد في اغتياله، قال إسحاق حضرت بدار الخليفة وحضر علي بن هشام فقال لي: أتهجو أخي وتذكره بما بلغني من القبيح؛ فقلت: أو يتعرض أخوك لي ويتوعدني؟ فواللَّه ما أبالي بما يكون منه، لأني أعلم أنه لا يقدر لي على ضر، والنفع فلا أريده منه، وأنا شاعر مُغَنٍّ، واللَّه لأهجونه بما أفري به جِلْده وأهتك مروءته، ثم لأغنين في أقبح ما أقوله فيه غناء تسري به الرُّكبان، فقال لي: أو تَهَب لي عِرضه وأصلح بينكما، فقلت: ذاك إليك، وإن فعلته فلك لا له، ففعل ذلك وفعلته به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال:

كان صُباح بن خاقان المنقري نديماً لمصعب الزبيري، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة وكان خليعاً من أهل البصرة.

من يكن إبطه كآباط ذا الـ ... ـلْق فإبطاي في عداد الفِقَاح
لِيَ إبْطَانِ يَرميان جَليسي ... بشبيه السُّلاح بلْ بالسُّلاحِ[1]
فكأني من نتن هذا وهذا ... جالس بين مُصعبٍ وصُبَاح

[الخفيف]

أخبرني علي بن يحيى المنجم قال: حدثني أبي قال:

حدثني إسحاق قال: دخلت على الفضل بن الربيع يوماً فقال: ما عندك؟ قلت: بيتان أرجو أن يكونا فيما يُستظرف وأنشدته:

---

(١) السُّلاح: النَّجو.

سنغضي على المكروه من كل ظالم ونصبر حتى يصنع اللَّه بالفَضْلِ
فتنتصر الأحرار ممن يَضِيمها وتُدرك أقصى ما تُطالب من ذَحْلِ[1]
[الطويل]

قال: فدمعت عينه وقال: من آذاك لعنه اللَّه؟ فقلت: بنو هشام، وأخبرته الخبر.

قال يحيى بن علي: ولم يذكر بأي شيء أخبره.

صوت

قد حصَّتِ البيضَةُ رأسي فما أطعم نوماً غيرَ تَهْجَاعِ
أسعى على جُلِّ بني مالك كلُّ امرىءٍ في شأنه سَاعِي
مَنْ يَذُقِ الحربَ يَجِدْ طعمَهَا مُرّاً وتتركه بجَعْجَاعِ[2]
لا نَألَم القتلَ ونَجزي به الـ أعداء كيلَ الصاع بالصاعِ
[السريع]

الشعر لأبي قيس بن الأسْلت، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول، وقيل بل هو لمعبد.

(١) الذَّحل: الثأر.
(٢) الجعجاع: الأرض الجدبة القاحلة والمكان الضيق الخشن.

نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

أبو قيس لم يقع إليّ اسمه غير ابن الأسلت، والأسلت لقب غلب عليه واسمه عامر بن جُشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. وهو شاعر من شعراء الجاهلية، وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها، وجعلته رئيساً عليها، فكفى وساد؛ وأسلم ابنُه عقبةُ بن أبي قيس واستُشهد يوم القادِسِيَّة.

وكان يزيد بن مرداس السُّلَمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قَتَلَ قيسَ بنَ أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارونُ بنُ النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس بن أبي قيس، وهو ابن عمه، ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت:

أَقَيْسٌ إنْ هلكتُ وأنت حيٌّ فلا تَعْدَمْ مُواصلةَ الفقيرِ

[الوافر]

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله أبو قيس في حرب بُعاث.

قال هشام بن الكلبي: كانت الأوسُ قد أسندوا أمرهم في يوم بُعاث إلى أبي قيس بن الأسلت الوائلي، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شَحَبَ وتغير، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة، ثم إنه جاء ليلة فدقَّ على امرأته وهي كَبشة بنت ضَمْرة بن مالك بن عدي بن عمرو بن عوف ففتحت له، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس، فقالت: واللَّه ما عرفتك حتى تكلمتَ، فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة وأولها:

قالتْ ولم تقصد لِقيل الخَنا مهْلاً فقد أبلغْت أسماعي
إستنكرتْ لوناً له شاحباً والحرب غُولٌ ذات أوجاعِ
مَن يذقِ الحربَ يجدْ طعمها مُرّاً وتتركه بجَعْجاعِ

[السريع]

يوم بعاث:

فأما السبب في هذا اليوم وهو يوم بعاث فيما أخبرني به محمد بن جرير الطبري

قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق. وأضفت إليه ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي عبيدة، عن محمد بن عمار بن ياسر، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد اللَّه بن حنظلة الغسْيل بن أبي عامر الراهب.

أن الأوس كانت استعانت ببني قُريظة والنَّضير في حروبهم التي كانت بينهم، وبلغ ذلك الخزرجَ فبعثت إليهم: إن الأوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا، ولن يُعْجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب، فإن ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون، وإن ظفرتم لم ننم عن الطلب أبداً، فتصيروا إلى ما تكرهون، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون، وأسْلَمُ لكم من ذلك أن تَدعونا وتُخلوا بيننا وبين إخواننا، فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق، فأرسلوا إلى الخزرج: إنه قد كان الذي بلغكم، والتمست الأوس نصرنا، وما كنا لننصرهم عليكم أبداً. فقالت لهم الخزرج: فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون في أيدينا. فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم، ففرقهم الخزرج في دورهم، فمكثوا بذلك مدة.

ثم إن عمرو بن النعمان البياضيّ قال لقومه بياضة: إنّ عامراً أنزلكم منزل سوء بين سبخة[1] ومفازة، وإنه واللَّه لا يمس رأسي غسلٌ حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل، ثم راسلهم: إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها، وإما أن نقتل رُهُنَكُم، فهموا أن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسد القُرظيّ: يا قوم، امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرُّهُن، واللَّه ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن فاجتمع رأيهم على ذلك، فأرسلوا إلى عمرو بأن لا نَسلم لكم دورنا، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا فقوموا لنا به، فغدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوهم، وأبى عبدُ اللَّه بنُ أبيّ وكان سيداً حليماً وقال: هذا عقوق ومَأثم وبَغْي، فلست مُعيناً عليه ولا أحدٌ من قومي أطاعني، وكان عنده في الرُّهُنِ سليمانُ بن أسد القُرظي، وهو جد محمد بن كعب القرظي، فخلى عنه، وأطلق ناسٌ من الخزرج نفراً فلحقوا بأهليهم، فناوشت الأوسُ الخزرجَ يوم قَتْل الرهن شيئاً من قتال غير كبير.

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد أخي بني عمرو بن قُريظة ثم تَوَامروا أن يعينوا الأوس على الخزرج، فبعث إلى الأوس بذلك، ثم أجمعوا عليه على أن

(١) السَّبخة: الأرض ذات النزّ والمِلح جمعها سِباخ.

ينزل كل أهل بيت من النَّبيت على قريظة والنضير، ينزلوا معهم في دورهم، فأرسلوا إلى النبيت يأمرونهم بإتيانهم ويعاهدونهم ألا يسلموهم أبداً وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد. فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج، فأجابوهم إلى ذلك، فاجتمع الملأ منهم، واستحكم أمرهم، وجدُّوا في حربهم، ودخلت معهم قبائل من أهل المدينة، منهم بنو ثعلبة وهم من غسان، وبنو زَعُوراء وهم من غسان، فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا ثم خرجوا، وفيهم عمرو بن النعمان البياضي، وعمرو بن الجَموح السَّلَمي، حتى جاؤوا عبد اللَّه بن أبيٍّ وقالوا له: قد كان الذي بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا، وإنا نرى أن نقاتلهم فإن هزمناهم لم يُحْرِزْ أحداً منهم مَعْقِلُه ولا مَلْجؤه حتى لا يبقى منهم أحد، فلما فرغوا من مقالتهم قام عبد اللَّه بن أبي خطيباً وقال: إن هذا بَغْيٌ منكم على قومكم وعقوق، واللَّه ما أحب أن رِجْلاً[1] من جَرادٍ لقيناهم، وقد بلغني أنهم يقولون: هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت؟ واللَّه إني أرى قوماً لا ينتهون أو يُهلِكوا عامَّتَكُمْ، وإني لأخاف إن قاتلوكم أن يُنْصروا عليكم لبغيكم عليهم، فقاتلُوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم، فإذا ولَّوا فخلوا عنهم، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلَّوْا عنكم. فقال له عمرو بن النعمان: انتفخ واللَّه سَحْرُك[2] يا أبا الحارث حين بلغك حِلْف الأوس قُريظةَ والنَّضيرَ. فقال عبد اللَّه: واللَّه لا حَضَرتُكم أبداً ولا أحدٌ أطاعني أبداً، ولكأَني أنظر إليك قتيلاً تحملك أربعة في عباءة. وتابع عبدَ اللَّه بن أبيّ رجالٌ من الخزرج منهم عمرو بن الجموح الحراميّ، واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي وولوه أمر حربهم. ولبثت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب، ويجمع بعضهم لبعض، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب، فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شماس فأجابوه وأقبلوا إليهم، وأقبلت جهينة إليهم أيضاً. وأرسلت الأوس إلى مُزينة. وذهب حُضَيرُ الكتائب الأشهليُّ إلى أبي قيس بن الأسلت فأمره أن يجمع له أوس اللَّه، فجمعهم له أبو قيس، فقام حُضَير فاعتمد على قوسه وعليه نَمِرَةٌ[3] تَشفّ عن عورته، فحرضهم وأمرهم بالجِدّ في حربهم، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج

(١) الرِّجل: القطعة العظيمة من الجراد.

(٢) السَّحْر: الرِّئة، وأراد هنا امتلاء الجوف خوفاً وفزعاً.

(٣) النَّمِرَة: الشملة من الصوف فيها خطوط بيض وسود.

النبيت وإذلال من تخلف من سائر الأوس، في كلام كثير، فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويحمى وتَقْلِص خُصْياه حتى تغيبا، فإذا كلموه بما يُحب تدلّتا حتى ترجعا إلى حالهما، فأجابته أوس اللَّه بالذي يجب من النصرة والموازرة والجد في الحرب.

قال هشام: فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى، عن خير، عن أشياخ من قومه.

أن الأوس اجتمعت يومئذٍ إلى حضير بموضع يقال له الجباة، فأجالوا الرأي فقالت الأوس: إن ظفرنا بالخزرج لم نُبق منهم أحداً، ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم، فقال حُضَير: يا معشر الأوس، ما سميتم الأوس إلى لأنكم تُؤسون الأمور الواسعة، ثم قال:

يا قوم قد أصبحتمُ دَوَارَا لمعشر قد قتلوا الخِيارَا
يوشك أن يستأصلوا الديارَا

[الرجز]

قال: ولمّا اجتمعوا بالجباة طرحوا بين أيديهم تمراً وجعلوا يأكلون، وحضير الكتائب جالس، وعليه بُرْدة له قد اشتمل بها الصّمَّاء، وما يأكل معهم ولا يدنوا إلى التمر غضباً وحنقاً[1]، فقال: يا قوم اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت، فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك، فإني لم أرأس على قوم في حرب قطّ إلا هُزموا وتشاءموا برياستي قال: وجعلوا ينظرون إلى حضير واعتزاله أكلهم، واشتغاله بما هم فيه من أمر الحرب وقد بدت خُصياه من تحت البرد، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصتا غيظاً وغضباً، وإذا رأى منهم ما يُحب من الجد والتشمير في الحرب عادتا لحالهما، وأجابت إلى ذلك أوس مَنَاة وجَدُّوا في الموازرة والمظاهرة، وقَدِمت مُزينة على الأوس، فانطلق حضير وأبو عامر الراهب بن صيفي إلى أبي قيس بن الأسلت فقالا: قد جاءتنا مزينة، واجتمع إلينا من أهل يثرب ما لا قبل للخزرج به فما الرأي إن نحن ظهرنا عليهم الإنجاز، أم البَقِيَّة؟ فقال أبو قيس: بل البقية، فقال أبو عامر: واللَّه لوَددت لو أن مكانهم ثعلباً ضَبَّاحاً، فقال أبو قيس: اقتلوهم حتى يقولوا بزا بزا، كلمة كانوا يقولونها إذا غُلبوا، فتشاجروا في ذلك، وأقسم حضير ألَّا يشرب الخمر أوْ يَظْهرَ ويَهدم مُزاحِماً أطُمَ عبد اللَّه بن أبيّ، فلبثوا شهرين يُعِدُّون ويستعدّون، ثم التقوا ببُعاث، وتخلف

(١) الحَنق: شدَّة الغيظ.

عن الأوس بنو حارثة بن الحارث، فبعثوا إلى الخزرج: إنَّا واللَّه ما نريد قتالكم، فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا برهن منكم يكونون في أيدينا، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً منهم خديج أبو رافع بن خديج. وبُعَاث من أموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قُورَى، فلذلك تدعى بعاث الحرب. وحشد الحيَّان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذِكْر له، ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه، فلما رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموهم وقالوا لحضير: يا أبا أسيد، لو حاجزتَ القومَ وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مُزينة، فطرح قوساً كانت في يده ثم قال: أنتظر مزينة وقد نظر إليّ القوم ونظرت إليهم؛ الموتُ قبل ذلك، ثم حمل وحملوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت الأوس حين وجدوا مَسَّ السلاح، فولّوا مُصْعِدين في حرَّة قورى نحو العريض، وذلك وجهُ طريق نَجْد، فنزل حضير، وصاحت بهم الخزرج: أين الفرار؟ ألا إن نَجْداً أسْنَهُ أي مجدب، يُعيِّرونهم، فلما سمع حُضيرٌ طَعَن بسنان رُمحه فخذه ونزل وصاح: واعَقْراه، واللَّه لا أريم[1] حتى أُقْتلَ فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسلموني فافعلوا، فتعطفت عليه الأوس، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة، وهما يومئذٍ مُعَرسان ذوا بطش، فجعلا يرتجزان ويقولان:

أيَّ غُـــلامَـــيْ مَـــلِـــكٍ تـــرانَـــا فـــي الـــحـــرب إذ دارت بـــنـــا رحـــانَـــا

وعـــدّد الـــنـــاسُ لـــنـــا مـــكـــانَـــا

[الرجز]

فقاتلا حتى قُتِلا، وأقبل سهم حتى أصاب عمروَ بنَ النعمان رَأسَ الخزرج فقتله، لا يُدْرَى مَن رَمى به، إلَّا أن بني قريظة تزعم أنه سهم رجل يقال له أبو لُبابة، فقتله، فبينا عبد اللَّه بن أبيّ يتردد على بغلة له قريباً من بعاث يتجسس أخبار القوم إذ طُلع عليه بعمرو بن النعمان ميتاً في عباءة، يحمله أربعة إلى داره، فلما رآه عبد اللَّه بن أبي قال: من هذا؟ قالوا: عمرو بن النعمان، قال: ذق وبال العقوق. وانهزمت الخزرج ووضعت الأوس فيهم السلاح، وصاح صائح: يا معشر الأوس أسْجِحُوا[2] ولا تُهلكوا إخوتكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب، فتناهت الأوس وكفّت عن سلبهم بعد إثخان فيهم، وسلبتهم قُرَيظةُ والنَّضيرُ، وحملت

(١) لا أُريم: لا أجاوز موضعي إلى غيره، أي لا أبرح مكاني.

(٢) أسجحَ: عفا وصفح.

الأوسُ حُضيراً من الجراح التي به وهم يرتجزون حوله ويقولون:

كتيبة زيَّنَها مولاها لا كهلها هِدٌّ[1] ولا فتاها

[الرجز]

وجعلت الأوس تُحَرق على الخزرج نخلها ودورها، فخرج سعد بن معاذ الأشهلي حتى وقف على باب بني سَلِمةَ وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرَّعَل، وكان للخزرج على الأوس يومٌ. يقال له مُغَلّس ومُضَرِّس، وكان سعد بن معاذ حُمل يومئذٍ جريحاً إلى عمرو بن الجَمُوح الحراميّ فمَنَّ عليه وأجاره وأخاه يوم رَعَل، وهو على الأوس، من القطع والحرق، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث، وأقسم كعب بن أسد القُرظي ليُذلنَّ عبد اللَّه بن أبيٍّ وليلحقَنَّ رأسه تحت مُزاحم، فناداه كعب: انزل يا عدو اللَّه، فقال له عبد اللَّه: أنشدك اللَّه وما خَذَّلت عنكم، فسأل عما قال فوجده حقّاً فرجع عنه، وأجمعت الأوس على أن تهدم مُزاحماً أطُمَ عبد اللَّه بن أبيّ، وحلف حُضير ليهدِمنَّه، فكُلِّم فيه فأمرهم أن يَريثوا[2] فيه، فحفروا فيه كُوَّة، وأفلت يومئذٍ الزبيرُ بنُ إياس بن باطا ثابتَ بنَ قَيْس بن شماس أخا بني الحارث بن الخزرج، وهي النعمة التي كافأه بها ثابتٌ في الإسلام يوم بني قريظَة، وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس بن الأسلت بعد الهزيمة فقال له حضير: يا أبا قيس إن رأيت أن نأتي الخزرج قصراً قصراً وداراً داراً نقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد، فقال أبو قيس: واللَّه لا نفعل ذلك، فغضب حضير وقال: ما سميتم الأوس إلَّا لأنكم تَؤوسون الأمر أوساً، ولو ظفرتْ منا الخزرج بمثلها ما أقالوناها ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم، وكان حضير جُرح يومئذٍ جراحة شديدة، فذهب به كُليب بن صَيْفيّ بن عبد الأشهل إلى منزله في بني أمية بن يزيد، فلبث عنده أياماً ثم مات من الجراحة التي كانت به، فقبره اليوم في بني أمية بن يزيد.

قال: وكان يهوديٌّ أعمى من بني قريظة يومئذٍ في أطم[3] من أطامهم فقال لابنة له: أشرفي على الأطم فانظري ما فعل القوم، فأشرفت فقالت: أسمع الصوت قد ارتفع في أعلى قُورَى، وأسمع قائلاً يقول: اضربوا يا آل الخزرج، فقال: الدَّوْلة إذاً على الأوس، لا خير في البقاء، ثم قال: ماذا تسمعين؟ قالت: أسمع رجالاً يقولون:

(١) الهِدُّ: المهدود الضعيف.
(٢) يريث: يبطِئ.
(٣) الأطُم: القصر أو الحص.

يا آل الأوس، ورجالاً يقولون: يا آل الخزرج قال: الآن حمي القتال، ثم لبث ساعة ثم قال: أشرفي فاسمعي، فأشرفت فقالت: أسمع قوماً يقولون:

نـحـن بـنـو صـخـرة أصـحـاب الـرَّغَـلْ

قال: تلك بنو عبد الأشهل، ظفرتْ واللَّه الأوس ـ وصخرة أمهم بنت مرة بن ظفر أمُّ بني عبد الأشهل ـ ثم وثب فرحاً نحو باب الأطم فضرب رأسه بِخَاق بابه وكان من حجارة فسقط فمات.

وكان أبو عامر قد حلف لَيَركُزنّ رمحَه في أصل مُزاحم أطم عبد اللَّه بن أبيّ، فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به، وكانت تحت أبي عامر جميلةُ بنت عبد اللَّه بن أبيّ وهي أم حنظلة الغَسيل بن أبي عامر، فأشرف عليهم عبد اللَّه فقال: إني واللَّه ما رضيت هذا الأمر ولا كان عن رأيي، وقد عرفتم كراهتي له، فانصَرِفُوا عني، فقال أبو عامر: لا واللَّه لا أنصرف حتى أركز لوائي في أصل أطمك، فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف قال لهم: إن أبي شديدُ الوَجْدِ بي، فأشرفوا بي عليه ثم قولوا: واللَّه لئن لم تنصرف عنا لنرمينَّ برأسه إليك، فقالوا ذلك له، فركز رمحه في أصل الأطم ليمينه ثم انصرف عنهم، فذلك قول قيس بن الخَطيم:

صـبـحـنـا بـه الآطـامَ حـول مُـزَاحِـمٍ قَـوَانسُ[1] أُولَى بَيْضِنا[2] كالكواكبِ

[الطويل]

وأسر أبو قيس بن الأسلت يومئذٍ مُخَلّدَ بن الصامت الساعديَّ أبا مسلمةَ بن مُخَلَّد، واجتمع إليه ناس من قومه من مُزينة ومن يهود فقالوا. اقتله، فأبى وخلَّى سبيله وأنشأ يقول:

أسـرت مُـخَـلَّـداً فـعـفـوت عـنـه وعـنـد الـلَّـه صـالـحُ مـا أتَـيْـتُ

مُـزيـنـة عـنـده ويـهـود قُـورَى وقـومـي كـلّ ذلـكـمُ كَـفَـيْـتُ

[الوافر]

وقال خُفَاف بن نَدْبَة يرثي حُضَير الكتائب وكان نديمه وصديقه:

لـوَ أنّ الـمـنـايـا حُـدن عـن ذي مـهـابـةٍ لَـهِـبْـنَ حُـضـيـراً يـوم أغـلـق واقـمَـا[3]

(١) القوانس: مفردها القونس، وهو أعلى بيضة الحديد.
(٢) البيض: مفردها البيضة وهي الحديدة التي تُتقى بها السهام.
(٣) الواقم: الذي يقوم بجذب عنان الدابة أو الفرس.

أطاف به حتى إذا الليل جَنَّه تبوَّأ منه منزلاً مُتناعمَا
[الطويل]

وقال أيضاً يرثيه:

أتاني حديث فكذَّبتُه وقيل خليلك في المَرْمَسِ[1]
فيا عينُ بَكِّي حُضيرَ النَّدى حضيرَ الكتائب والمَجْلسِ
ويومٍ شديدِ أوارِ الحديدِ تقطَّعُ منه عُرَا الأنْفُسِ
صَلِيتَ به وعليك الحديـ ـدُ ما بين سَلْع إلى الأعْرُسِ
فأودى بنفسك يومُ الوغى ونَقَّى ثيابك لم تَدْنَسِ
[المتقارب]

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: حدثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابي قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنا جلوساً عند صالح بن حسان فقال لنا:

وأخبرني عمي، عن الكراني، عن النوشجاني، عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: قال لنا صالح بن حسان.

وأخبرني به الأخفش، عن المبرد قال: قال لي صالح بن حسان:

أنشدوني بيتاً خَفِراً[2] في امرأة خفرة شريفة، فقلنا: قول حاتم:

يضيء لها البيتُ الظليلُ خَصَاصُه إذا هي يوماً حاولتْ أن تَبسَّمَا
[الطويل]

فقال: هذه هي من الأصنام، أريد أحسن من هذا، قلنا: قول الأعشى:

كأن مشيتَها من بيت جارتها مرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ
[البسيط]

فقال: هذه خرَّاجة ولّاجة كثيرة الاختلاف، قلنا: بيت ذي الرمة:

تَنوء بأخراها فَلأياً قيامها وتَمشي الهوينا من قريب فَتُبهَرُ
[الطويل]

فقال: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن، فقلنا: ما عندنا شيء، فقال: قول أبي قيس بن الأسلت:

ويُكرمها جاراتها فيزُرْنَها وتَعتَلُّ عن إتيانهن فَتُعْذرُ

(١) المَرْمس: القبر.
(٢) الخَفِر: الحييّ.

ولـيـس لـهـا أن تـسـتـهـيـن بـجـارة ولـكـنـهـا مـنـهـن تَـحْـيَـا وتـخْـفَـرُ
[الطويل]

ثم قال: أنشدوني أحسن بيت وُصفت به الثُّريَّا، قلنا: بيت ابن الزِّبِير الأسدي:

وقـد لاح فـي الـقُـور[1] الـثـريّـا كـأنـمـا بـه رايـة بـيـضـاء تَـخْـفُـقُ لـلـطـعـنِ
[الطويل]

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا مـا الـثـريـا فـي الـسـمـاء تـعـرّضـت تـعـرُّض أثـنـاءِ الـوشـاح الـمُـفَـصَّـلِ
[الطويل]

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا بيت ابن الطَّثْرِيّة:

إذا مـا الـثـريـا فـي الـسـمـاء كـأنـهـا جُـمَـانٌ وَهَـى مـن سِـلْـكـه فـتـسـرَّعَـا
[الطويل]

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا: ما عندنا شيء، قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقـد لاح فـي الـصـبـح الـثـريـا لـمـن رأى كـعـنـقـود مُـلَّاحِـيَّـة[2] حـيـن نـوَّرا

قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الحسين بن أحمد بن طالب الديناري قال: حدثني أبو عدنان قال: حدثني الهيثم بن عدي قال: حدثني الضحاك بن زُمَيل السِّكسكي قال:

لما قتلَ عبدُ الملك بنُ مروان، مصعبَ بنَ الزبير خطب بالنُّخَيْلة فقال في خطبته: أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة، والآراء المتشتتة، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها، فقد جاريتمونا إلى السيف فرأيتم كيف صنع اللَّه بكم ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة، فإني لا أزداد بعدها إلا عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت:

مـن يـصـل نـاري بـلا ذنـب ولا تِـرَةٍ يَـصْـلَ بـنـارِ كـريـمٍ غـيـر غـدَّارِ
أنـا الـنـذيـر لـكـم مـنـي مـجـاهـرة كـيـلا ألام عـلـى نـهـيٍ وإعـذارِ
فـإن عـصـيـتـمْ مـقـالـي الـيـوم فـاعـتـرفـوا أنْ سـوف تـلـقـون خِـزْيـاً ظـاهـر الـعـارِ

(١) القور: مفردها القارة وهي الجبل الصغير.
(٢) المُلَّاحيَّة: عنب أبيض طويل.

لَـتُـتْـرَكُـنَّ أحـاديـثـاً ومـلـعـبـة ... عـنـد الـمُـقـيـم وعـنـد الـمُـدلِـج الـسـارِي
وصـاحـبُ الـوِتْـر لـيـس الـدهـرَ مُـدرِكَـه ... عـنـدي وإنـي لـطـلّابٌ لأوتـارِ
أقـم عَـوْجـتـه إن كـان ذا عِـوَجٍ ... كـمـا يُـقَـوِّم قِـدْحَ الـنَّـبـعـة الـبـارِي
[البسيط]

صـوت

تـرفَّـع أيـهـا الـقـمـر الـمـنـيـرُ ... لـعـلـك أن تـرى حُـجْـراً يـسـيـرُ
يـسـيـر إلـى مـعـاويـة بـن حـرب ... لـيـقـتـلـه كـمـا زعـم الأمـيـرُ
ألا يـا حُـجْـرُ حُـجْـرَ بـنـي عَـديٍّ ... تـلـقَّـتْـك الـسـلامـةُ والـسـرورُ
تـنـعَّـمـت الـجـبـابـر بـعـد حُـجْـرٍ ... وطـاب لـهـا الـخَـوَرنـق[1] والـسَّـديـرُ
[الوافر]

الشعر لامرأة من كندة ترثي حُجْرَ بن عديّ صاحبَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه، والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى، وفيه لَحُنَيْن هزج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشامي.

(١) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر، معرَّب: خورنكاه أي موضع للأكل، نهر بالكوفة.

خبر مقتل حجر بن عدي

حدثني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا محمد بن الحكم قال: حدثنا أبو مِخنف قال: حدثنا خالد بن قطن، عن المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير وفضيل بن حديج والحسن بن عقبة المرادي، وقد اختصرت جملاً من ذلك يسيرة تحرُّزاً من الإطالة.

أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم عليّ بن أبي طالب وشيعته وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان ويستغفر لعثمان ويزكيه، فيقوم حُجر بن عديّ فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] وإني أشهد أن من تذمون أحقّ بالفضل ممن تُطْرون، ومن تزكُّون أحق بالذم ممن تَعيبون. فيقول له المغيرة: يا حجر ويحك، اكفُفْ من هذا واتَّق غضبة السلطان وسطوته، فإنها كثيراً ما تقتل مثلك. ثم يكف عنه.

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر فنال من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولعنه ولعن شيعته، فوثب حجر فنعَر نعرة أسمعت كل من كان في المسجد وخارجه، فقال له: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تُولَع أو هَرِمت، مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فإنك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين، فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق واللَّه حجر، مُرْ لنا بأعطياتنا فإنا لا ننتفع بقولك هذا ولا يُجدى علينا، وأكثروا في ذلك، فنزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه ودخلوا ولاموه في احتماله حُجراً، فقال لهم: إني قد قتلته، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قِتلَة، إنه قد اقترب أجلي وضعف عملي، وما أحب أن أبتدئ أهل هذا المِصْر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد جرّبوا العمال.

قال الحسن بن عقبة: فسمعت شيخاً من الحيّ يقول: قد واللَّه جرّبناهم فوجدناه خيرهم.

قال: ثم هلك المغيرة سنة خمسين، فجُمِعت الكوفة والبصرة لزِياد، فدخلها ووجه إلى حجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً فقال له: قد بلغني ما كنتَ تفعله بالمغيرة فيحتمله منك، وإني واللَّه لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرأيت ما كنت تعرفني به من حب عليّ ووده، فإن اللَّه قد سلخه من صدري فصيّره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإن اللَّه قد سلخه من صدري وحوله حبّاً ومودة، وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيتَ ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجةٌ غُدوةً وحاجةٌ عشيَّة، إنك إنْ تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك وتُشيط[1] عندي دمَك، إني لا أحب التنكيل قبل التقْدِمة، ولا آخذ بغير حجة، اللَّهم اشهَدْ. فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلَّا ما يحب، وقد نصح وأنا قابل نصيحته.

ثم خرج من عنده فكان يتقيه ويهابه، وكان زياد يُدنيه ويكرمه ويفضّله، والشيعةُ تختلف إلى حجر وتسمع منه، وكان زياد يشتو بالبصرة ويَصيف بالكوفة، ويستخلف على البصرة سَمُرة بن جُنْدب، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث، فقال له عُمارة بن عقبة: إن الشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه، ولا أراه عند خروجك إلَّا ثائراً، فدعاه زياد فحذَّره ووعظه وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حُريث، فجعل الشيعة تختلف إلى حجر ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه، وتطيف بهم النَّظَّارة، ثم يمتلئ المسجد، ثم كثروا وكثر لغطهم، وارتفعت أصواتهم بذم معاوية وشتمه ونقص زياد، وبلغ ذلك عمرو بن حريث فصعد المنبر، واجتمع إليه أشراف أهل المِصْر، فحثهم على الطاعة والجماعة، وحذرهم الخلاف، فوثب إليه عُنُقٌ[2] من أصحاب حجر يُكبّرون ويشتمون، حتى دنوا منه فحَصَبوه وشتموه، حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليه بابه، وكتب إلى زياد بالخبر، فلما أتاه أنشد يتمثل بقول كعب بن مالك:

---

(١) تُشيط: تُهْدر أو تعرِّض للضياع.

(٢) العُنُق: سادة القوم.

فـلـمـا غـدوا بـالـعـرْض قـال سَـراتُـنـا عَـلامَ إذا لـم نـمـنـع الـعـرض يُـزْرَعُ
[الطويل]

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حُجر وأدَعْه نَكالاً لمن بعده، ويل أمك حُجْر لقد سقط بك العشاء على سِرْحان، ثم أقبل حتى أتى الكوفة فدخل القصر، ثم خرج وعليه قَبَاءُ سُندس ومُطْرف خز أخضر، وحُجْرٌ جالس في المسجد وحوله أصحابه ما كانوا، فصعد المنبر فخطب وحذر الناس ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط: اذهب فأتني بحجر، فذهب إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة، فسبوا الشرط فرجعوا إلى زياد فأخبروه فقال: يا أشراف أهل الكوفة، أتشجُّون بيد وتَأسون بأخرى؟ أبدانكم عندي وأهواؤكم مع هذا الهَجَاجَة[1] المذبوب[2]، أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر، فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذ اللَّه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فَمُرْنا به، قال: ليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر، فليدْعُ الرجلُ أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم، ففعلوا وجعلوا يقيمون عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم، فلما رأى زياد، خفة أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهب فأتني بحجر، فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا عَمَد السيوف، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حال دونه. فلما أتاه شداد قال له: أجب الأمير، فقال أصحاب حجر: لا واللَّه ولا نعمةَ عين، لا يجيبه، فقال لأصحابه: عَليَّ بعمد السيوف، فاشتدوا إليها فأقبلوا بها، فقال عمير بن يزيد الكلبي أبو العمرَّطة إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، فما يغني سيفي؟ قال: فما ترى؟ قال: قم من هذا المكان فالحق بأهلك يمنعك قومك، فقام وزيادٌ ينظر على المنبر إليهم، فغَشُوا حجراً بالعَمَد، فضرب رجلٌ من الحمراء يقال له بكر بن عُبيد رأسَ عمرو بن الحَمِق بعمود فوقع، وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعجلانُ بن ربيعة وهما رجلان من الأزد فحملاه فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عُبيد اللَّه بن مُوعد، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها.

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن زياد، عن عبيد اللَّه بن عون قال:

لما انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرا قبل قتل عبد الملك مُصْعَباً بعام فإذا أنا

(١) الهجاجة: الغبيّ الأحمق.
(٢) المذبوب: المجنون.

بالأحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني، ولا واللَّه ما رأيته منذ ذلك اليوم، وما كنت أرى لو رأيته أن أعرفه، فلما رأيته ظننته هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهت أن أسأله أنت ضارب عمرو بن الحمق فيكابرني، فقلت له: ما رأيتك منذ اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعته حتى يومي، ولقد عرفتك الآن حين رأيتك، فقال لي: لا تَعْدَم بَصَرَك، ما أثبت نظرك، كان ذلك أمر الشيطان أما واللَّه لقد بلغني أنه قد كان ٱمْرَأً صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضربة فأستغفر اللَّه، فقلت له: الآن ترى، لا واللَّه لا أفترق أنا وأنت حتى أضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت، قال: فناشدني وسألني باللَّه، فأبيت عليه ودعوت غلاماً يدعى بشيراً من سبي أصبهان، معه قناة له صلبة، فأخذتها منه ثم أحمل عليه، فنزل عن دابته، فألحقه حين استوت قدماه على الأرض، فأصفُق بها هامته، فخر لوجهه وتركته ومضيت، فَبَرَأ بعد ذلك، فلقيته مرتين من دهري، كل ذلك يقول لي: اللَّهُ بيني وبينك، فأقول له: اللَّهُ بينك وبين عمرو بن الحمق.

رجع الحديث إلى سياقه الأول

قال: فقال زياد وهو على المنبر لِتَقُمْ هَمْدانُ وتميمٌ وهوازنُ وأبناء بَغِيض ومَذْحج وأسد وغطفان فليأتوا جبَّانة كندة، ولْيَمضوا مِنْ ثَمَّ إلى حجر فليأتوني به، ثم كره أن تسير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف أو تنشب الحمِيَّة فيما بينهم فقال: لتقم تميم وهوازن وأبناء بغيض وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم ليمضوا إلى حجر فليأتوني به، ولْيَسِر أهلُ اليمن حتى ينزلوا جبانة الصيداويين وليمضوا إلى صاحبهم فليأتوني به. فخرجت الأزد وبَجيلة وخثعم والأنصار وقُضَاعة وخُزَاعة فنزلوا جبانة الصيداويين، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة.

قال أبو مِخْنف: فحدثني سعيد بن يحيى بن مِخْنف عن محمد بن مِخْنف قال: فإني لمع أهل اليمن وهم يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنف. أنا مُشيرٌ عليكم برأي، فإن قبلتموه رجوتُ أن تسلموا من اللائمة والإثم، أن تلبثوا قليلاً حتى تَكْفِيَكم عَجَلَةٌ في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم، فأجمع رأيهم على ذلك، فلا واللَّه ما كان إلَّا كَلَا

ولَا حتى أُتينا فقيل لنا: إن شباب مذحج وهمدان قد دخلوا فأخذوا كل ما وجدوا في بني بَجِيلة، قال فمرّ أهل اليمن على نواحي دور كندة مُعَذِّرين، فبلغ ذلك زياداً، فأثنى على مذحج وهمدان، وذم أهل اليمن، فلما انتهى حجر إلى داره ورأى قلة من معه قال لأصحابه: انصرفوا، فواللَّه ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك، فذهبوا لينصرفوا فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان، فعطف عليهم عُمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة، فجُرحوا وأسر قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبالكم تفرقوا لا تُقْتلوا، فإني آخذٌ في بعض هذه الطرق، ثم أخذ نحو طريق بني حرب من كندة، حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه، ثم انتهوا إلى تلك الدار فأخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناتهُ، فقال له حجر: ما تريد لا أبالك؟ فقال له: أريد واللَّه أن ينصرفوا عنك، فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثَبَت قائمه في يدي دونك، فقال له حجر: بئس واللَّه إذنْ ما دخلْت به على بناتك، أمَا في دارك هذه حائط أقتحمه أو خَوْخَة[1] أخرج منها، عسى اللَّه أن يسلّمني منهم ويسلّمك، فإن القوم إن لم يقدروا عليّ في دارك لم يضرك أمرهم. قال: بلى، هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة.

فخرج معه فتية من الحي يقصُّون له الطريق ويسلكون به الأزقة، حتى أفضى إلى النَّخَع، فقال عند ذلك: انصرفوا يرحمكم اللَّه، فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عبد اللَّه بن الحارث أخي الأشتر فدخلها، فإنه لذلك قد ألقى له عبد اللَّه الفرش، وبسط له البسط، وتلقاه بِبَسْط الوجه وحُسْن البشر إذ أُتيَ فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع، وذلك أن أمة سوداء يقال لها أدماءُ لقيتهم فقالت لهم: من تطلبون؟ قالوا: نطلب حُجْراً، فقالت: هُوَذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع، فخرج متنكراً وركب معه عبد اللَّه ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي، فنزل بها، فمكث يوماً وليلة، فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زيادٌ محمدَ بن الأشعث فقال: أما واللَّه لتأتِيَنّي بحجر أو لا أدع لك نخلةً إلا قطعتها ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إرْباً إرباً، فقال له: أمهلني أطلبه، قال: قد أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى.

(١) الخَوْخة: الفتحة في الباب الكبير.

وأُخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يُتَلُّ[١] تلاًّ عنيفاً، فقال حُجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد: ضَمِّنيه وخلّ سبيله ليطلب صاحبه، فإنه مُخَلًّى سِرْبُه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً، قال: أتضمنه لي؟ قال: نعم، قال: أما واللَّه لئن حاص عنك[٢] لأوردنك شَعُوبَ وإن كنتَ الآن عليّ كريماً، قال: إنه لا يفعل، فخلّى سبيله.

ثم إن حجر بن يزيد كلّمه في قيس بن يزيد وقد أُتي به أسيراً فقال: ما عليه من بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ وبلاءه مع أمير المؤمنين بِصِفّين ثم أرسل إليه فأُتي به فقال: قد علمتُ أنك لم تقاتل مع حجر أنَّك ترى رأيه، ولكن قاتلتَ معه حَمِيَّة، وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك، ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عُمَير، قال: آتيك به إن شاء اللَّه، قال: هات من يضمنه معك، قال: هذا حجر بن يزيد، قال حجر: نعم على أن تؤمنه على ماله ودمه، قال: ذلك لك، فانطلقا فأتيا به، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه حتى إذا بلغ سُرَرَها ألقوه فوقع على الأرض، ثم رفعوه فألقوه، ففُعل به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد فقال: أو لم تؤمنه؟ قال: بلى، لست أهريق له دماً، ولا آخذ له مالاً، فقال: هذا يُشْفى به على الموت، وقام كل من كان عنده من أهل اليمن فكلموه فيه، فقال: أتضمنونه لي بنفسه متى أحدث حدثاً أتيتموني به؟ قالوا: نعم، فخلّى سبيله.

ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة، ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاماً يدعى رَشيداً من سبي أصبهان فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنّك شيء من أمره، فإني خارج إليك، فاجمع نفراً من قومك وادخل عليه واسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية فيرى فيَّ رأيه، فخرج محمد إلى حجر بن يزيد وجرير بن عبد اللَّه وعبد اللَّه أخي الأشتر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر فأجاب، فبعثوا إليه رسولاً يعلمونه بذلك، فأقبل حتى دخل على زياد فقال له: مرحباً يا أبا عبد الرحمن، حرب في أيام الحرب، أوْ حَرْبٌ وقد سالم الناس «على نفسها تجني براقش»، فقال له: ما خلعت يداً عن طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعلى بيعتي، فقال: هيهات يا حُجر، أتشُجُّ بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكننا اللَّه منك أن نرضى؟ هيهاتَ واللَّه، فقال: ألم

(١) يُتَلُّ: يُصرَع.
(٢) حاص: حاد وعدل.

تُؤمنِّي حتى آتي معاوية فيرى فيّ رأيه؟ قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن، فلما مُضي به قال: أما واللَّه لولا أمانُهُ ما برح حتى يُلْقَط عَصَبُه، فأخرج وعليه بُرْنس في غداةٍ باردة، فحبس عشر ليال، وزيادٌ ما له عملٌ غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحَمق ورفاعة بن شدَّاد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل، فأتيا جبلاً فكمنا فيه، وبلغ عاملَ ذلك الرُّستاق[1] ـ وهو رجل من همدان يقال له عبيد اللَّه بن أبي بَلْتعة ـ خبرُهما، فسار إليهما في الخيل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو فكان بطنه قد استَسقى[2] فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة فكان شاباً قويّاً، فوثب على فرس له جواد وقال لعمرو: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تُقتل انج بنفسك، فحمل عليهم فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه، وأُخذ عمرو بن الحمق فسألوه: من أنت؟ فقال: من إنْ تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ عليكم، فسألوه فأبى أن يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن أم الحكم الثقفي فلما رأى عمراً عرفه، فكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات وأنه لا يتَعدّى عليه، فاطْعَنْه تسعَ طعنات كما طعن عثمان. فأُخرج فطعن تسع طعنات فمات في الأولى منهن أو في الثانية وبعث برأسه إلى معاوية، فكان رأسه أول رأس حُمل في الإسلام.

وجدّ زياد في طلب أصحاب حجر وهم يهربون منه، ويأخذ من قدر عليه منهم، فجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد فقال له: إن امْرَأً منا يقال له صَيْفيُّ بن فَسِيل من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك، فبعث إليه فأُتي به، فقال له زياد: يا عدوَّ اللَّه، ما تقول في أبي تُراب؟ فقال: ما أعرف أبا تراب، قال! ما أعرفك به! أما تعرف عليّ بن أبي طالب؟ قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب، قال: كلا، ذاك أبو الحسن والحسين: فقال له صاحب الشرطة: أيقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا؟ قال: أفإنْ كذب الأمير أردتَ أنْ أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد؟ قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك؟ عَلَيَّ بالعِصِيّ، فأتي بها، فقال: ما قولك في عليّ؟ قال: أحسنُ قول أنا قائله في عبد من عبيد اللَّه أقوله في أمير المؤمنين، قال: اضربوا عاتقه بالعصيي حتى يلصق بالأرض، فضرب حتى لصق

(١) الرُّستاق: الرُّزداق أو القُرى وما يحيط بها من الأراضي.
(٢) استسقى: تجمع الماء في بطنه والاستسقاء عبارة عن مرض في البطن.

بالأرض ثم قال: أقْلِعُوا عنه، ما قولك فيه؟ قال: واللَّه لو شرَّحتني بالمُدَى والمواسي ما زِلْتُ عما سمعتَ، قال لتلعننه أو لأضربن عنقك، قال: إذاً واللَّه تضربها قبل ذلك فأسعد وتشقى إن شاء اللَّه، قال: أوْقروه حديداً واطرحوه في السجن.

وجمع زياد من أصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلاً في السجن، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم، فحضروا وقال: اشهدوا على حجر بما رأيتموه، وهم: عمرو بن حُريث، وخالد بن عُرْفُطَه، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى، فشهدوا: أن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة وعيب زياد، وأظهر عذر أبي تراب، والترحُّم عليه، والبراءة من عدوّه وأهل حربه، وإن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه وعلى مثل رأيه، فنظر زياد في الشهادة فقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة. فكتب أبو بردة بن أبي موسى: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى للَّه رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خَلَعَ الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخَلْع أمير المؤمنين معاوية، وكَفَر باللَّه كَفْرة صَلْعاء، فقال زياد: على مثل هذه الشهَادة فاشهدوا، واللَّه لأجهَدنَّ في قطع عنق الخائن الأحمق. فشهد رؤوس الأرباع الثلاثةُ الآخرون على مثل ذلك. ثم دعا الناس فقال: اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الأرباع. فقام عثمان بن شُرحبيل التيميّ أول الناس فقال: اكتبوا اسمي، فقال زياد: ابدؤوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة، فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عبيد اللَّه، والمنذر بن الزُّبير، وعُمارة بن عقبة، وعبد الرحمن بن هَبَّار، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وشهد عفان ووائل بن حجر الحضرمي، وضرار بن هبيرة، وشداد بن المنذر أخو الحُضَين بن المنذر، وكان يُدعى بن بُزَيعة، فكتب شداد بن بُزَيعة، فقال: أمَا لهذا أبٌ يُنسب إليه؟ ألغوا هذا من الشهود، فقيل له: إنه أخو الحضين بن المنذر، فقال: انسبوه إلى أبيه، فنسب، فبلغ ذلك شدَّاداً فقال: والهفاه على ابن الزانية، أو ليست أمه أعرَف من أبيه؟ فواللَّه ما يُنسب إلا إلى أمه سُمَيّة، وشهد حجَّار بن أبجر العجلي، وعمرو بن الحجاج، ولبيد بن عُطارد ومحمد بن عمير بن عطارد، وأسماء بن خارجة، وشَمِرُ بن ذي الجوشن، وزَحْر بن قيس الجُعفي، وشَبَثُ بن رِبعيّ، وسِمَاك بن مخرمة الأسدي صاحب مسجد سماك، ودعا المختار بن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى

الشهادة فراغاً، وشهد سبعون رجلاً ودفع ذلك إلى وائل بن حُجْر وكثير بن شعاب وبعثهما عليهم، وأمرهما أن يُخرجوهم.

وكتب في الشهود شُرَيح بن الحارث، وشُريح بن هانئ. فأما شريح بن الحارث فقال: سألني عنه فقلت: أمَا إنه كان صوّاماً قواماً، وأمَّا شريح بن هانئ فقال: بلغني أن شهادتي كتبت فأكذبتُه ولُمْتُه.

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرجا القوم عشية، وسار معهم أصحاب الشرط حتى أخرجوهم، فلما انتهوا إلى جبانة عَرْزَم نظر قَبيصة بن ضُبيعة العبسي إلى داره في جبانة عَرْزَم فإذا بناته مشرفات فقال لوائل وكثير أدنياني أوْص أهلي، فأدنياه، فلما دنا منهن بكين، فسكت عنهن ساعة ثم قال: اسكتن، فسكتن، فقال: اتقين اللَّه واصبرن، فإني أرجو من ربي في وجهي هذا خيراً إحدى الحُسْنيين إما الشهادة فنِعْمَ سعادة، وإما الانصراف إليكن في عافية، فإن الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤنتكن هو اللَّه تبارك وتعالى، وهو حيّ لا يموت، وأرجو أن لا يضيعكن وأن يحفظني فيكنّ، ثم انصرف. فجعل قومه يدعون له بالعافية، وجاء شريح بن هانئ بكتاب فقال: بَلِّغوا هذا عني أمير المؤمنين، فتحمّله وائل بن حجر، ومضوا بهم حتى انتهوا إلى مَرج عذراء فحبسوا به، وهم على أميال من دمشق، وهم حجر بن عدي الكندي، والأرقم بن عبد اللَّه الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العَنَزيان، ومحرز بن شهاب المِنْقَري، وعبد اللَّه بن جُؤَية التميمي. وأتبعهم زيادٌ برجلين وهما عتبة بن الأخنس السعدي وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي، فكانوا أربعة عشر.

فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير، فأدخلهما وفض كتابهما وقرأه على أهل الشام: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، لعبد اللَّه معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان، أما بعد، فإن اللَّه قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه، وكفاه مؤنة من بغى عليه، إن طواغيت من هذه التُّرَابِيَّة السَّابَّة، رأسهم حجر بن عدي، خلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونَصَبوا لنا حرباً فأطفأها اللَّه عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوتُ خيار أهل المِصْر وأشرافَهم وذوي النُّهَى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صُلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا.

فلما قرأ الكتاب قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام فتكفيكهم طواغيتها.

ودفع وائل كتاب شريح إليه فقرأه وهو: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، لعبد اللَّه معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هانئ، أما بعد، فقد بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرامُ المال والدم، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فَدعْه؛ فقرأ كتابه على وائل وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم.

فحبس القوم بعد هذا وكتب إلى زياد: فهمت ما اقتصصت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أن قتلهم أفضل، وأحياناً أرى أن العفو أفضل من قتلهم.

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التيمي: قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، مع شهادة أهل مصرهم عليهم، وهم أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المِصْر فلا تَرُدنَّ حجراً وأصحابه إليه.

فمرّ يزيد بحُجْر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد، فقال له حجر: أبلغ أمير المؤمنين أنَّا على بيعته لا نُقِيلها ولا نَستقيلها، وإنما شَهد علينا الأعداءُ والأظِنَّاء، فقدم يزيد بن حُجَيَّة على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حجر، فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر.

وكتب جرير بن عبد اللَّه في أمر الرجلين اللّذين من بجيلة فوهبهما له وليزيد بن أسد. وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي فتركه، وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد اللَّه بن جُؤَية التميمي فخلّى سبيله، فقام مالك بن هبيرة فسأله في حجر فلم يُشَفِّعه، فغضب وجلس في بيته.

وبعث معاويةُ هَديَّة بن فياض القُضاعي والحُصين بن عبد اللَّه الكلابي وآخر معهما يقال له أبو صَريف البدري فأتوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور: يُقْتَلُ نصفنا وينجو نصفنا، فقال سعيد بن نمران: اللَّهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راض، فقال عبد الرحمٰن بن حسان العنزي: اللَّهم اجعلني ممن تكرم بهوانهم وأنت عني راض، فطالما عرَّضْتُ نفسي للقتل فأبى اللَّه ما أراد. فجاء رسول معاوية إليهم، فإنه لمعهم إذا جاء رسول بتخلية ستة منهم وبقي ثمانية، فقال لهم رسل

معاوية: إنا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلَّت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فابرؤوا من هذا الرجل يُخْل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين، فأمروا بقيودهم فحُلَّت، وأُتي بأكفانهم، فقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية، يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؛ قالوا: هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق، فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم، ثم قاموا إليهم وقالوا تبرؤون من هذا الرجل، قالوا: بل نتولَّاه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يدي أبي صريف البدري، فقال له قبيصة: إن الشرَّ بين قومي وقومك أمين أي آمن فليقْتُلْني غيرُك، فقال: برَّتك رَحمٌ، فأخذه الحضرمي فقتله، وقتل القضاعيُّ صاحبه، ثم قال لهم حجر: دعوني أصلي ركعتين فإني واللَّه ما توضأت قطّ إلا صليت، فقالوا له: صلِّ، فصلى ثم انصرف فقال: واللَّه ما صليت صلاة قد أقصر منها، ولولا أن يروا أنَّ ما بي جزعٌ من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللَّهم إنّا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أمَا واللَّه لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها، فمشى إليه هَدِيّة بن الفياض الأعور بالسيف فأرعِدت فصائله، فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فإنّا ندعك فابرأ من صاحبك، فقال: مالي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني واللَّه إن جزعت لا أقول ما يُسخط الرب، فقتله.

وأقبلوا يقتلونهم واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: ائتوني بهما، فالتفتا إلى حجر، فقال له العَنَزيّ: لا تَبعُد يا حجر ولا يبعُد مثواك، فنعم أخو الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك، ثم مضى بهما فالتفت العنزي فقال متمثلاً:

كفى بِشَفَاةِ القَبْرِ بُعْداً لهالكٍ وبالموت قَطَّاعاً لحبل القرائنِ

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: اللَّه اللَّه يا معاوية، إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤولٌ عمَّ أردت بقتلنا، وفيم سفكت دماءنا، فقال: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك. أتبرّأ من دين عليّ الذي كان يدين اللَّه به، وقام شمر بن عبد اللَّه الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك غير أني حابسه شهراً،

فحبسه ثم أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان، فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.

وأقْبل على عبد الرحمن بن حسان فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في عليّ؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين اللَّه كثيراً، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس، قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق، قال: قتلت نفسك، قال بل إياك قتلت، لا ربيعةَ بالوادي، يعني أنه ليس ثَمَّ أحدٌ من قومه فيتكلّم فيه، فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شرٌّ من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها، واقتله شرّ قِتْلة، فلما قُدِم به على زياد بَعث به إلى قيس النَّاطِف فدفنه حيّاً.

قال أبو مخنف عن رجاله: فكان مَنْ قُتل منهم سبعةَ نفر: حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب المنقري، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، ونجا منهم سبعة: كريم بن عفيف الخثعمي، وعبد اللَّه بن جُؤَية التميمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البَجَلي، وأرقم بن عبد اللَّه الكندي، وعتبة بن الأخنس السعدي من هوازن، وسعيد بن نمران الهمداني.

وبعث معاوية إلى مالك بن هُبيرة لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم فرضي.

قال أبو مخنف: فحدثني ابن أبي زائدة عن أبي إسحاق قال:

أدركت الناس يقولون: أول ذُلٍّ دخل الكوفة قَتْلُ حجر ودعوة زياد وقتلُ الحسين.

قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أيّ يوم لي من ابن الأدبر طويل.

قال أبو مخنف وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤي.

أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحمَّلَني ابن سُمَيَّة فاحتملت.

قال: وكانت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ تقول: لولا أنَّا لم نغير شيئاً قطّ إلَّا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أمَا واللَّه إنْ كان لَمُسْلماً ما علمتُه حاجّاً معتمراً.

وقالت امرأة من كندة ترثي حُجْراً:

تـرفَّـعْ أيُّـهَـا الـقـمَـرُ الـمـنـيـرُ لـعـلـك أن تـرى حُـجْـراً يَـسـيـرُ
يَـسـيـر إلـى مـعـاويـةَ بـن حَـرْبٍ لـيـقـتَـلـه كـمـا زعـم الأمـيـرُ
ألا يـا لـيـتْ حُـجْـراً مـات مـوتـاً ولـم يُـنْـحَـرْ كـمـا نُـحِـر الـبـعـيـرُ
تَـرَفَّـعـت الـجـبـابـرُ بـعـد حُـجْـر وطـاب لـهـا الـخَـوَرْنَـق والـسـديـرُ
وأصـبـحَـتِ الـبـلاد لـه مُـحُـولاً كـأنْ لـمْ يُـحْـيِـهَـا مُـزْنٌ مَـطِـيـرُ
أَلَا يـا حُـجْـرُ حُـجْـرَ بـنـي عَـدِيٍّ تـلـقَّـتـك الـسـلامـةُ والـسـرورُ
أخـافُ عـلـيـك سـطـوةَ آلِ حـرْب وشـيـخـاً فـي دمَـشْـقَ لـه زَئـيـرُ
يـرى قَـتْـلَ الـخـيَـار عـلـيـه حـقّـاً لـه مـن شَـرٍّ أمَّـتِـه وزَيـرُ
فـإن تـهـلـك فـكـلُّ زعـيـم قـوم إلـى هُـلْـكٍ مـن الـدنـيـا يَـصِـيـرُ

[الوافر]

صـوت

أحِـنُّ إذا رأيـت جـمـالَ سُـعْـدى وأبـكـي إن رأيـت لـهـا قَـريـنَـا
وقـد أفِـدَ الـرّحـيـلُ فَـقُـلْ لـسُـعْـدى لـعـمـرُك خَـبِّـري مـا تـأمُـريـنَـا

[الوافر]

أخبار لابن أبي ربيعة

الشعر لعمر بن أبي ربيعة يقوله في سُعدى بنت عبد الرحمن بن عوف، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن حَبش، وقد قيل: إن عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلى بنت الحارث بن عوف المُرّي، وفيه أيضاً غناء وهو:

صـــوت

ألا يـــا لَـــيْـــلَ إنَّ شـــفـــاء نـــفـــســـي نَـــوَالُـــك إنْ بَـــخـــلْـــتِ فـــزوِّديـــنَـــا
وقـــد أفِـــد الـــرحـــيـــلُ وحـــان مِـــنَّـــا فـــراقُـــك فـــانـــظـــري مـــا تـــأمـــريـــنَـــا

[الوافر]

غنى به الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو وحبش، وفيه خفيف ثقيل يقال: إنه أيضاً للغريض، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن طارق بن عبد الواحد قال: قال عبد الرحمن المخزومي:

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد، فرأت عمر بن أبي ربيعة في الطواف، فأرسلت إليه: إذا قضيت طوافك فَأْتنا، فلما قضى طوافه أتاها، فحادثها وأنشدها، فقالت: ويحك يا ابن أبي ربيعة ما تزال سَادِراً في حرم اللَّه مُنْتَهكاً، تتناول بلسانك رَبَّات الحِجال من قريش، فقال: دعي هذا عنك، أما سمعت ما قلتُ فيك؟ قالت: وما قلتَ فيَّ؟ فأنشدها:

أحـــنُّ إذا رأيـــت جـــمـــال سُـــعْـــدى وأبـــكـــي إن رأيـــت لـــهـــا قـــريـــنَـــا
أسُـــعْـــدى إنَّ أهـــلـــك قـــد أجَـــدُّوا رحـــيـــلاً فـــانـــظـــري مـــا تـــأمـــريـــنَـــا

[الوافر]

فقالت: آمرك بتقوى اللَّه وترْك ما أنت عليه.

قال الزبير: وحدثني ابن مسلم قال:

أنشد عمرُ بنُ أبي ربيعة، ابنَ أبي عَتيق قوله:

أحـنُّ إذا رأيـت جـمـال سُـعـدى . . . . . .

(البيتان)، قال: فركب ابنُ أبي عتيق فأتى سعدى بالجنَاب من أرض بني فَزارة فأنشدها قول عُمَر وقال لها: ما تأمرين؟ فقالت: آمره بتقوى اللَّه يا ابن الصِّدِّيق.

قال الزبير: وحدثني طارق بن عبد الواحد، عن أبي عبيدة، عن عبد الرحمن المخزومي قال:

لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنتَ الحارث بن عوف المُرّي، وهو يسير على بغلة، فقال لها: قفي أسمعك بعض ما قلت فيك، فوقفت فقال:

ألا يـا لـيـل إن شـفـاء نـفـسـي نـوالُـك إنْ بـخـلـت فـنـوِّلـيـنَـا

[الوافر]

قال: فما بَلَغَنا أنها ردت عليه شيئاً ومضت.

وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن معن.

فذكر أن ابنَ أبي عَتيق إنما مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف فأنشدها هذا البيت، وهو الصحيح، لأن حُلُولها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف. ورواية الزبير فيما أرْوى وَهَمٌ لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن سلام قال:

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، فأرسلت إليه: إذا فرغت من طوافك فَأْتنا، فأتاها فقالت: ألا آراك يا ابن أبي ربيعة سادراً[1] في حرم اللَّه؟ أما تخاف اللَّه؟ ويحك، إلى متى هذا السَّفه؟ قال: أيْ هذه، دعي عنك هذا من القول، أما سمعتِ ما قلت فيك؟ قالت: لا، فما قلت؟ فأنشدها قوله:

صـوت

قـالـت سـعـيـدةُ والـدمـوع ذوارفٌ مـنـهـا عـلـى الـخَـديْـن والـجِـلْـبَـابِ

لـيـت الـمُـغِـيـريَّ الـذي لـم أجْـزِه فـيـمـا أطـال تَـصَـيُّـدي وطِـلابـي

كـانـت تَـرُدُّ لـنـا الـمـنـى أيـامُـنـا إذْ لا نُـلام عـلـى هَـوًى وتَـصَـابـي

(١) السَّادِر: المتحيِّر.

أسُـعَـيْـدُ مـا مـاءُ الـفـرات وطـيـبُـه مِـنِّـي عَـلَـى ظَـمَـإٍ وحُـبّ شَـرَابِ
بـألـذَّ مـنـكِ وإن نـأيْـتِ وقَـلَّـمـا يَـرْعَـى الـنـسـاءُ أمـانَـةَ الـغُـيَّـابِ
[الكامل]

عروضه من الكامل، غناه الهذلي رملاً بالوسطى عن الهشامي، وغناه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو.

فقالت: أخزاك اللَّه يا فاسق، ما علم اللَّه أني قلت مما قلْتَ حرفاً، ولكنك إنسان بَهُوت[1].

وهذا الشعر تُغْني فيه:

قـالـت سـكـيـنـة والـدمـوع ذوارفٌ

وفي موضع:

أسـعـيـد مـا مـاء الـفـرات وبـرده

أسكين. وإنما غيره المغنون، ولفظ عُمَرُ ما ذكر فيه في الخبر.

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شبة.

عن إسحاق قال: غنيت الرشيد يوماً بقوله:

قـالـت سـكـيـنـة والـدمـوع ذوارفٌ مـنـهـا عـلـى الـخَـدّيـن والـجـلْـبـابِ
[الكامل]

فوضع القدح من يده وغضب غضباً شديداً وقال: لعنه اللَّه الفاسق ولعنك معه، فسُقط في يدي، وعَرف ما بي فسكن ثم قال: ويحك، أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي وبنت رسول اللَّه ﷺ، ألا تتحفظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك؟ عُدْ إلى غنائك الآن وانظر بين يديك، فتركت هذا الصوت حتى أنسيته، فما سمعه مني أحد بعده، واللَّه أعلم.

صـوت

فـلا زال قـبـر بـيـن تـبْـنَـى وجـاسـم عـلـيـه مـن الـوَسْـمِـيِّ[2] جَـوْدٌ ووابـلُ[3]

(١) البَهوت: المفتري على الناس بالكذب.
(٢) الوسْميّ: الدفعة الأولى من المطر.
(٣) الوابل: المطر.

فـيـنـبـت حـوذانـاً[١] وعَـوْفـاً[٢] مـنـوِّراً يُـتَـابـعـه مِـنْ خـيـر مـا قـال قـائـلُ

[الطويل]

عروضه من الطويل، والشعر لحسان بن ثابت الأنصاري، وهذا القبر الذي ذكره حسان فيما يقال قبرُ الأيهم بن جبلة بن الأيهم الغساني، وقيل: إنه قبر الحارث بن مارية الجَفْنيّ، وهم منهم أيضاً، والغناء لعَزَّة المَيْلاء خفيف ثقيل أول بالوسطى مما لا يشك فيه من غنائها، وقد نسبه قوم إلى ابن عائشة وذلك خطأ. واللَّه أعلم.

(١) الحوذان: ضرب من النبات.

(٢) العَوْف: نبات طيب الرائحة.

أخبار عَزّة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار، ومسكنها المدينة، وهي أقدم من غنّى الغناء المُوَقّع من النساء بالحجاز، وماتت قبل جَميلة، [وأخذ عنها معبد ومالك وابن محرز، وغيرهم فأكثروا الأخذ] وكانت من أجمل النساء وجهاً وأحسنهن جسماً، وسميت الميلاء لتمايلها في مشيها، وقيل: بل كانت تلبس المُلَاءَ وتَشَبَّهُ بالرجال، فسميت بذلك، وقيل: بل كانت مغرمة بالشراب، وكانت تقول: خذ مِلاءً وارْدد فارغاً. ذكر ذلك حماد بن إسحاق عن أبيه. والصحيح أنها سميت الميلاء لميلها في مشيتها.

قال إسحاق: ذكر لي ابن جامع، عن يونس الكاتب، عن معبد قال:

كانت عزة الميلاء من أحسن النساء ضرباً بعود، وكانت مطبوعة على الغناء، لا يعيبها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه، وكانت تغنّي أغاني القيان من القدائم مثل شيرين وزَرْنب وخوْلة والرَّباب وسلمى ورائقة، وكانت رائقة أستاذتها، فلما قدم نَشيط وسائبُ خاثر المدينة غَنَّيا أغانيَ بالفارسية، فَلَقِنَتْ عزَّةُ عنهما نغماً وألَّفت عليها ألحاناً عجيبة، فهي أول من فتن أهل المدينة بالغناء وحَرَّض نساءهم ورجالهم عليه.

قال إسحاق: وقال الزبير: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا: للَّه درُّها، ما كان أحسن غناءها ومدَّ صوتها وأندى حلقها وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي، وأجمل وجهها وأظرف لسانها، وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفسها وأحسن مساعدتها.

قال إسحاق: وحدثني أبي، عن سياط، عن معبد، عن جميلة بمثل ذلك من القول فيها، قال إسحاق: وحدثني أبي، عن يونس قال:

كان ابنُ سُريج في حداثة سِنّه يأتي المدينة، فيسمع من عزة ويتعلم غناءها ويأخذ عنها، وكان بها معجباً، وكان إذا سئل: من أحسن الناس غناء قال: مولاة الأنصار المفضّلة على كل من غَنَّى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء.

قال: وحدثني هشام بن المُرِّيَّة أن ابن مُحرز كان يقيم بمكة ثلاثة أشهر، ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة، وكان يأخذ عنها.

قال إسحاق: وحدثني الجُمحي، عن جرير المُغني المديني.

أن طويساً كان أكثر ما يَأوِي منزلَ عزة الميلاء، وكان في جوارها، وكان إذا ذكرها يقول: هي سيدةُ مَن غنّى من النساء، مع جمال بارع وخلق فاضل وإسلام لا يشوبه دنس، تأمر بالخير وهي من أهله، وتنتهي عن السوء وهي مجانبة له، فناهيك ما كان أنبلها وأنبل مجلسها، ثم قال: كانت إذا جلست جلوساً عامّاً فكأنّ الطير على رؤوس أهل مجلسها، من تكلم أو تحرك نقر رأسه.

قال ابن سلام: فما ظنك بمن يقول فيه طويس هذا القول، ومن ذلك الذي سلم من طويس؟

قال إسحاق: وحدثني أبو عبد اللَّه الأسلمي:

عن معبد أنه أتى عزة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنّت وهي تغني على مِعْزَفة في شعر ابن الإطنابة قال:

عَـلِّـلانـي وعَـلِّـلا صـاحـبـيَّـا واسـقـيـانـي مـن الـمُـرَوَّقِ رِيَّـا

[الخفيف]

قال: فما سمع السامعون قطّ بشيء أحسن من ذلك.

قال معبد: هذا غناؤها وقد أسنّت، فكيف بها وهي شابة؟

قال إسحاق: وذُكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري قال:

كانت عزة مولاة لنا، وكانت عفيفة جميلة، وكان عبد اللَّه بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة يَغْشونها في منزلها فتغنيهم، وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره، فشق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها، فلما أفاق قال له القوم: لغيرك الجهلُ يا أبا الخطاب، قال: إني سمعت واللَّه ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي.

وقال إسحاق: وحدثني أبو عبد اللَّه الأسلمي المدني قال:

كان حسان بن ثابت مُعجباً بعزة الميلاء، وكان يقدمها على سائر قيان المدينة.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن الحسن المخزومي، عن محرز بن جعفر قال:

خَتَن زيدُ بن ثابت الأنصاري بنيه فأوْلم، فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة، وحضر حسان بن ثابت وقد كُفَّ بصره يومئذٍ وثقل سمعه، وكان

يقول إذا دعي أعُرْسٌ أم إعذار فحضر ووضع بين يديه خوان ليس عليه إلا عبد الرحمن ابنه، فكان يسأله أطعام يَدٍ أمْ يدين، فلم يزل يأكل حتى جاؤوا بالشِّواء فقال: طعام يدٍ أم طعام يدين؟ فقيل: بل طعام يدين، فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثنيت وسادة، وأقبلت الميلاء وهي يومئذٍ شابة، فوُضع في حِجْرها مِزْهَر، فضربت به ثم تغنت، فكان أول ما ابتدأت به شعر حسان قال:

فلا زال قبر بين بُصرى وجلّق عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابلُ

[الطويل]

فطرب حسان وجعلت عيناه تنضحان وهو مصغ لها.

هكذا روى الزبير هذا الخبر، وقد رُوي فيه غير ذلك].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن ابن شبة، عن الأصمعي.

عن أبي الزناد قال: قلت لخارجة بن زيد: كان يكون هذا الغناء عندكم؟ قال: كان يكون في العُرُسَات ولم يكن يُشْهد بما يُشهد به اليوم من السَّعة، وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة، فدعينا وثَمَّ قينة أو قينتان تُنشدان شعر حسان بن ثابت قال:

أنظر خليلي بباب جلّق هل تُبْصِر دون البلقاءِ من أحَدِ

[المنسرح]

قال: وحسان يَبكي وابنه يومئ إليهما أن زيدا، فإذا زادتا بكى حسان، فأعجبني ما يعجبه من أن تُبْكِيا أباه، وقد كُفّ بصُر حسان بن ثابت يومئذٍ.

أخبرنا وكيع، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الواقدي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

سمعت خارجة بن زيد يقول: دُعينا إلى مأدبة في آل نبيط، قال خارجة فحضرتُها وحسانُ بن ثابت قد حضرها فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة، وهو يومئذٍ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، فكان إذا أُتي طعام سأل ابنه: أطعام يد أم يدين؟ يعني باليد الثريد وباليدين الشواء، لأنه يُنْهَش نهشاً، فإذا قال طعام [يد أكل، وإذا قال طعام] يدين أمسك يده، فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين مغنيتين إحداهما رائقة والأخرى عَزّة، فجلستا وأخذتا مِزْهريهما، وضربتا ضرباً عجيباً. وغنتا بقول حسان:

أنظر خليلي بباب جلّق هل تُبصر دون البلقاء من أحدِ

[المنسرح]

فأسمع حسان يقول: قد أراني بهما سميعاً بصيراً. وعيناه تدمعان، فإذا سكنتا سكت عنه البكاء، وإذا غنّتا بكى. فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكنتا يُشير إليهما أن تغنيا، فيبكي أبوه، فأقول: ما حاجته إلى إبكاء أبيه؟ قال الواقدي: فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفري فقال: سمعت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يقول: لما انقلب حسان من مأدبة بني نبيط إلى منزله استلقى على فراشه، ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: لقد أذكرتْني رائقةُ وصاحبتُها أمراً ما سمعَتْه أذناني بُعَيْد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم [فقلت: يا أبا الوليد، أكان القيان يكنّ عند جبلة؟] فتبسم ثم جلى فقال: لقد رأيت عشر قيان: خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط، وخمس يغنين غناء أهل الحِيرة، وأهداهن إليه إياس بن قَبيصة، وكان يَفد عليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين، وضُرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب، وأُتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة، وأوقد له العود الهِندي إن كان شاتياً، وإن كان صائفاً بُطِّن بالثلج، وأُتي هو وأصحابِه بكسا صيفية يتفضّل[١] هو وأصحابه بها في الصيف، وفي الشتاء الفراء الفَنك[٢] وما أشبه ذلك، ولا واللَّه ما جلست معه يوماً قطّ إلا خلع عليّ ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائه، هذا مع حلم عمن جهل، وضحك وبذل من غير مسألة، مع حسنِ وجهٍ وحسن حديث، ما رأيت [في مجلسه] خَنًى قطّ ولا عَربدة، ونحن يومئذٍ على [دين] الشرك، فجاء اللَّه بالإسلام فمحا به كلَّ كفر، وتركنا الخمر وما كره، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ[٣] من الزهر والرُّطَب، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب صاحبته ويفارقها وتضربون فيه كما تُضْرب غرائب الإبل فلا تنتهون.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أبي أيوب المديني، عن مصعب الزُّبيري، عن الضحاك، عن عثمان بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد مثله، وزاد فيه.

فلما فرغنا من الطعام ثقل علينا جلوس حسان، فأومأ ابنُه إلى عزة الميلاء فغنت:

أنـظـر خـلـيـلـي بـبـاب جـلّـق هـل تـبـصـر دون الـبـلـقـاء مـن أحـدِ

[المنسرح]

(١) يتفضَّل: يلبس ثياب العمل أو النوم.

(٢) الفَنك: ضرب من الثعالب، فروه من أحسن الفِراء.

(٣) الفضيخ: شراب يُتخذ من بُسر مفضوخ.

فبكى حسان حتى سَدِر[١] ثم قال: هذا عمل الفاسق، أمَا لقد كرهتم مجالستي، فقبح اللَّه مجلسكم سائرَ اليوم، وقام فانصرف.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن عمه مصعب قال:

ذكر هشام بن عروة عن أبيه أنه دعي إلى مأدبة في زمن عثمان، ودعي حسان ومعه ابنه عبد الرحمن. ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبة عن الأصمعي في الحديث الأول.

[نسبة هذا الصوت]

أنظر خليلي بباب جلّق[٢] هل ... تُؤنس دون البلقاء من أحدِ
أجِمالُ شعثاءَ إذْ هبطن من الـ ... ـمَحْبس بين الطبثان فالسَّنَدِ
حُمِّلْنَ حُوراً حور المدامع في الـ ... ـرَّيْط وبيض الوجوه كالبَرَدِ
من دون بُصْرى ودونها جبل الـ ... ـثَّلج عليه السحاب كالقِددِ[٣]
إنّي وأيدي المُخَيَّسات[٤] وما ... يقطعن من كل سَربخ جَدَدِ
أهْوَى حديث الندمان في فَلَقِ الـ ... ـصُّبح وصَوْتَ المسامرِ الغَرِد
تقول شَعْثاءُ بعد ما هبطتْ ... قصور حسنَى من آخِذٌ بيدي
لا أخدِش الخدش بالحبيب ولا ... يخشى نديمي إذا نَشِيتُ يدي

[المنسرح]

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعَزّة الميلاء رمل بالبنصر، وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى ابن محرز، وإلى عزة الميلاء، وإلى الهذلي في:

تقول شعثاء بعد ما هبطت

وما بعده من الأبيات ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

وشعثاء هذه التي شبب بها حسان ـ فيما ذكر الواقدي ومصعبٌ الزبيريّ ـ امرأةٌ من أسلم، تزوجها حسان وولدت منه بنتاً يقال لها أم فِراس، تزوجها عبد الرحمن بن أم الحكم.

---

(١) سَدِر: سدلت دموعه وانحدرت. (٢) جلّق: من أسماء دمشق (سوريا).
(٣) القِدَد: مفردها القدّة، وهي الفرقة من الناس تختلف أهواؤهم وتتفرّق.
(٤) المخَيَّسات: الإبل المذلّلة بالركوب.

وذكر أبو عمرو الشيباني مثل ما ذكره في نسبها ووصف أنه خطبها إلى قومها من أسلم فردوه فقال يهجوهم:

لـقـد أتـى عـن بـنـي الـجَـرْبـاء قـولُـهُـمُ ودونـهـم قُـفٌّ حـمـدانٍ فـمـوضـوعُ
قـد عـلـمَـتْ أسـلـمُ الأرذالُ أنّ لـهـا جـاراً سـيـقـتـلـه فـي داره الـجـوعُ
وأنْ سـيـمـنـعـهـمْ مـمـا نَـوْوا حَـسَـبٌ ـ لـن يـبـلـغ الـمـجـد والـعـلـياء ـ مـقـطـوعُ
وقـد عَـلَـوْا ـ زعـمـوا ـ عـنّـي بـأخـتـهـمُ وفـي الـذُّرَا حَـسـبـي والـمـجـدُ مـرفـوعُ
ويـل أم شـعـثـاءَ شـيـئـاً تـسـتـغـيـث بـه إذا تـجـلَّـى لـهـا الـنَّـفـط[1] الأتـالـيـعُ[2]
كـأنـه فـي صَـلاهـا[3] وهـي بـاركـة ذراعُ بَـكْـرٍ مـن الـنِّـيَـاط[4] مـنـزوعُ

[البسيط]

وأخبرني حرمي، عن الزبير، عن إبراهيم بن المنذر، عن أبي القاسم بن أبي الزِّناد، عن أخيه عبد الرحمن، عن أبيه، عن خارجة بن زيد قال:

شعثاء هذه بنت عمرو من بني ماسكة من يَهُوَد، وكانت مساكنُ بني ماسكة بناحية القُفّ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهودَ التي تلي بيت الدِّرَاسة للتوراة، وكان ذا قَدْر فيهم، فقال حسان يذكر ذلك:

هـل فـي تـصـابـي الـكـريـم مـن فَـنَـدِ[5] أم هـل لِـمَـدَى الأيـام مـن نَـفَـدِ
تـقـول شَـعْـثَـاءُ لـو أفـقْـتَ عـن الـكـا س لأُلْـفـيـتَ مُـشْـرِيَ الـعَـدَدِ
يـأبَـى لـي الـسَّـيـف والـلـسـانُ وقـوْ مٌ لـم يُـضَـامـوا كـلُـبْـدَة الأسـدِ

[المنسرح]

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء.

ومما قاله حسان بن ثابت في شعثاء وغنّي به قوله:

مـا هـاج حـسَّـانَ رسـومُ الـمُـقَـامْ ومـظـعـن الـحـيّ ومـبـنـى الـخـيـامْ
والـنُّـؤْيُ قـد هـدَّم أعـضـادَه تـقـادُمُ الـعـهـدِ بـوَادي تـهَـامْ
قـد أدرك الـواشـون مـا حـاولـوا والـحـبْـلُ مـن شـعـثـاءَ رَثٌّ رِمَـامْ

(١) النفط: البئر الممتلئ ماء. (٢) الأتاليع: الممتلئة.
(٣) الصَّلى: وسط الظهر منا ومن كل ذي أربع.
(٤) النِّياط: الفؤاد، أو عرق مستبطن الصلب تحت المتن.
(٥) الفَنَد: العجز وكفر النّعمة.

جِنِّيَّةٌ أرَّقَني طيفُها ... يَذهَبُ صُبْحاً ويُرَى في المَنامْ
هل هي إلَّا ظبيةٌ مُطْفِلٌ ... مأَلفُها السدْر فنعفَى فَرامْ
تَرى غزالاً فاتراً طرْفُه ... مقارِبَ الخَطْوِ ضعيفَ البُغامْ
كأنَّ فاها ثَعب بارد ... في رَصَفٍ تحت ظلال الغَمامْ
شُجَّ بصهباء لها سَوْرَةٌ ... من بنت كرم عَتَقَت في الخيامْ
تدِبُّ في الكأس دبيباً كما ... دبَّ دبًى وسط رِفَاق هُيَامْ
من خَمْرِ بيسانَ تخيَّرتها ... درْياقةً تُوشك فَتْر العظامْ
يَسعى بها أحمر ذو بُرْنُس ... محتلق الذِّفْرَى شديد الحزامْ

[السريع]

يقول فيها:

قومي بنو النجار إذْ أقبلتْ ... شهباءُ تَرْمي أهلها بالقَتَامْ
لا تخذُلُ الجارَ ولا تُسْلِم الـ ... ـمَوْلى ولا تُخْصَم يوم الخِصامْ

[السريع]

الشعر لحسان، والغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات والرابع والتاسع والحادي عشر، وذكر الهشاميُّ أن فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى.

وهذه الأبيات يقولها حسان في حَرْب كانت بينهم وبين الأوس تعرف بحرب مُزَاحم وهو حصن من حصونهم.

أخبرني بخبره حرمي، عن الزبير، عن عمه مصعب قال:

جمعت الأوْس وحشدت بأحلافها ورَأَّسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذٍ، فسار بهم حتى كان قريباً من مزاحم، وبلغ ذلك الخزرجَ فخرجوا يومئذٍ وعليهم سعْدُ بن عُبَادة، وذلك أن عبدَ اللَّه بن أبيٍّ كان مريضاً أو متمارضاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتِلَتْ بينهم قتلى كثيرةٌ، وكان الطَّوْلُ يومئذٍ للأوس، فقال حسان في ذلك:

ما هاج حسانَ رسوم المُقَامْ ... ومَظْعن الحيِّ ومبنى الخيامْ

[السريع]

وذكر الأبيات كلها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال:

قال رجل من أهل المدينة: ما ذُكِرَ بيتُ حسان بن ثابت:

أهْوَى حديثَ الندمان في فَلَق الصّبح وصوتَ المُسامر الغَرِدِ
[المنسرح]

إلَّا عُدتُ في الفتوَّة كما كنت، قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:

أنظر خليلي بباب جلّق هلْ تُؤنس دون البلقاءِ من أحَدِ
[المنسرح]

وقد رُوي أيضاً في هذا الخبر غير الروايتين اللتين ذكرتهما.

أخبرني بذلك حرمي، عن الزبير، عن وهب بن جرير، عن جُوَيرية بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير.

عن شيخ قريش قال: إني وَقَيْنة من قريش عند قينة من قيَان المدينة، ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان فكرهنا دخوله، وشق ذلك علينا، فقال لنا عبد الرحمن: أيسرّكُم ألَّا يَجْلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغني:

أولادُ جفنة عند قبر أبيهمُ قبرِ ابن مارية الكريم المُفْضِلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابهمْ لا يسألون عن السَّواد المُقْبِلِ
[الكامل]

قال: فواللَّه لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نفسه، ثم قال: أفيكم الفاسق؟ لعمري لقد كرهتم مجلسي سائرَ اليوم. وقام فانصرف. واللَّه تعالى أعلم:

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنّى فيه من القصيدة التي هو منها.

صـوت

أولادُ جفنةَ عند قبر أبيهمُ قبر ابن ماريةَ الجواد المُفضلِ
يَسْقُون مَنْ وَردَ البَريصَ عليهمُ كأساً تُصَفَّقُ بالرحيق السَلْسَلِ
[الكامل]

البريص: موضع بدمشق.

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهمْ شمُّ الأنوفِ من الطراز الأَوَّلِ
يُغْشون حتى ما تهرُّ كلابهمْ لا يسألون عن السوادِ المُقْبلِ
[الكامل]

ذكر حبش أن فيه لسيرينَ قينة حسان بن ثابت لحناً ثقيلاً أول ابتداؤه نشيد، وفيه لعَريب ثقيل أول لا يشك فيه.

ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله:

صوت

كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِني بزجاجةٍ أرخاهما لِلمفْصلِ
بزجاجة رقصتْ بما في قَعْرها رَقْصَ القَلُوص براكبٍ مُستعجِلِ
[الكامل]

غناه إبراهيم الموصلي رملاً مطلقاً في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما.

ويروى: كلتاهما حَلَبَ العصيرُ. بجعل الفعْلَ للعصير، ويروى للمفْصَل بكسر الميم وفتح الصاد، وللمَفْصل بفتح الميم وكسر الصاد، وهو اللسان.

أخبرنا بذلك عليّ بن سليمان الأخفش، عن المبرد حكاية عن أصحابه، عن الأصمعي.

رجع الحديثُ إلى أخبار عزة الميلاء.

قال إسحاق: حدثني مصعب الزبيري، عن محمد بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن أبي مليكة، عن أبيه عن جده قال:

كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه، وكان يغشى عبد اللَّه بن جعفر، فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغني:

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انقطعَا

فاستُهْتِر بها وهام، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء وطاووس فلاماه، فكان جوابه لهما أن تمثل بقول الشاعر:

يَلُومُني فيكِ أقوام أجالسهمْ فما أبالي أطار اللوْمُ أمْ وقَعَا
[البسيط]

وبلغ عبد اللَّه بن جعفر خبرُه، فبعث إلى النخَّاس فاعترض الجارية، وسمع غناءها

بهذا الصوت، وقال لها: ممن أخذته؟ قالت: من عزة الميلاء، فابتاعها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبره فأعلمه إياه وصدقه عنه فقال له: أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية؟ قال: نعم، فدعا بعَزَّة وقال لها: غنيه إياه، فغنته، فصَعِق الرجلُ وخرّ مغشيّاً عليه، فقال ابن جعفر: أثِمْنَا فيه، الماءَ الماءَ، فنُضح على وجهه، فلما أفاق قال له: أكلَّ هذا بلغ بك عشقُها؟ قال: وما خفي عنك أكثرُ، قال: أفتحب أن تسمعه منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها، وأنا لا أحبها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها؟ قال: أفتعرفها إن رأيتها؟ قال: أو أعرف غيرها؟ فأمر بها فأخرجت وقال: خذها فهي لك، واللَّه ما نظرت إليها إلا عن عُرْض، فقبّل الرجل يديه ورجليه وقال: أنَمْتَ عيني، وأحييتَ نفسي، وتركتني أعيش بين قومي، ورددتَ إليَّ عقلي. ودعا له دعاء كثيراً، فقال: ما أرضى أن أعطيكها هكذا، يا غلام احمْل معها مثلَ ثمنها لكيلا تهتمّ به ويهتمّ بها.

نسبة هذا الصوت

صـــوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلها انقطعَا واحتلّت الغَوْر فَالجدَّين فالفرعَا
وأنكرتني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادث إلا الشّيْبَ والصَّلَعَا
[البسيط]

عروضه من البسيط، والشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة، وزعم الأصمعي أن البيت الثاني هو صَنَعَه ونَحَلَه الأعشى.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه.

عن عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، قال: ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يقله إلَّا بيتاً واحداً نحلتُه الأعشى وهو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرتْ من الحوادث إلَّا الشّيبَ الصَّلَعَا
[البسيط]

الغناء لعزة الميلاء خفيف ثقيل أول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وأنكر إسحاق ذلك ودفعه، وفيه للغريض ثقيل أول بالبنصر، وقيل: إنه لجميلة.

قال إسحاق: وحدثني ابن سلّام، عن ابن جُعُدبة قال:

كان ابن أبي عَتيق مُعْجَباً بعزَّةَ الميلاء، فأتى يوماً عند عبد اللَّه بن جعفر فقال

له: بأبي أنت وأمي هل لك في عزّة فقد اشتقتُ إليها؟ قال: لا، أنا اليوم مشغول، فقال: بأبي أنت وأمي إنها لا تنشط إلا بحضورك فأقسمت عليك إلا ساعدتني وتركت شغلك، ففعل، فأتياها ورسولُ الأمير على بابها يقول لها: دعي الغناء فقد ضجَّ أهلُ المدينة منك وذكروا أنك قد فتنت رجالهم ونساءهم، فقال له ابن جعفر: ارجع إلى صاحبك فقل له عني: أقسم عليك إلَّا ناديْتَ في المدينة أيُّما رَجُلٍ فسد أو امرأة فُتنتْ بسبب عزة الميلاء إلَّا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك أَمره، فنادى الرسول بذلك، فما أظهر أحد نفسه، ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيق معه فقال لها: لا يهولنَّكِ ما سمعت وهاتي فغنينا، فغنته بشعر القُطَاميّ:

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلَمْ أيها الطَّلَلُ وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالتْ بك الطِّيَلُ

[البسيط]

فاهتزّ ابن أبي عتيق طرباً، فقال عبد اللَّه بن جعفر: ما أُراني أُدرك ركابك بعد أن سمعت هذا الصوت من عزّة.

وقد مضت نسبةُ ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضع أخر.

صوت

مَنْ كان مسروراً بمقتل مالكٍ فلْيَأتِ نِسوتنا بِوَجْه نهَارِ
يجد النساءَ حواساً ينْدُبْنَه قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأسحارِ

[الكامل]

عروضه من الكامل، قوله:

قد قمن قبل تبلّج الأسحارِ

يعني أنهن يندبنه في ذلك الوقت، وإنما خصه بالندبة لأنه وقت الغارة، يقول: فهن يذكرنه حينئذٍ لأنه كان من الأوقات التي ينهض فيها للحرب والغارات، قال اللَّه تبارك وتعالى، فالمُغيرَاتِ صُبْحاً، وأما قول الخنساء:

يُذَكّرني طلوعُ الشمس صَخْراً وأذكره لكلّ غروبِ شَمْسِ

[الوافر]

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة وعند غروبها للضيف.

الشعر للرَّبيع بن زِيادٍ العَبْسي، والغناء لابن سُريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق واللَّه أعلم.

ذكر نسب الربيع بن زياد وبعض أخباره وحرب داحس والغبراء

هو الربيعُ بن زياد بن عبد اللَّه بن سفيان بن ناشب بن هِدْم بن عُوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بَغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وأمه فاطمة بنت الخُرشُب، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طَريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهي إحدى المُنجِبات، كان يقال لبنيها الكَمَلة، وهم الربيع وعُمارة وأنس. ولما سأل معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثاً، وفي المنجبات ثلاثاً، عدُّوا فاطمة بنت الخرش فيمن عدّوا، وقَبْلَها حُيَيَّة بنت رياح الغَنَويّة أمِّ الأحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب، وماويةَ بنتَ عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد اللَّه بن دارم بن عمرو بن تميم، وهي أمُّ لَقيط وحاجب وعلقمة بني زُرَارة بن عُدَس بن زيد بن عبد اللَّه بن دارم.

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني محمد بن موسى اليزيدي قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح، واللفظ له، وخبره أتم، وأخبرني به أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال:

ولدت فاطمة بنت الخرشب من زياد بن عبد اللَّه العبسي سبعةً فعدّت العربُ المُنجبين منهم ثلاثةً وهم خيارهم.

قال محمد بن موسى: قال محمد بن صالح: وحدثني موسى بن طلحة والوليد بن هشام القحذمي بمثل ذلك، قال:

فمنهم الربيع ويقال له الكامل، وعمارة وهو الوَهَّاب، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة، وقيس وهو البرد، والحارث وهو الحرون، ومالك وهو لاحق، وعمرو وهو الدَّراك.

قال محمد بن موسى: قال ابن النطاح: وحدثني أبو عثمان العمريّ.

أن عبد اللَّه بن جُدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها: نشدتك برب هذه البَنِيَّة أيُّ بَنيك أفضل؟ قالت: الربيع لا بل عُمارة، لا بل أنس، ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل.

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان سُحيم بن حفص العجيفيُّ قال: حدثني أبو الخنساء قال:

سئلت فاطمة عن بنيها أيهم أفضل فقالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعَيْشي ما أدري، أما واللَّه ما حملتُ واحداً منهم تُضْعاً ولا ولدته يَتْناً، ولا أرضعته غيْلاً، ولا منعته قَيْلاً، ولا أبَتُّه على ماقة.

قال أبو اليقظان: أما قولها ما حملت واحداً منهم تُضْعاً فتقول: لم أحمله في دُبُر الطهر وقبلَ الحيض، وقولها ولا ولدته يَتْناً، وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه، ولا أرضعته غَيْلاً أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي، ولا منعته قيْلاً أي لم أمنعه اللبن عند القائلة، ولا أبَتُّه على ماقَةٍ أي وهو يبكي.

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان قال: حدثني أبو صالح الأسدي قال: سئلت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها فوصفتهم وقالت في عمارة: لا ينام ليلةَ يُخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف، وقالت في الربيع: لا تُعَدّ مآثره، ولا تُخشى في الجهل بوادره، وقالت في أنس: إذا عزم أمضى وإذا سئل أرْضى وإذا قَدر أغضى، وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان.

وقال ابن النطاح: وحدثني القحذمي قال: حدثني أبي قال: حدثني ابنُ عيَّاش، عن رجل من بني عبس قال:

ضاف فاطمةَ ضيفٌ، فطرحت عليه شَمْلة من خزٍّ وهي مسك كما هي فلما وجد رائحته وأعْتمَ[1] دنا منها، فصاحت به فكفّ عنها، ثم إنه تحرك أيضاً فأرادها عن نفسها، فصاحت فكفّ، ثم إنه لم يَصْبر فواثبها فبطشت به، فإذا هي من أشد الناس، فقبضت عليه ثم صاحت: يا قيس، فأتاها فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه؟ فقال: أخي أكبر مني فعليك به، فنادت يا أنس، فأتاها فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه؟ فقال لها: أخي أكبر مني فسليه، فنادت: يا عمارة، فأتاها فذكرت ذلك له فقال لها: السيفَ، وأراد قتله، فقالت له: يا بني لو دعونا أخاك فهو أكبر منك، فدعت الربيع فذكرت ذلك له فقال: أفتطيعونني يا بني زياد؟ قالوا: نعم،

(١) أعتم: دخل في الظّلام.

قال: فلا تُزَنُّوا أمكم ولا تقتلوا ضيفكم، وخَلُّوه يذهب، فذهب.

قال ابن النطاح: وقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة، يقال إنه قيس بن زهير، ويقال: حاتم طيء:

بنو جنِّيَّةٍ ولدتْ سيوفاً ... قواطعَ كلُّهم ذكرٌ صَنِيعُ
وجارتُهمْ حَصَانٌ[1] لم تُزَنَّى ... وطاعمةُ الشتاءِ فما تجوعُ
سُرى وُدّي ومكرمتي جميعاً ... طَوالَ زمانه مني الربيعُ

[الوافر]

وقال سلمة بن الخُرشُب خالهُم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حربه:

أتَيْتُمْ إلينا تَرْجُفون[2] جماعة ... فأين أبو قيس وأين رَبيعُ
وذاك ابنُ أخت زانه ثوبُ خاله ... وأعمامه الأعمام وهْو نَزيعُ[3]
رَفيقٌ بِداء الحرب طَبٌّ بصَعْبِها ... إذا شتَّ رأي القوم فهو جَمِيعُ[4]
عطوفٌ على المَولى ثَقيلٌ على العِدا ... أصمّ عن العوراء وهو سَمَيعُ

[الطويل]

وقال رجل من طيء ويقال له الربيع بن عُمارة:

فإن تكن الحوادث أفظعَتني ... فلم أرَ هالكاً كابنيْ زيادِ
هما رمحان خَطِّيَّان كانا ... من السُّمْر المُثَقَّفةِ الجيادِ
تهابُ الأرضُ أن يطآ عليها ... بمثلهما تُسالِمُ أوْ تُعادِي

[الوافر]

وقال الأثرم: حدثني أبو عمرو الشيباني قال: أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفَزاريُّ على بني عبس، فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جمل لها، فقادها بجملها، فقالت له: أيْ رجل، ضَلَّ حلمك، واللَّه لئن أخذتني فصارت هذه الأكمةُ بي وبك التي أمامنا وراءنا لا يكون بينك وبين بني زياد صُلْح أبداً، لأن الناس يقولون في هذه الحال ما شاؤوا، وحسبك من شَرٍّ سماعه، قال: إني أذهب بك حتى تَرْعَيْ عليَّ إبلي، فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمتْ بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفاً من أن يلحق بنيها عارٌ فيها.

(١) الحَصَان: المرأة العفيفة.
(٢) ترجفون: تتهيؤون للزحف والحرب.
(٣) النزيع: الغريب.
(٤) جميع: مجتمع الشمل.

وحدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبد اللَّه بن محمد قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي قال:

وفَد أبو بَراء مُلاعب الأسنة وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وإخوته طُفيل ومعاوية وعُبيدة، ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام، على النعمان بن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي، وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من أهل الشام تاجر يقال له سرجون بن نوفل، وكان حَريفاً للنعمان ـ يعني سرجون ـ يبايعه، وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة، فاستخفه النعمان، وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسيِّ متطبب كان له، وإلى الربيع بن زياد، وكان يُدعى الكامل، فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم، ففعل ذلك بهم مراراً، وكانت بنو جعفر له أعداء، فصدَّه عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وجفاء، وقد كان يُكرمهم قبل ذلك ويُقرب مجلسهم، فخرجوا من عنده غِضاباً، ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم، ويغدو بإبلهم كل صباح فيرعاها، فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يَلْقَون منه، فسألهم فكتموه، فقال لهم: واللَّه لا أحفظ لكم متاعاً ولا أَسْرَحُ لكم بعيراً أو تخبروني، وكانت أمُّ لبيد امرأةً من بني عبس، وكانت يتيمة في حِجْر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك وصدَّ عنا وجهه، فقال لهم لبيد: هل تقدرون على أن تجمعوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقول مُمِضّ ثم لا يلتفت النعمانُ إليه بعده أبداً، فقالوا: وهل عندك من ذلك شيء؟ قال: نعم، قالوا: فإنّا نَبلوك بشتم هذه البقلة، لبقلة قُدّامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعُها بالأرض تدعى التَّربةَ، فقال: هذه التَّربة التي لا تُذكي ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسرّ جاراً، عُودُها ضئيل، وفَرعها كَليل، وخَيرها قليل، بلدها شاسع، ونبتها خاشع، وآكلها جائع، والمقيم عليها ضائع، أقصرُ البقول فرعاً، وأخبثها مرعىً، وأشدها قلعاً، فتعساً لها وجَدعاً، القَوْا بي أخا بني عَبْس، أرجِعْه عنكم بِتَعْس ونَكْس، وأتركه من أمره في لَبْس. فقالوا: نُصبح فنرى فيك رأينا، فقال لهم عامر: انظروا غلامكم، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، وإنما يتكلم بما جاء على لسانه، ويَهذي بما يَهْجُسُ في خاطره، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم. فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلاً فهو يَكْدُم بأوسطه حتى أصبح، فلما أصبحوا قالوا: أنت واللَّهِ صاحبُه، فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابتين، وألبسوه حلَّة، ثم غدوا به معهم على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع، وهما يأكلان ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة من

الوفود، فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين، فدخلوا عليه وقد كان تقارب أمرهم، فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع في كلامهم، فقال لبيد يرتجز:

يا رُبَّ هيجَا هي خيرٌ من دَعَهْ ... أكُلَّ يومٍ هامتي مُقَزَّعَهْ
نحن بنو أمّ البنين الأربعَهْ ... ومن خيارٍ عامرِ بن صَعْصَعَهْ
المطعمون الجَفنةَ المذعذعهْ ... والضاربون الهام تحت الخيَضَعهْ
يا واهب الخيرِ الكثير مِنْ سَعَهْ ... إليك جاوزنا بلاداً مُسْبِعَهْ
يُخْبِر عن هذا خبيرٌ فاسمَعَهْ ... مهلاً أبيت اللعْنَ لا تأكلْ معَهْ
إنّ استه من بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ ... وإنه يدخل فيها أصبعَهْ
يُدخلها حتى يُواري أشجعَهْ ... كأنما يطلب شيئاً أطْمعَهْ

[الرجز]

فلما فرغ من إنشاده التفت النعمان إلى الربيع شَزْراً يرمُقه، فقال: أكذا أنت؟ قال: لا واللَّه لقد كذب عليّ ابن الحمِق اللئيم. فقال النعمان: أفٍّ لهذا الغلام، لقد خبَّثَ عليَّ طعامي، فقال: أبيت اللعن، أمَا إني لقد فعلت بأمه، فقال لبيد: أنت لهذا الكلام أهل، وهي من نساء غير فُعلٍ، وأنت المرءُ فَعَل هذا بيتيمة في حِجره، فأمر النعمان ببني جعفر فأخرجوا وقام الربيع فانصرف إلى منزله، فبعث إليه النعمان بضِعْف ما كان يَحْبوه به وأمره بالانصراف إلى أهله، وكتب إليه الربيع: إني قد تخوَّفت أن يكون قد وَفَر في صدرك ما قاله لبيدٌ، ولستُ برائم حتى تبعث من يُجرِّدني فيعلم مَنْ حَضَرك من الناس أني لست كما قال: فأرسل إليه: إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على ما زَلَّتْ به الألسن فالحق بأهلك، فقال الربيع:

لئن رحلتُ جمالي إنَّ لي سَعَةً ... ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا
بحيث لو وُزِنت لَخْمٌ بأجمعها ... لم يَعْدلوا ريشة من ريش شمْوِيلا[1]
تَرعى الروائمُ أحرارَ البقول بها ... لا مثل رعيكمُ مِلحاً وغَسويلا
فابرُق بأرضك يا نعمان متكئاً ... مع النطاسيِّ يوماً وابن توفيلا

[البسيط]

فكتب إليه النعمان:

شرِّد برحلك عني حيث شئت ولا ... تُكْثر عليَّ وَدعْ عنك الأباطيلا

(١) الشمويل: الآخذ ذات الشمال.

فقد ذُكِرْتَ به والرَّكْبُ حامِلُه ... وِرْداً يُعلِّلُ أهلَ الشام والنِّيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جَرَعت ... هوجُ المطيِّ به إبراقَ شمليلا[1]
قد قيل ذلك إنْ حقّاً وإن كذباً ... فما اعتذارك من شيء إذا قيلا
فالحقْ بحيث رأيت الأرض واسعة ... وانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا

[البسيط]

فأما الشعر الذي فيه الغناء فإن الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير وكان قتلُه في بعض تلك الوقائع التي يعرف مبدؤها بداحس والغبراء.

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، وأبي غسان دماذ، عن أبي عبيدة وإبراهيم بن سعدان عن أبيه قال:

كان من حديث داحس أن أمه فرسٌ كانت لِقرْواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها جَلْوى، وكان أبوه يسمى ذا العُقَّال، وكان لحوط بن أبي جابر بن أوس بن حميري بن رياح، وإنما سمي داحساً لأن بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجْعة، وكان ذو العُقَّال مع ابنَتَيْ حَوط بن أبي جابر بن أوس تجنُبانه، فمرّتا به على جَلْوَى فرس قرواش وديقا، فلما رآها الفرس وَدَى وصهل، فضحك شُبَّان من الحي رأوه، فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه، فنزا على جَلْوى فوافق قبولها فأقَصَّت، ثم أخذه لهما بعض الحي، فلحق بهما حوط وكان رجلاً شريراً سيئ الخلق، فلما نظر إلى عين الفرس قال: واللَّه لقد نزا فرسي فأخبراني ما شأنه، فأخبرتاه الخبر فقال: يا آل رياح، لا واللَّه لا أرضى أبداً حتى أخرج ماء فرسي، فقال له بنو ثعلبة: واللَّه ما استكرهنا فرسك، إنما كان مُنفلتاً، فلم يزل الشر بينهما حتى عظم، فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: دونكم ماءَ فرسكم، فسطا عليها وأدخل يده في ماء وتراب ثم أدخلها في رحمها حتى ظن أنه قد أخرج الماء، واشتملت الرحم على ما كان فيها، فنتجها قرْواش مهراً فسماه داحساً لذلك، وخرج كأنه أبوه ذو العُقَّال وفيه يقول جرير:

إن الجياد يَبِتْنَ حول خِبَائنا ... من آل أعْوج أو لذي العُقَّالِ

[الكامل]

وأعوج فرس لبني هلال.

(١) الشمليل: الجبان الفَرِق.

فلما تحرك المهر سام مع أمه وهو فلو يتبعها، وبنو ثعلبة سائرون، فرآه حَوْط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا بني رِياح ألم تفعلوا فيه أوَّل مرة ما فعلتم ثم هذا الآن، فقالوا: هو فرسنا ولن نترككم أو نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا، فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذاً لا نقاتلكم عنه أنتم أعز علينا، هو فداؤكم ودفعوه إليهم، فلما رأى ذلك بنو رِياح قالوا: واللَّه لقد ظلمنا إخوتنا مرتين، ولقد حَلُموا وكَرُموا، فأرسلوا به إليهم مع لَقُوحَيْن، فمكث عند قِرْواش ما شاء اللَّه، وخرج أجود خيول العرب، ثم إن قيس بن زهير بن جَذيمة العَبْسي، أغار على بني يربوع، فلم يُصب أحداً غير ابنتي قِرْواش بن عوف ومائة من الإبل لقرواش، وأصاب الحيَّ وهم خُلُوف، ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني أزنْمَ بن عُبَيد بن ثعلبة بن يربوع، فجالا في متن الفرس مُرْتَدِفَيْه وهو مقيّد بقيد من حديد فأعجلهما القوم عن حل قيده، واتبعهما القوم، فَضَبَر[1] بالغلامين ضَبْراً حتى نَجَوَا به، ونادتهما إحدى الجاريتين: إن مفتاح القيد مدفون في مِذْوَدِ الفرس بمكان كذا وكذا، أي بجنب مِذْوَد وهو مكان، أي لا تنزلا عنه إلَّا في ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطلقاه، ثم كرّاً راجعين، فلما رأى ذلك قيسُ بنُ زُهير رغب في الفرس فقال لهما: لكما حُكْمُكُما وادفعا إليّ الفرس، فقالا: أو فاعلٌ أنت؟ قال: نعم، فاستوثقا منه على أن يرد ما أصاب من قليل وكثير ثم يَرجعَ عَوْده على بَدْئِه، ويطلق الفتاتين، ويُخلّي عن الإبل، وينصرف عنهم راجعاً، ففعل ذلك قيس، فدفعا إليه الفرس، فلما رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا: لا نصالحك أبداً، أصَبْنا مائةً من الإبل وامرأتين فعمدتَ إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب به دوننا، فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل، فلما جاء قرواش قال للغلامين الأزنَميَّيْن: أين فرسي؟ فأخبراه، فأبى أن يرضى إلا أن يُدفع إليه فرسه فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه، فقُضِي بينهم أن تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى قيس بن زهير ويُرَدَّ عليه الفرسُ، فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شرّ، وانصرف قيس بن زهير ومعه داحس، فمكث ما شاء اللَّه.

وزعم بعضهم أن الرهان إنما هاجه بين قيس بن زهير وحُذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن عَديّ بن فَزَارة بن ذُبْيَان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار، أنّ قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قَيْنَة لحُذَيفة بن بدر تُغنيه بقول امرئ القيس:

دارٌ لـهـنـد والـرَّبـاب وفَـرْتَـنَـى ولَـمِـيـسَ قـبـل حـوادث الأيَّـام

[الكامل]

(١) ضبر: جمع قوائمه ووثب.

وهن فيما يُذكَر نسوةٌ من بني عبس، فغضب قيس بن زهير وشق رداءها وشتمها، فغضب حُذيفة، فبلغ ذلك قيساً فأتاه يسترضيه، فوقف عليه فجعل يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب، وعنده أفراس له، فعابها وقال: ما يَرتبط مثلُك مِثْلَ هذه يا أبا مُسْهِر، فقال حذيفة: أتعيبها؟ قال: نعم، فتجارَيَا حتى تراهنا.

وقال بعض الرواة: إن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني عبد اللَّه بن غَطَفان ثم أحد بني جَوْشَن وهم أهلُ بيت شُؤْم.

[ويقال إن الذي] أتاه الوردُ العَبْسيُّ أبو عُرْوة بن الورد ـ أتى حذيفة زائراً، فعرض عليه حذيفةُ خيلَه، فقال: ما أرى فيها جواداً مُبرّاً، والمُبرُّ: الغالب، قال ذو الرمة:

أبَرَّ على الخصوم فليس خَصْمٌ ولا خَصمان يَغْلِبه جِدَالَا

[الوافر]

فقال له حذيفة: فعند من الجواد المُبرّ؟ فقال: عند قيس بن زهير، فقال له: هل لك أن تراهنني عنه؟ قال: نعم قد فعلت، فراهنه على ذَكَر من خيله وأنثى، ثم إن العبسي أتى قيس بن زهير وقال: إني قد راهنت حُذيفة على فرسين من خيلك ذكرٍ وأنثى وأوجبت الرهان، فقال قيس: ما أبالي مَن راهنتَ غيرَ حذيفة، فقال: ما راهنتَ غيره، فقال له قيس: إنك ما علمتُ لأَنْكَدُ، ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه، فقال له: ما غدا بك؟ قال: غدوت لأُوَاضعك الرهانَ، قال: بل غَدوت لتُغْلِقه، قال: ما أردت ذلك، فأبى حذيفة إلا الرهان، فقال قيس: أخيرك ثلاث خلال، فإن بدأتَ فاخترتَ قبلي فلي خَلَّتان ولك الأولى، وإن بدأتُ فاخترتُ قبلك فلك خلتان ولي الأولى، قال حذيفة: فابدأ، قال قيس: الغاية من مائة غَلْوة ـ والغلوة: الرمية بالنُّشَّابة ـ قال حذيفة: فالمضْمَار أربعون ليلة، والمَجْرَى من ذات الإصاد، ففعلا ووضعا السَّبَق على يَديْ غَلَّاق أو ابن غَلَّاق أحد بني ثَعلبة بن سَعْد بن ثَعْلبة، فأما بنو عبس فزعموا أنه أجرى الخَطَّار والحَنْفاء وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قُرزُلاً والحَنفاء، وأجرى قيسٌ داحساً والغبراء.

ويزعم بعضهم أن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني المُعْتَمِر بن قُطَيعة بن عبس يقال له سُراقة راهن شابّاً من بني بَدر ـ وقيسٌ غائب ـ على أربع جَزائر من خمسين غَلْوَةَ، فلما جاء قيس كره ذلك وقال له: لم ينته رهان قطّ إلّا إلى شرّ، ثم أتى بني بدرٍ فسألهم المواضعة فقالوا: لا حتى نعرف سَبَقَنا فإن أخِذنا فحقنا، وإن تركنا فَحقُّنا، فغضب قيس ومَحَك وقال: أمَّا إذ فعلتم فأَعْظِموا الخَطَرَ وابْعِدُوا الغَاية.

قالوا: فذلك لك، فجعلوا الغاية من واردات إلى ذات الإصاد، وذلك مائةُ غَلْوة، والثَّنِيَّة فيما بينهما، وجعلوا القَصبة[١] في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حُصَين ويقال: رجل من بني العُشَراء من بني فَزارة وهو ابن أخت لبني عبس، وملؤوا البركة ماء، وجعلوا السابِق أول الخيل يَكْرَعُ فيها.

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المَدى الذي أُرْسِلْن منه ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه، فلما أُرْسِلَتْ عارضاها، فقال حذيفة: خدعْتك يا قيس، قال: تَرَكَ الخِداع من أجرى من مائة، فأرسلها مثلاً، ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تُبرُّ وخيل زهير تُقَصِّر، فقال حذيفة: سقتك يا قيس، فقال: جَريُ المُذَكِّيَات غِلابٌ، فأرسلها مثلاً، ثم ركضا ساعة فقال حذيفة: إنك لا تَرْكُض مَرْكَضاً، فأرسلها مثلاً، وقال سُبقَتْ خيلُك يا قيس، فقال قيس: رُوَيْداً يَعْلُونَ الجَدَدَ، فأرسلها مثلاً، قال: وقد جعل بنو فزارة كَميناً بالثنيَّة، فاستقبلوا داحساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابق، ولم يعرفوا الغَبْرَاء وهي خَلْفه مُصَلِّية[٢] حتى مضت الخيل واستهلَّت من الثنيَّة ثم أرسلوه، فتَمَطَّر في آثارها، أي أسرع، فجعل يبدُرُها فرساً فرساً حتى سبقها إلى الغاية مُصَلِّياً، وقد طرح الخيل غيرَ الغبراء ولو تباعدت الغاية لسبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلَّؤُها[٣] عن البركة، ثم لطموا داحساً وقد جاءا متواليين، وكان الذي لطمه عُمَيرَ بنَ نَضْلة، فَجَسأتْ[٤] يده فسُمي جاسئاً، فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس، وقد دفعتهم بنو فزارة عن سَبَقهم ولطموا أفراسهم ولم تُطقْهم بنو عبس يُقاتلونهم وإنما كان من شهد ذلك من بني عبس أبياتاً غير كثيرة، فقال قيس بن زهير: يا قوم إنه لا يَأتي قومٌ إلى قومهم شرّاً من الظلم، فأعطونا حقنا، فأبت بنو فزارة أن يعطوهم شيئاً، وكان الخَطَرُ عشرين من الإبل، فقالت بنو عبس: أعطونا بعض سَبَقنا، فأبوا، فقالوا: أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطعمها أهلَ الماء فإنّا نكره القَالة في العرب، فقال رجل من بني فزارة: مائةُ جزور وجزورٌ واحدٌ سواءٌ، واللّه ما كنا لنُقرَّ لكم بالسَّبْق علينا ولم نُسْبَق. فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال: يا قوم إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان، وقد أحسن في آخره، وإن الظلم لا ينتهي إلّا إلى الشر فأعطوه جزوراً من نَعَمكم، فأبوا، فقام إلى جزور من إبله فَعَقَلها ليُعطيها قيساً

(١) القصبة: تركز عند منتهى السباق فمن سبق إليها فاز.
(٢) المُصلِّية: التي تأتي ثانية في السِّباق.
(٣) حلّؤها: منعوها وصدُّوها.
(٤) جسأت: يبست.

ويرضيَه، فقام ابنه فقال: إنك لكثير الخطإ، أتريد أن تخالف قومك وتُلْحق بهم خَزَاية بما ليس عليهم؟ فأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنَّعَم، فلما رأى ذلك قيسُ بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عَبْس، فأتى على ذلك ما شاء اللَّه.

ثم إن قيساً أغار عليهم فلقي عَوْفَ بن بدر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بني فزارة فَهَمُّوا بالقتال وغضبوا، فحمل الرَّبيعُ بن زياد أحدُ بني عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس، ديَةَ عوف بن بدر مائة عُشَراء مُتْلِيَة ـ العشراء: التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من مَلْقَحها، والمتالي: التي نَتَج بعضها والباقي يتلوها في النتاج ـ وأمُّ عوف وأم حُذيفة ابنةُ نَضْلة بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة، واصطلح الناس فمكثوا ما شاء اللَّه.

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها مُلَيكة بنت حارثة من بني عوذ بن فزارة، فابتنى[1] بها باللُّقَاطة قريباً من الحاجِر، فبلغ ذلك حذيفة بنَ بدر، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسانِّ خيله وقال: لا تُنْظروا مالكاً إن وجدتموه أن تقتلوه، والربيعُ بن زياد بن عبد اللَّه بن سُفْيان بن قارب العبسي مجاورٌ حذيفةَ بن بدر، وكانت تحت الربيع بن زياد معاذةُ ابنة بَدر، فانطلق القوم فلقوا مالكاً فقتلوه، ثم انصرفوا عنه فجاؤوا عشيَّةً وقد جَهَدوا أفراسهم، فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم؟ قالوا: نعم وعقرناه، فقال الربيع: ما رأيت كاليوم قط، أهلكتَ أفراسك من أجل حمار، فقال حذيفة لَمَّا أكثر عليه من الملامة وهو يحسب أن الذي أصابوا حماراً: [إذاً] إنّا لم نقتل حماراً ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر، فقال الربيع: بئس لعمر اللَّه القتيل ما فعلت أما واللَّه إني لأظنه سيبلغ ما يُكْرهُ، فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا، فقام الربيع يطأ الأرض وَطْأً شديداً، وأخذ يومئذٍ حملُ بنُ بدر ذا النون سيفَ مالك بن زهير.

قال أبو عبيدة: فزعموا أن حُذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه أَمة مولّدة له فقال لها: اذهبي إلى مُعَاذةَ بنت بدر امرأة الربيع، فانظري ما ترين الربيع يصنع، فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت، فاندسَّت بين الكِفَاء والنَّضد ـ والكفاءُ: شُقَّة في آخر البيت، والنَّضَد: متاعٌ يُجعل على حمار من خشب ـ فجاء الربيعُ فَنَفذ البيتَ حتى أتى فرسه فقبض بمَعْرَفته، ثم مسح متنه حتى قبض بعُكْوة ذنبه ـ العُكْوة: أصل الذنب ـ ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه فهزّه هزّاً شديداً ثم ركزه كما كان، ثم قال

(١) إبتنى بها: جامعها.

لامرأته: اطرَحي لي شيئاً، فطرحت له شيئاً فاضطجع عليه وكانت قد طَهُرتْ تلك الليلة، فدنت منه فقال: إليك، قد حدث أمر، ثم تغنّى وقال:

نـام الـخَـلـيُّ ولـم أغـمِّـضْ حَـارِ ... مـن سَـيِّـئ الـنـبإ الـجـلـيـل الـسـاري
مِن مثـلـه تُـمْـسِـي الـنـسـاء حـواسـراً[1] ... وتـقـوم مُـعْـوِلَـةٌ[2] مـع الأسـحـارِ
مـن كـان مـسـروراً بـمـقـتـل مـالـك ... فـلـيـأت نـسـوتـنـا بـوجْـه نَـهـار
يـجـد الـنـسـاء حـواسـراً يـنـدبـنـه ... يَـبـكـيـن قـبـل تَـبَـلُّـج الأسـحـارِ
قـد كُـنَّ يَـخْـبـأن الـوجـوهَ تَـسـتُّـراً ... فـالـيـوم حـيـن بَـدوْنَ لـلـنُّـظَّـارِ
يَـخْـمُـشْـن حُـرَّات الـوجـوه عـلـى امرئ ... سَـهْـل الـخـلـيـقـة طـيِّـب الأخـبـارِ
أفـبـعْـدَ مـقـتـل مـالـك بـن زُهـيْـرٍ ... تـرجـو الـنـسـاءُ عَـواقـب الأطـهـارِ
مـا إنْ أرى فـي قَـتـلـه لـذوي الـحِـجَـا ... إلَّا الـمَـطِـيّ تُـشَـدُّ بـالأكـوارِ
ومُـجَـنَّـبـات مـا يَـذقْـنَ عَـذُوفَـةً ... يَـقْـذِفْـن بـالـمُـهَـرات والأمـهـارِ

[الكامل]

العذوف والعدوف واحد وهو ما أكلته:

ومَـسـاعـراً صَـدأُ الـحـديـدِ عـلـيـهـمُ ... فـكـأنَّـمـا طُـلِـيَ الـوجـوهُ بـقَـارِ[3]
يـا رُبَّ مـسـرور بـمـقـتـل مـالـك ... ولـسـوف نـصـرفـه بـشَـرٍّ مَـحَـارِ[4]

[الكامل]

فرجعت الأمة فأخبرت حذيفة الخبر فقال: هذا حين اجتمع أمْرُ إخوتكم ووقعت الحربُ.

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جاره، سيِّرني فإني جاركم، فَسَيَّره ثلاث ليال، ومع الربيع فضلة من خمر، فلما سار الربيع دسَّ حذيفة في أثره فوارس فقال: اتبعوه، فإذا مضت ثلاث ليال فإن معه فضلة من خمر، فإن وجدتموه قد هَرَاقها فهو جاد وقد مضى فانْصَرِفوا، وإن لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل فرتع وشرب فقتلوه، فتبعوه فوجدوه قد شقّ الزِّق ومضى فانصرفوا، فلما أتى الربيعُ قومه، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شَحْناء، وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير

(١) حواسر: كاشفات الرؤوس.
(٢) مُعوِلة: نائحة باكية رافعة صوتها بالعويل.
(٣) القار: الزفت.
(٤) المحَار: المآل المرجع.

في دِرْع كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردها على قيس، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخُرْشب الأنمارية بن أنمار بن بغيض، وهي إحدى مُنْجِبات قيس، وهي أم الربيع، وهي تسير في ظَعائن من عَبْس، فاقتاد جملها يريد أن يرتهنها بالدرع حتى تُرَدَّ عليه، فقالت: ما رأيت كاليوم فِعْلَ رجل، أيْ قيس ضَلَّ حِلْمُك، أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذتَ أمهم فذهبتَ بها يميناً وشمالاً. فقال الناس في ذلك ما شاؤوا؛ وحسبك من شر سماعه؟ فأرسلتها مثلاً، فعرف قيس بن زهير ما قالت له، فخلّى سبيلها واطرد إبلاً لبني زياد فقدم بها مكة، فباعها من عبد اللَّه بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة القرشي وقال في ذلك قيس بن زهير:

ألَمْ يبلغْك والأنماءُ تَنْمى ... بما لاقتْ لَبَوُن بني زيادِ
ومَحْبِسها على القُرَشيَّ تُشْرى ... بأدراع وأسياف حِدادِ
كما لاقيْتَ من حَمَلِ بن بدرٍ ... وإخوته على ذات الإصادِ
هُمُ فَخَرُوا عليَّ بغير فَخْرٍ ... وذادوا دونَ غايته جَوادي
وكنتُ إذا مُنيتُ بخصْم سَوْءٍ ... دلَفْتُ له بداهيَة نَآدِ[1]
بداهية تَدُقُّ الصُّلْبَ منه ... فتقصم أو تَجُوبُ[2] عَن الفؤادِ
وكنت إذا أتاني الدهرَ رِبْقٌ[3] ... بداهيةٍ شددت لها نِجَادي

[الوافر]

الربق ما يتقلده:

ألم تعلم بنو المِيقاب أنِّي ... كريمٌ غير مُنْغَلِث الزنادِ

[الوافر]

الوَقْب: الأحمق، والميقاب: التي تَلدُ الحمقى، والمُنغلث الذي ليس بمُنَقَّى:

أُطَوِّف ما أُطَوِّف ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دُوَادِ

[الوافر]

جاره يَعني ربيعَةَ الخير بنَ قُرْط بن سَلمة بن قُشَير. وجار أبي دُواد يقال له الحارث بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذهْل بن شَيْبان، وكان أبو دُواد في جواره، فخرج صبيانُ

(١) النآد: الداهية.
(٢) تجوب: تخطر وتشق.
(٣) ربْق: حبل فيه عدَّة عرى.

الحيّ يلعبون في غَدير، فغَمَس الصبيان ابنَ أبي دُواد فيه فقتلوه، فخرج الحارث فقال: لا يبقى صبي في الحيّ إلَّا غُرِّق في الغدير أو يرضى أبو دُوَاد، فَوُدِيَ ابنُ أبي دواد عشر ديات فرضي، وهو قول أبي دُوَاد:

إبـلـى الإبْـلُ لا يـحـوزهـا الـرا ... عُـونَ مـجَّ الـنـدى عـلـيـهـا الـمُـدامُ

[الخفيف]

قال أبو سعيد: حفظي:

. . . . . لا يحوزها الرا ... عي ومج الندى. . . . . .

إلـيـك ربـيـعـةَ الـخَـيْـر بـنَ قُـرْطٍ ... وَهُـوبـاً لـلـطـريـف ولـلـتِّـلادِ

كـفـانـي مـا أخـاف أبـو هِـلالٍ ... ربـيـعـةُ فـانـتـهَـتْ عَـنِّـي الأعـادي

تـظـلُّ جـيـادُه يـجْـريـن حـولـي ... بـذات الـرِّمـث كـالـحِـدإ[1] الـغَـوَادي

كـأنـي إذْ أنـخـت إلـى ابـن قُـرْطٍ ... عـقـلْـتُ إلـى يَـلَـمْـلَـمَ أو نَـصـادِ

[الوافر]

وقال أيضاً قيس بن زهير:

إن تـك حَـرْبٌ فـلـم أجْـنِـهـا ... جـنـتْـهـا خـيـارُهُـمُ أوهُـمُ

حِـذارَ الـرَّدى إذ رأوا خـيـلـنـا ... مُـقَـدَّمُـهـا سـابـحٌ أدْهَـمُ

عـلـيـه كِـمـيٌّ وسـرْ بـالُـه ... مـضـاعـفـةٌ نَـسْـجُـهـا مُـحْـكَـمُ

فـإنْ شَـمَّـرَتْ لـك عـن سـاقـهـا ... فَـوَيْـهـاً رَبـيـعُ ولـم يَـسْـأمُـوا

نَـهَـيْـت ربـيـعـاً فـلـم يَـزْدجـرْ ... كـمـا انـزجـر الـحـارث الأضـجَـمُ

[المتقارب]

قال أبو عبد اللَّه: الحارث الأضجم: رجل من بني ضُبَيْعَة بن ربيعة بن نزار وهو صاحب المِرْباع.

قال: فكانت تلك الشَّحْنَاء بين بني زياد وبين بني زُهير، فكان قيسٌ يخاف خِذلانهم إياه، فزعموا أن قيساً دسَّ غلاماً له مُوَلَّداً فقال: انطلق كأنك تطلب إبلاً، فإنهم سيسألونك، فاذكر مقتل مالك، ثم احفظ ما يقولون؛ فأتاهم العبدُ فسمع الربيع يتغنّى بقوله:

أفـبـعـد مـقـتـل مـالـك بـن زهـيـرٍ ... تـرجـو الـنـسـاءُ عـواقـب الأطـهـار

[الكامل]

(١) الحِدَأ: مفردها الحِدَأة وهي طائر من الجوارح.

فلما رجع العبد إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد عرف قيس أنْ قد غضب، فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة، فأرسلوا إليهم: أن رُدُّوا علينا إبلنا التي ودينا[1] بها عَوْفاً أخا حُذيفة بن بدر لأمِّه، فقال: لا أعطيكم دية ابن أمي، وإنما قتل صاحِبَكمُ حملُ بنُ بدر وهو ابنُ الأصديَّة، وأنتم وهو أعلم. فزعم بعض الناس أنهم كانوا ودَوْا عوفَ بن بدر بمائة من الإبل مُتْلية ـ أي قد دنا نِتَاجها ـ وأنه أتى على تلك الإبل أربع سنين وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأَعيانها، فقال له سنان بن خارجة المُرِّيّ: أتريد أن تُلْحق بنا خَزَايةً فنعطيهم أكثر مما أعطونا فتسبنا العرب بذلك؟ فأمسكها حذيفة، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلا إبلهم بعينها، فمكث القوم ما شاء اللَّه أن يمكثوا.

ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلاً له، فمرّ على بني رَوَاحة، فرماه جُنَيدب ـ أحد بني رواحة ـ بسهم فقتله، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك:

لِلَّه عيناً من رأى مثل مالك ... عَقيرَةَ قوم أنْ جَرى فَرسانِ
فليتهما لم يشربا قَطُّ قَطْرَةً ... وليتهما لم يُرْسَلا لرهانِ
أحَلَّ به أمسِ الجُنيدبُ نَذره ... فأيُّ قتيل كان في غَطَفانِ
إذا سجعتْ بالرَّقْعَتَيْن حمامةٌ ... أو الرَّسِّ فابْكى فارس الكَتِفانِ

[الطويل]

فرس له كانت تسمى الكَتِفان.

ثم إن الأسلع بن عبد اللَّه بن ناشب بن زيد بن هِدْم بن أد بن عَوذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس مشى في الصُّلح ورهنَ بني ذُبيان ثلاثةً من بنيه وأربعةً من بني أخيه حتى يصطلحوا، جعلهم على يدي سُبيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، فمات سُبيع وهم عنده، فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سُبيع: إن عندك مَكْرمةً لا تبيد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأُغَيْلمة، وكأني بك لو قَدْ متُّ قد أتاك حُذيفةُ خالُك ـ وكانت أمُّ مالك هذا ابنة بدر ـ فعصر عينيه وقال: هلك سيّدُنا، ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم فلا شرف بعدها، فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم، فلما ثَقُل جعل حذيفة يبكي ويقول هلك سيدنا، فوقع ذلك له في قلب مالك، فلما هلك سُبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه ثم قال له: يا مالك، إني خالك، وإني أسَنُّ منك فادفع إليَّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أن ننظر في أمرنا. ولم يزل به حتى دفعهم

(١) وَدَينا: دفعنا الدِّيَة.

إلى حذيفة باليَعْمُريَّة ـ واليَعْمُريَّةُ ماء بِوادٍ من بَطْنِ نَخْلٍ من الشَّرَبَّة لبني ثعلبة ـ فلما دفع مالكٌ إلى حذيفة الرُّهُن جعل كل يوم يُبرز غلاماً فينصبَه غَرَضاً ويُرمى بالنبل ثم يقول: ناد أباك، فينادي أباه حتى يُمزّقه النَّبْلُ، ويقولُ لواقد بن جُنيدب: ناد أباك، فجعل ينادي: يا عماه، خلافاً عليهم، ويكره أن يَأبِسَ أباه بذلك ـ والأبْس: القَهْرُ والحَمْلُ على المكروه ـ وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبد الأسلع: ناد جُنَيبة، وكان جنيبة لقب أبيه، فجعل ينادي: يا عَمْراه، باسم أبيه، حتى قُتل، وقُتِل عُتبةُ بن قيس بن زهير. ثم إن بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مُرةَ فالتقوا هم وبنو عبس، فقتلوا منهم مالك بن سُبيع بن عمرو الثَّعلبيّ ـ قتله مَرْوانُ بن زِنْباع العبسي ـ وعبدَ العُزَّى بنَ حُذار الثَّعلبيّ، والحارثَ بنَ بدر الفزاريَّ وهَرمَ بن ضَمْضم المُرِّيَّ ـ قتله وَرْدُ بن حابِسٍ العبسي ـ ولم يشهد ذلك اليوم حذيفةُ بن بدر، فقالت ناجيةُ أختُ هَرِم بن ضمضم المُرّيّ.

يـا لَـهْـفَ نـفـسـي لـهـفَـة الـمـفـجـوع أن لا أرى هَـــرِمـــاً عـــلـــى مَـــوْدوعِ
مـنْ أجـل سَـيِّـدنـا ومـصـرع جـنـبـه عَـلِـقَ الـفـؤادُ بـحَـنْـظَـلٍ مـصْـدُوعِ

[الكامل]

مَودوعٌ: فرسه.

ثم إن حذيفة بن بدر جمع وتهيأ، واجتمع معه بنو ذُبيان بن بغيض، فبلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم، فقال قيس: أطيعوني، فواللَّه لئن لم تفعلوا لأنَكثَنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري، قالوا: فإنّا نطيعك، فأمرهم فسرَّحُوا السَّوامَ والضِّعَاف بليْلٍ، وهم يريدون أن يَظْعَنوا من منزلهم ذلك، ثم ارتحلوا في الصبح. وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامُهم وضعفاؤهم، فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا، فقال قيس: خذوا غير طريق المال فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب أموالكم، فأخذوا غير طريق المال، فلما أدرك حذيفة الأثر ورآه قال: أبعدهم اللَّه. وما خَيْرهم بعد ذهاب أموالهم، فاتّبع المال، وسارت ظُعُن بني عبس والمُقاتلة من ورائهم، وتبع حذيفةُ وبنو ذبيان المالَ، فلما أدركوه رَدُّوا أوله على آخره ولم يُفْلت منهم شيء، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل فيذهب بها، وتفرقوا واشتد الحر، فقال قيس بن زهير: يا قوم إن القوم قد فرّق بينهم المَغْنَم فاعْطِفوا الخيل في آثارهم. فلم تشعر بنو ذبيان إلَّا والخيل دوائس، فلم يقاتلهم كبيرُ أحد، وجعل بنو ذبيان إنما همَّةُ الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضى بها، فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البَقِيَّة،

ولم يكن لهم هَمٌّ غيرَ حُذيفة، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره، وأرسلوا خيلاً تَنْفض الناس ويسألونهم، حتى سقط خبرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شداد بن معاوية بن ذهل بن قُراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطيعة العبسي، وعمرو بن الأسلع والحارث بن زهير، وقرْواش بن هُنَيّ بن أُسَيّد بن جَذِيمة، وجُنَيدب، وكان حُذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافة أن يُقْتَصَّ أثرُه، ثم شد الحزام فوضع صَدرَ قدمه على الأرض، فعرفوه وعرفوا حَنَفَ فرسه ـ والحَنَفُ: أن تُقبل إحدى اليدين على الأخرى، وفي الناس: أن تُقبل إحدى الرجلين على الأخرى وأن يطأ الرجل وَحْشِيَّهُما، وجَمْع الأحنف حُنْف ـ فاتبعوه ومضى حتى استغاث بجَفْر الهَبَاءة وقد اشتد الحرّ، فرمى بنفسه، ومعه حمل بن بدر، وحَنَش بن عمرو، وورْقاء بن بلال وأخوه، وهما من بني عَديّ بن فَزارة، وقد نزعوا سرُوجهم وطرحوا سِلاحهم ووقعوا في الماء، وتمعَّكت[1] دوابُّهم، وقد بعثوا رَبيئَةً فجعل يطَّلع فينظر، فإذا لم ير شيئاً رجع، فنظر نظرة فقال: إني قد رأيت شخصاً كالنعامة أو كالطائر فوق القَتادة من قِبَلِ مجيئنا، فقال حذيفة: هَنّاً وهَنّاً، هذا شداد على جِرْوة ـ وجرْوة فرس شداد، والمعنى: دعْ ذكر شداد عن يمينك وعن شمالك واذكر غيره لمَا كان يخاف من شداد ـ فبينا هم يتكلمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم، فحال بينهم وبين الخيل، ثم جاء عمرو بن الأسلع، ثم جاء قِرْوَاش حتى تتاموا خمسة، فحمل جُنيدب على خيلهم فاطّردها، وحمل عمرو بن الأسلع فاقتحم هو وشداد عليهم في الجَفْر، فقال حذيفة: يا بني عبس فأين العقول والأحلام؟ فضربه أخوه حمل بن بدر بين كتفيه وقال: اتَّقِ مَأثور القول بعد اليوم، فأرسلها مثلاً، وقتل قرْواشُ بنُ هُنَيٍّ حُذيفةَ، وقتل الحارث بنُ زهير حملَ بنَ بدر، وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير، وكان حَمَلٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله، فقال الحارث بن زهير في ذلك:

تركْتُ على الهَباءةِ[2] غَيْرَ فَخْرٍ ... حُذيفةَ حوله قصَدُ العَوالي[3]

سيخبر عنهم حَنَشُ بنُ عمرٍو ... إذا لاقاهُمُ وابنا بلالِ

ويخبرهمْ مكانَ النوُّن منّي ... وما أعْطيتُه عَرَقَ الخلالِ

[الوافر]

العَرَق: المكافأة، والخلال: المَودَّة، يقول: لم يعطوني السيف عن مكافأة ومودة، ولكني قتلتُ وأخذتُ.

(١) تمعَّكت: تمرَّغت بالتراب. (٢) الهباءة: الغبار.
(٣) العوالي: الرِّماح.

فأجابه حَنَشُ بن عمرٍو أخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان:

سيُخبرك الحديثَ به خبيرٌ يُجاهِرُك العداوةَ غَيْرَ آلي
بُداءتها لِقِرْواش وعمْرٍو وأنت تَجُول جَوْبُك في الشِّمالِ

[الوافر]

الجَوْبُ: التُرْس، يقول: بُداءة الأمر لِقِرْواش وعمرو بن الأسلع وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا، وأنت تُرْسُك في يدك تجول لم تُغْن شيئاً. ويقال: لك البُداءة ولفلان العُوَادة.

وقال قيس بن زهير:

تعلّم أنَّ خير الناس مَيْتٌ على جَفْرِ الهباءة ما يَرِيمُ[1]
ولولا ظُلْمهُ ما زلْتُ أبكي عليه الدهرَ ما طَلَع النجومُ
ولكنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والبغْيُ مَرْتعُه وخَيمُ
أظُنُّ الحِلْمَ دلَّ عليّ قومي وقد يُسْتَجْهَل الرجلُ الحليمُ
فلا تَغْشَ المظالم لن تراه يُمَتَّعُ بالغِنَى الرجُلُ الظَّلُومُ
ولا تَعجَلْ بأمرك واستَدِمْهُ فما صَلَّى عصاك كمستديم
ألاقي من رجال مُنْكَرَاتٍ فأنكرها وما أنا بالغَشُومِ[2]
ولا يُعْيبك عُرْقوب[3] بلأي[4] إذا لم يُعْطِك النِّصْفَ الخصيمُ
ومارَسْت الرجالَ ومارَسُوني فمُعْوجٌّ عليَّ ومستقيمُ

[الوافر]

قوله: فما صلَّى عصاك كمستديم، يقول: عليك بالتأنّي والرفق وإياك والعجلة فإن العجول لا يُبْرم أمراً أبداً، كما أن الذي يُثَقِّفُ العُود إذا لم يُجِدْ تَصْليته على النار لم يستقم له.

وقال في ذلك شداد بن معاوية العبسي:

ومَنْ يكُ سائلاً عني فإني وجِرْوَة لا تَرود ولا تُعارُ
مُقَرَّبَةُ النساء ولا تراها أمام الحي يَتْبعها المِهارُ

(١) ما يريم: ما يفارق موضعه.
(٢) الغَشوم: الظَّلوم.
(٣) العرقوب: يضرب به المثل للؤمه فيقال «شرُّ ما جاء إلى مخِّه عرقوب».
(٤) اللّأي: الاحتباس والشِّدة.

لـهـا فـي الـصـيـف آصِـرةٌ وجُـلٌّ وسِـتٌّ مـن كـرائـمـهـا غِـزَارُ
[الوافر]

آصرة: حشيش، وستٌّ أي ست أيْنُق تُسْقى لبنها:

أَلَا أبـلِـغْ بـنـي الـعُـشَـرَاء عـنّـي عَـلانـيَـةً ومـا يُـغْـنـي الـسِّـرَارُ
قَـتَـلْـتُ سَـراتَـكُـمْ وحَـسَـلْـتُ مـنـكـم حَـسِـيـلاً[1] مـثـل مـا حُـسِـلَ الـوِبـارُ
[الوافر]

حُسالة الناس وحُفالتهم ورَعاعهم وخَمَّانهم وشَرَطُهم وحُثالتهم وخُشارتهم وغُثاؤهم واحد، وهم السِّفْلة، يقول: قتلت سراتكم وجعلتكم بعدهم حُسَالة كما خُلِقت الوبارُ حُسالةً.

وكان ذلك اليوم يوم ذي حُساً، ويزعم بعض بني فزارة أن حذيفة كان أصاب يومئذٍ فيمن أصاب من بني عبس تُماضر ابنة الشَّريد السُّلَمِيَّة أمَّ قيس فقتلها. وكانت في المال.

وقال:

ولـم أقـتـلـكُـمُ سِـرّاً ولـكـن عـلانـيـة وقـد سَـطَـع الـغُـبَـارُ
[الوافر]

صـوت

جـاء الـبـريـد بـقـرطـاس يـخُـبّ بـه فـأوجـس الـقـلـب مـن قِـرطـاسـه فـزعَـا
قـلـنـا لـك الـويـل مـاذا فـي صـحـيـفـتـكـم قـال الـخـلـيـفـة أمـسـى مُـثـبـتـاً وجـعَـا
[البسيط]

عروضه من الكامل، الشعر ليزيد بن معاوية، والغناء لابن محرز هزج بالوسطى عن عمرو، وهذا الشعر يقوله يزيد في علة أبيه التي مات فيها، وكان يزيد يومئذٍ غازياً غزاة الصَّائفة[2].

(١) الحسيل: البقر الأهلي لا واحد له، ورذال الشيء.
(٢) غزاة الصائفة: غزوة الصيف.

خبر ليزيد بن معاوية

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني السّكري والمبرد عن دماذ أبي غسان واسمه رفيع بن سلمة، عن أبي عبيدة.

أن معاوية وجّه جيشاً إلى بلد الروم ليغزوا الصائفة، فأصابهم جُدَرِيٌّ، فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مُصْطَبِحاً بِديْر مُرصان مع زوجته أم كلثوم فبلغه خبرهم فقال:

إذا ارتفقتُ على الأنماط[١] مُصْطَبحاً[٢] بـديـر مُـرَّانَ عـنـدي أمُّ كُـلْـثـوم
فـمـا أبـالـي بـمـا لاقـتْ جُـنـودُهُـمُ بـالْـغَـذْقَـدونَـةِ مـن حُـمَّـى ومـن مُـوم[٣]

[البسيط]

فبلغ شعرهُ أباه فقال: أجل واللَّه ليَلْحَقَنَّ بهم فليصيبَنَّه ما أصابهم، فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القُسْطَنطينية، فنظر إلى قُبَّتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من إحداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى، فسأل يزيد عنهما فقيل له: هذه بنت ملك الروم، وتلك بنْتُ جَبَلة بن الأيْهم وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها، فقال: أمَا واللَّه لأسُرَّنَّها. ثم صفّ العسكرَ وحمل حتى هزم الروم فأجْحَرهم في المدينة، وضرب باب القسطنطينية بعمود حديدٍ كان في يده فهشمه حتى انخرق، فضُرب عليه لوح من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

نسخت من كتاب محمد بن موسى اليزيدي: حدثني العباس بن ميمون طائع قال: حدثني ابن عائشة عن أبيه، وحدثني القحذمي.

أن ميسون بنت بَحْدل الكَلْبية كانت تُزَيّن يزيد بن معاوية وتُرَجّل[٤] جُمَّته، قال: فإذا نظر إليه معاوية قال:

---

(١) الأنماط: مفردها نمط وهو ضرب من البُسُط.

(٢) المصطبح: هو الذي تناول طعام الصباح وشرابه.

(٣) الموم: من أشد أنواع الجدري.

(٤) تُرَجِّل جمَّته: تمشّط مقدمة شعره.

فإن مات لم تُفلحْ مُزَينة بعده فَنُوطي عليه يا مُزَيْن التّمائمَا

[الطويل]

فلما احْتُضر معاوية حَضَره يزيد بن معاوية وعنبسة بن أبي سفيان، فبكى يزيد إلى عنبسة وقال:

لو فات شيءٌ يُرَى لفات أبو حَبَّان لا عاجز ولا وَكِلُ[1]

ألحُوّلُ القُلَّبُ الأريبُ ولن يَدْفَعَ زَوْءَ المَنيَّة الجِيَلُ

[المنسرح]

فسمعهما معاوية بعد أن رددهما مراراً فقال: يا بني، إن أخوف ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك، إني كنت أُوضِّئ رسول اللَّه ﷺ فكساني قميصاً وأخذت شعراً من شعره، فإذا أنا متّ فكفّني في قميصه، واجعل الشعر في منخري وأذني وفمي، وخلِّ بيني وبين ربي لعل ذلك ينفعني شيئاً. قال العباس بن ميمون: فقلت للقحذمي: هذا غلط، والدليل على ذلك أن أبا عدنان ـ وها هو حيٌّ فاسأله ـ عن الهيثم بن عدي، عن ابن عيَّاش، عن الشَّعْبي: أن معاوية مات ويزيد بالصائفة، فأتاه البريد بنَعْيه فأنشأ يقول:

جاء البريدُ بقرطاس يَخُبّ به[2] فأوجس القلب من قرطاسه فَزعَا

قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكمْ قال الخليفة أمسى مُثْبَتاً وجَعَا

مادتْ[3] بنا الأرضُ أو كادت تميد بنا كأنَّ ما عزَّ من أركانها انقلعَا

من لم تزل نفسه تُوفى على وجَلٍ تُوشِكْ مقاديرُ تلك النفس أن تَقَعَا

لما وردتُ وبابُ القصر مُنطبقٌ لصوتِ رَمْلَةَ هُدَّ القَلبُ فانصدعَا

[البسيط]

وكان الذي تولى غسْله ودفْنه الضحاك بن قيس، فخطب الناس فقال: إن ابن هند قد تُوفي، وهذه أكفانه على المنبر، ونحن مدرجوه فيها ومُخلُّون بينه وبين ربه، ثم هو البَرْزَخ إلى يوم القيامة. ولو كان يزيدُ حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئاً. قال العباس: فسكت القحذميّ وما رَدَّ عليّ شيئاً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء: قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن جدي، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال:

---

(١) الوَكِل: الذي يتكل على غيره في شؤونه.

(٢) يَخِبُّ به: يسرع.

(٣) مادت: اهتزت واضطربت.

صلى بنا عبد اللَّه بن الزُّبير يوماً ثم انفتل من الصلاة فَنَشَج[١]، وكان قد نُعِيَ له معاوية، ثم قال: رحم اللَّه معاوية إنْ كُنَّا لنخدَعُه فيتخادع لنا، وما ابن أنثى بأكرم منه، وإنْ كنا لنعرفه يَتَفَارَقُ[٢] لنا وما الليث المُحَرَّبُ بأجرأ منه، كان واللَّه كما قال بطحاء العُذريّ:

ركـوب الـمـنـابـر وثَّـابُـهـا مِـعَـنٌّ بـخـطـبـتـه مـجْـهَـرُ
تَـريـعُ إلـيـه عـيـونُ الـكـلام إذا حَـصِـرَ الـهَـذِرُ[٣] الـمـهْـمِـرُ[٤]

[المتقارب]

كان واللَّه كما قالت رقيقة، أو قال: بنت رقيقة:

ألا ابْـكِـيـه ألا ابـكـيـهِ ألا كـلُّ الـغِـنَـى فـيـهِ

[الهزج]

واللَّه لَوُدِّي أنه بقي بقاء أبي قُبَيْس لا يُتَخَوَّنُ له عقلٌ ولا يُنْقَصُ له قُوَّة. قال: فعرفنا أن الرجل قد استوحش.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: قال محمد بن إسحاق المُسيّبي: حدثني جماعة من أصحابنا.

أن ابن عباس أتاه نَعْيُ معاوية وولايةُ يزيد، وهو يُعشي أصحابه ويأكل معهم، وقد رفع إلى فيه لقمةً فألقاها وأطرق هُنيهة ثم قال: جَبَلٌ تَدكدك ثم مال بجميعه في البحر واشتملت عليه الأبْحُر، للَّه درُّ ابن هِنْد، ما كان أجملَ وجهَه، وأكرم خُلُقَه، وأعظم حلْمَه. فقطع عليه الكلامَ رجُلٌ من أصحابه وقال: أتقول هذا فيه؟ فقال: ويحك إنك لا تدري من مضى عنك ومن بقي عليك، وستعلم. ثم قطع الكلام.

صـوت

إذا زيـنـبٌ زارهـا أهـلـهـا حـشـدت وأكـرمـتُ زُوَّارَهـا
وإن هـي زارتـهـمُ زرتـهـمْ وإن لـم أجـدْ لـي هَـوًى دارَهـا
فَـسِـلْـمـي لـمـن سَـالَـمَـتْ زيـنـبٌ وحَـرْبـي لـمـن أشـعـلـت نـارَهـا

(١) نشج: غص بالبكاء فسمع لصدره صوتاً دون النحيب.
(٢) يتفارق: يظهر الخوف والفزع.
(٣) الهَذِر: المكثر من الكلام الرديء.
(٤) المَهمِر: الكثير من الكلام.

ومـــا زلْـــتُ أرعـــى لـــهـــا عَـــهْـــدهـــا ولـــم أتَّـــبِـــعْ ســـاعـــةً عَـــارَهـــا

[المتقارب]

عروضه من المتقارب، الشعر لشُرَيح القاضي في زوجته زينب بنت حُدير التميمية، والغناء لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالبنصر عنه على مذهب إسحاق، وذكر إسحاق في كتاب الأغاني المنسوب إليه أنه لابن محرز.

ذكر شريح ونسبه وأخباره

هو فيما أخبرني به الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن السائب. وأخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدثني عليّ بن عبد اللَّه بن معاوية بن مَيْسرة بن شُريح، كلاهما اتفق في الرواية لنسبه.

أنه شُريح بن الحارث بن قيس بن الجَهْم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرَتّع الكندي. قال هشام في خبره خاصة: وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم وسائرهم من هَجَر وحَضْرَموت.

وقد اختلف الرواةُ بعد هذا في نسبه فقال بعضهم: شُريح بن هانئ، وهذا غلط، ذاك شُريح بن هانئ الحارثي، واعتلّ من قال هذا بخبر رُوي عن مُجَالد عن الشَّعْبي أنه قرأ كتاباً من عمر إلى شُريح: من عبد اللَّه عُمَرَ أمير المؤمنين إلى شُريح بن هانئ. وقد يجوز أن يكون كتب عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ هذا الكتابَ إلى شريح بن هانئ الحارث وقرأه الشعبي. وكلا هذين الرجلين معروف، والفرق بينهما النسب والقضاء، فإن شُريح بن هانئ لم يَقْض وشُريح بن الحارث قد قَضَى لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب عليه السلام. وقيل: شريح بن عبد اللَّه، وشريح بن شراحيل، والصحيح ابنُ الحارث، وابنه أعلم به.

وقد أخبرنا وكيع قال: حدثنا أحمد بن عمر بن بكير قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عدي، عن أبي ليلى.

أن خاتم شريح كان نقشه شريح بن الحارث.

وقيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن، وعِداده في كندة، وقد رُوي عنه شبيه بذلك.

أخبرنا وكيع قال: حدثنا عبد اللَّه بن محمد الحنفي قال: حدثنا عبدان قال: حدثنا عبد اللَّه بن المبارك قال: حدثنا سفيان الثوري، عن ابن أبي السفر، عن الشعبي قال:

جاء أعرابي إلى شريح فقال: ممن أنت؟ قال: أنا من الذين أنعم اللَّه عليهم، وعدادي في كندة.

قال وكيع: وقال أبو حسان، عن أيوب، عن جابر، عن أبي حصين قال:

كان شريح إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم اللَّه عليه بالإسلام، عَديد كندة.

قال وكيع: وقيل: إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق لأن أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا.

وقد اختُلف أيضاً في سنه فقيل: مائة وعشرون سنة، وقيل: مائة وعشر، وقيل أقل من ذلك وأكثر.

فممن روى أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سَوَّار، روى ذلك يحيى بن مُعين، عن المحاربي، عن أشعث. وأبو سعيد الجُعْفي، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزُّهري.

وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم. أخبرنا الحسن بن علي عن الحارث عن ابن سعد عن أبي نعيم قال: بلغ شريح مائة وثمان سنين.

قال الحارث: وأخبرني ابن سعد، عن الواقدي، عن أبي سَبْرَة، عن عيسى، عن الشعبي قال:

توفي شُريح في سنة ثمانين أو تسع وسبعين.

قال ابن سعد: وقال إبراهيم: في سنة ست وسبعين. وقال أبو إبراهيم الزهري عن أبي سعيد الجعفي: إن شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان.

أخبرني وكيع قال: حدثنا الكراني، عن سهل، عن الأصمعي قال:

وُلِد لشريح وهو ابن مائة سنة.

وروى إسماعيل بن أبان الوارق، عن عليّ بن صالح قال:

قيل لشريح: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ابن ست ومائة، قضيت منها ستين سنة.

وأخبرني وكيع بخبر عمر حين استقضاه قال: حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن أيوب قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا شعبة قال: سمعت سياراً قال: سمعت الشعبي يقول:

إن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ أخذ من رجل فرساً على سَوْم، فحمل عليه رجلاً، فَعَطِبَ الفرسُ، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال له الرجل: اجعل بيني وبينك شُرَيحاً العراقيّ. فقال: يا أمير المؤمنين، أخذتَه صحيحاً سليماً على سَوْم، فعليك أن ترده كما أخذته، قال: فأعجبه ما قال وبعث به قاضياً. ثم قال: ما وجدتَه في كتاب اللَّه فلا تسأل عنه أحداً، وما لم تستبن في كتاب اللَّه فالزم السُّنة، فإن لم يكن في السنة فاجتهد رَأيكَ.

أخبرني وكيع قال: أخبرني عبد اللَّه بن الحسن، عن النُّمَيري، عن حاتم بن قَبِيصة المهلبيّ، عن شيخ من كنانة قال:

قال عمر لشريح حين استقضاه: لا تُشَارَّ[1] ولا تُضَارَّ ولا تشتر ولا تَبعْ فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين:

إنَّ الـقُـضـاةَ إنْ أرادوا عَـدلَا وفَـصَـلُـوا بـيـن الـخـصـوم فـصـلَا
وزَحْـزَحـوا بـالـحُـكْـم مـنـهـم جَـهْـلَا كـانـوا كـمـثـل الـغَـيْـث صـابَ مَـحـلَا[2]

[الرجز]

وله أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها، وفيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها محاكمة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام إليه في الدرع.

حدثني به عبد اللَّه بن محمد بن إسحاق ابن أخت داهر بن نوح بالأهواز قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي قال: حدثني حكيم بن حزام، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي قال:

عرف عليٌّ صلوات اللَّه عليه درْعاً مع يهوديّ فقال: يا يهوديّ، درعي سقطت مني يوم كذا وكذا، فقال اليهودي: ما أدري ما تقول، درعي وفي يدي، بيني وبينك قاضي المسلمين، فانطلقا إلى شريح، فلما رآه شُريح قام له عن مجلسه، فقال له عليٌّ: اجلس. فجلس شُريح، ثم قال: إن خَصْمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك، ولكني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا تُساووهم في المجلس، ولا تَعُودوا مرضاهم، ولا تُشَيّعُوا جنائزهم، واضْطَرُّوهم إلى أضيق الطرق، وإن سَبُّوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم**»، ثم قال: درعي عرفتها مع هذا اليهودي، فقال شريح لليهودي: ما تقول؟ قال: درعي وفي يدي، قال شريح: صدقتَ واللَّه يا أمير المؤمنين إنها لدرعك

(١) تُشَارَّ: تخاصم وتعادي.
(٢) المَحْل: الجدب وانقطاع المطر.

كما قلت، ولكن لا بدَّ من شاهد فدعا قُنبراً فشهد له، ودعا الحسن والحسين ابنا عليّ فشهدا له، فقال: أما شهادة مولاك فقد قبلتها، وأما شهادة ابنيك لك فلا، فقال عليّ: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟**» قال: اللَّهم نعم، قال: «**أفلا تجيز شهادة سيدي شباب أهل الجنة؟**» واللَّه لتخرجنّ إلى بَانِقِيَا[1] فلتقضين بين أهلها أربعين يوماً. ثم سلَّم الدرع إلى اليهودي. فقال اليهودي: أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه فرضي به، صدقت إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أورق فالتقطتها، وأنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه. فقال عليّ عليه السلام: هذه الدرع لك وهذه الفرس لك. وفرض له في تسعمائة، فلم يزل معه حتى قتل يوم صِفّين.

(١) بانقيا: موضع بالكوفة.

خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثنا أبو هَمَّام الوليد بن شجاع قال: حدثنا ابن أبي زائدة وأبو محمد رجلٌ ثقة قال: حدثنا مجالد.

عن الشَّعبيّ قال: قال لي شريح: يا شَعْبيّ، عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: انصرفت من جنازة ذات يوم مُظهّراً[١] فمررت بدور بني تميم، فإذا امرأةٌ جالسة في سقيفة على وسادة. وتجاهها جارية رُؤْد ـ يعني التي قد بلغت ـ ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة فاستسقيت فقالت لي: أي الشراب أعجب إليك: النبيذ أم اللبن أم الماء؟ قلت: أي ذلك تيسر عليكم، قالت: اسقوا الرجل لبناً فإني إخاله عربيّاً، فلما شربتُ نظرتُ إلى الجارية فأعجبتني فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قلت: وممن؟ قالت: زينب بنت حُدير إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طُهَيَّة، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجنيها؟ قالت: نعم إن كنت كفيّاً[٢]، ولها عم فاقصده، فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف: مسروق بن الأجدع والمسيّب بن نَجعبة، وسليمان بن صُرد الخُزاعي، وخالد بن عُرْفُطَه العذري، وعروة بن المغيرة بن شعبة، وأبي بُردة بن أبي موسى، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمها جالس فقال: أبا أمية حاجتك، قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذُكِرَتْ لي بنت أخيك زينب بنت حُدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مقصر وإنك لنُهْزَةَ[٣]، فتكلمت فحمدت اللَّه جل ذكره، وصليت على النبي ﷺ، وذكرت حاجتي. فرد الرجل عليّ وزوّجني، وبارك القوم لي، ثم نهضنا، فما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها، فهممت بطلاقها ثم قلت: أجمعها إليّ، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقتها، أياماً ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلستْ في البيت

(١) المُظَهَّر: السائر في الظهيرة.
(٢) الكفّي: المماثل والمكافئ.
(٣) النُّهزة: الفرصة الثمينة التي تنتهز.

أخذت بناصيتها فبركت، وأخلي لي البيت فقلت يا هذه إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين، ويسألا اللَّه خَيْرَ ليلتهما، ويتعوّذا باللَّه من شرها. فقمت أصلي ثم التفت فإذا هي خلفي، فصليت ثم التفت فإذا هي على فراشها، فمددت يدي فقالت لي: على رِسْلكَ، فقلت: إحدى الدواهي مُنيتُ بها، فقالت: إن الحمد للَّه، أحمده وأستعينه، إني امرأة عربية، ولا واللَّه ما سرت مسيراً قطّ أشد عليّ منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدِّثني بما تُحبّ فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه، فقلت: الحمد للَّه وصلى اللَّه على محمد، قدمت خيرَ مقدم، قدمت على أهل دارٍ زوجُك سيِّدُ رجالهم، وأنت سيدةُ نسائهم؛ أحبّ كذا، وأكره كذا، قالت: أخبرني عن أختانك[1] أتحب أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاض، وما أحب أن تُمِلُّوني[2] قال: فبت بأنعم ليلة، وأقمت عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله؛ حتى إذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى، قلت: يا زينب، من هذه؟ فقالت: أمي فلانة، قلت: حياك اللَّه بالسلام، قالت: أبا أمية كيف أنت وحالك؟ قلت: بخير، أحمد اللَّه، قالت: أبا أمية كيف زوجتك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إن المرأة لا تُرَى في حال أسوأ خُلُقاً منها في حالين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً، فإن رابك منها ريب فالسوط، فإن الرجال واللَّه ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الورهاء[3] المُتَدَلّلة، قلت: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتنا الرياضةَ وأحسنت الأدب. قال: فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف. قال شريح: فما غضبت عليها قطُّ إلا مرة كنت لها ظالماً فيها، وذاك أني كنت إمام قومي فسمعت الإقامة، وقد ركعتُ ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً، فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تُحرّكي الإناء حتى أجيء، فعجلتْ فحركت الإناء، فضربتها العقربُ، فجئت فإذا هي تَلَوَّى، فقلت: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب، فلو رأيتني يا شَعبيُّ وأنا أعرُكُ أصبعها بالماء والملح، وأقرأ عليها المُعَوِّذتين وفاتحة الكتاب. وكان لي يا شعبي جار يقال له ميسرة بن عرير من الحيّ، فكان لا يزال يضرب امرأته فقلت:

رأيت رجالاً يضربون نساءهمْ فشلَّتْ يميني يوم أضرب زينبَا

[الطويل]

(١) الأَخْتَان: أقرباء الزوجة.
(٢) تُمِلُّوني: توقعوني في الضجر والسآمة.
(٣) الورهاء: الحمقاء.

يا شعبي فوددت أني قاسمتها عيشي.

ومما يغنّى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب.

صـوت

رأيـت رجـالاً يـضـربـون نـسـاءهـمْ فـشـلّـت يـمـيـنـي يـوم أضـرب زيـنـبَـا
أأضـربـهـا فـي غـيـر جـرم أتـتْ بـه إلـيَّ فـمـا عـذري إذا كـنـتُ مُـذْنِـبَـا
فَـتـاةٌ تَـزِيـن الـحَـلْـيَ إنْ هـي حُـلِّـيَـتْ كـأنَّ بـفـيـهـا الـمـسـكَ خـالـط مَـحْـلَـبَـا

[الطويل]

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَنّس.

صـوت

أمـن رسْـم دار مَـرْبَـعٌ ومَـصـيـفُ لـعـيـنـك مـن مـاء الـشُّـؤُون وَكِـيـفُ
تـذكَّـرتُ فـيـهـا الـجَـهْـلَ حـتـى تـبـادرتْ دمـوعـي وأصـحـابـي عَـلَـيَّ وُقـوفُ

[الطويل]

عروضه من مصرّع الطويل، الشعر للحُطَيْئة من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص لما وَلِيَ الكوفة لعثمان، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو.

أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن حكيم.

عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: لقيني إياس بن الحطيئة فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي وفي كِسْرِ بيته عشرون ألفاً أعطاه إياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب واللَّه ما أعطيتمونا، وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت واللَّه.

قال أبو زيد فمما قال فيه قوله:

أمْنْ رسم دار مَرْبعٌ ومَصيفُ ... لعينيك من ماء الشؤون[١] وَكيفُ[٢]
إليك سعيدَ الخير جُبْتُ مَهَامهاً ... يقابلني آلٌ[٣] بها وتُنُوفُ[٤]
ولولا أصيل اللبِّ غضُّ شبابه ... كريمٌ لأيام الممنون عَرُوفُ
إذا همَّ بالأعداء لم يَثْنِ همَّه ... كَعابٌ[٥] عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ[٦]
حصَانٌ[٧] لها في البيت زِيٌّ وبهجةٌ ... وَمَشْيٌ كما تمشي القطاةُ قَطُوف[٨]
ولو شاء وارى الشمسَ من دون وَجهه ... حِجَابٌ ومَطْوِيُّ السَّراة مُنيفُ[٩]

[الطويل]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن حكيم الطائي، عن خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه قال:

كان سعيد بن العاص في المدينة زمن معاوية، وكان يُعَشّي الناس، فإذا فرغ من العشاء، قال الآذن: أجيزوا إلَّا من كان من أهل سَمَره، قال: فدخل الحُطيئة فتعشى

(١) الشؤون: العروق التي تنهمر منها الدموع.
(٢) الوكيف: الانهمال.
(٣) الآل: السراب.
(٤) التُنوف: مفردها التنوفة وهي الأرض الواسعة لا ماء بها ولا أنيس.
(٥) الكَعاب: الظاهرة الثديين، النَّاهد.
(٦) الشُنوف: الأقراط.
(٧) الحَصان: العفيفة.
(٨) القَطوف: البطيئة السير.
(٩) المنيف: العالي المرتفع.

مع الناس، ثم أقبل، فقال الآذن: أجيزوا، حتى انتهى إلى الحطيئة فقال: أجز، فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءه قال: دعه، وأخذ في الشعر، والحطيئة مطرق لا ينطق، فقال الحطيئة: واللَّه ما أصبتم جيّد الشعر ولا شاعر الشعراء، قال سعيد: من أشعر العرب يا هذا؟ قال: الذي يقول:

لا أعـدُّ الإقـتـار عُـدْمـاً ولـكـنْ ... فَـقْـدُ مـن قَـد رُزئْـتـه الإعـدامُ
مـن رجـالٍ مـن الأقـارب بـانـوا ... مـن جُـذَامٍ هُـمُ الـرُّؤُوس الـكـرامُ
سُـلِّـطَ الـمـوتُ والـمـنـونُ عـلـيـهـم ... فـلـهـمْ فـي صُـوَى[1] الـمـقـابـر هَـامُ[2]
وكَـذاكُـمْ سـبـيـل كُـل أنـاسٍ ... سـوف حَـقّـاً تُـبْـلـيـهـمُ الأيَّـامُ

[الخفيف]

قال: ويحك، من يقول هذا الشعر؟ قال: أبو دُواد الإيادي، قال: أوَ تَرْويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده الشعر كله، قال: ومن الثاني؟ قال: الذي يقول:

أفْـلِـحْ بـمـا شـئـت فـقـد يُـبْـلـغ بـالـضَّـعـف وقـد يُـخـدع الأريـبُ[3]

[الرجز]

قال: ومن يقول هذا؟ قال: عَبِيد، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده، ثم قال له: ثم مَنْ؟ قال: واللَّه لَحَسبُكَ بي عند رهبة أو رغبة إذا وضعتُ إحدى رجليَّ على الأخرى ثم رفعت عقيرتي بالشعر، ثم عويت على إثر القوافي عواء الفصيل الصادر عن الماء. قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة، قال: ويحك، قد علمت تشوُّقَنَا إلى مجلسك، وأنت تكتمنا نفسك منذ الليلة، قال: نعم لمكان هذين الكلبين عندك، وكان عنده كَعب بن جُعيل وأخوه، وكان عنده سُويد بن مشنوء النهدي حليفُ بني عديّ بن جَناب الكَلْبيين، فأنشده الحطيئة قوله:

ألـسـتَ بـجـاعـلـي كـابـنَـيْ جُـعَـيـلٍ ... هـداك الـلَّـه أو كـابـنَـيْ جَـنَـابِ
أدِبُّ فـلا أقـدِّر أن تـرانـي ... ودونـك بـالـمـديـنـة ألـفُ بـابِ
وأُحـبـس بـالـعـراء الـمَـحْـل بـيـتـي ... وبـيـتـك عـازب ضـخـم الـذبـابِ

[الوافر]

---

(١) الصُوى: العلامات التي توضع على القبور.

(٢) الهام: ضرب من البوم الصغير صوتها كالنعيب وهي أيضاً الجثة أو رأس كلّ شيء، وتسمّى كذلك الصدى.

(٣) الأَريب: الماهر أو البصير بالأمر.

العازب: الكلأ الذي لم يرع وقد التف نبته، فقال له سعيد: لعمر اللَّه لأنت أشعر عندي منهم فأنشدني فأنشده:

سعيدٌ وما يَفْعَلْ سعيدٌ فإنه نجيبٌ فَلاهُ[١] في الرباط[٢] نجيبُ[٣]
سعيد فلا يغررْك قلَّةُ لحمه تخدَّد[٤] عنه اللحم فهو صليبُ

[الطويل]

ويروى: خفة لحمه:

إذا غاب عنا غاب عنا ربيعُنا ونُسْقى الغمام الغُرَّ حين يَؤوبُ
فنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره إذا الريح هبَّت والمكانُ جَديبُ

[الطويل]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم عاد فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

أمن رسم دار مربع ومصيف

يقول فيها:

إذا همَّ بالأعداء لم يَثْنِ عزمه كَعَابٌ عليها لؤلؤ وشُنُوفُ

[الطويل]

فأعطاه عشرة آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد وزاد فيه.

فانتهى الشرط إلى الحطيئة، فرأوه أعرابيّاً قبيح الوجه كبير السن، سيئ الحال رث الهيئة، فأرادوا أن يُقيموه فأبى أن يقوم، وحانت من سعيدٍ التفاتةٌ فقال: دعوا الرجل. وباقي الخبر مثله.

قال أبو عبيدة في هذا الخبر: وأخبرني رجل من بني كنانة قال:

أقبل الحطيئة في ركْبٍ من بني عَبْس حتى قدم المدينة، فأقام مدة، ثم قال له من في رفقته: إنّا قد أرْدينا[٥] وأجْلَبْنا[٦]، فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل هذه

(١) فلاه: ولده.
(٢) الرباط: ملازمة ثغور العدو.
(٣) النجيب: الكريم الحسيب.
(٤) تخدَّد: هزل ونقص، زال عنه اللحم.
(٥) أردينا: جعلنا الدواب تخدّ الأرض لحوافرها.
(٦) أجلبنا: أحدثنا جلبة خلال حثّنا للخيل على السباق.

القرية فَقَرانا[1] وحملنا، فأتى خالدَ بن سعيد بن العاص فسأله فاعتذر إليه وقال: ما عندي شيء، فلم يُعِدْ عليه الكلام وخرج من عنده فارتاب به خالد فبعث يسأل عنه، فأُخبر أنه الحطيئة فرده، فأقبل الحطيئة فقعد لا يتكلم، فأراد خالد أن يستفتحه الكلام فقال: من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

ومَنْ يَجعلِ المعروف من دون عِرْضه يَفِرْهُ ومن لا يَتَّقِ الشتم يُشْتَم

[الطويل]

فقال خالد لبعض جلسائه: هذه بعض عقاربه، وأمر له بكسوة وحُمْلان، فخرج بذلك من عنده.

صـوت

حبّذا الليلتي بتَلّ بُوَنَّا حين نُسْقَى شَرَابنا ونُغَنَّى

إذ رأينا جواريا عظراتٍ وغناءً وقَرقَفاً فنزلنَا

ما لهم لا يبارك اللَّه فيهم إذْ يَسَالون ويحنا ما فَعَلْنَا

[الخفيف]

عروضه الضرب الأول من الخفيف، الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة، والغناء لحنين رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) قرانا: أضافنا.

أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر الفزاري، وقد مضى هذا النسب في أخبار عُويَف القوافي وقد مضت أخباره وذِكْرُ هذا البيتِ من فزارة وشرفُه فيها وسائر قصصه هناك، وكان الحجاج بن يوسف ولّى مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هنداً بأصبهان بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه، ثم خلّاه بعد ذلك، وطالت أيامه بأصبهان، فظهرت عليه خيانة أخرى، فحبسه وناله بكل مكروه.

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى قال: حدثني هشام بن محمد الهلاليّ قال:

اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته في وقعة بنات قَين، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة فأخرجه من السجن، وكان محبوساً بمال عليه للحجاج، فسأله عن الحديث فحدثه به، ثم أقبل على هند فقال: قومي إلى أخيك، فقالت: لا أقوم إليه وأنت ساخط عليه، فأقبل الحجاج عليه فقال: إنك واللَّه ما علمتُ للخائن أمانتَه، اللئيمُ حسبه، الزاني فَرْجُه. فقال: إن أذن لي الأمير تكلمت، قال: قل، قال: أما قول الأمير: الزاني فرجه. فواللَّه لأنا أحقر عند اللَّه عز وجل وأصغر في عين الأمير من أنْ يَجب للَّه عليَّ حَد فلا يُقيمه، وأما قوله: اللئيم حسبه، فواللَّه لو علم الأمير مكانَ رَجُل أشرف مني لم يصاهرني، وأما قوله: إني خؤون، فلقد ٱئتمنني فَوَفَّرت، فأخذني بما أخذني به فبعت ما كان وراء ظهري، ولو ملكتُ الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام. قال: فنهض الحجاج وقال: شأنك يا هند بأخيك، قال مالك بن أسماء: فوثبت هند إليّ فأكبَّتْ عليّ، ودعت بالجواري ونزعن عني حديدي، وأمرت بي إلى الحمام وكستني وانصرفتُ، فلبثتُ أياماً ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عُهود، وفيها عهدي على أصبهان، قال: خذ هذا العهد وامض إلى عملك، فأخذته ونهضت، قال: وهي ولايته التي عزله عنها وبلغ به ما بلغ من الشر.

قال أبو زيد: ويقال: إنه كان في الحبس في الدفعة الثانية مُضَيَّقاً عليه في كل أحواله، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح، فاشتاق الحجاج

إلى حديثه يوماً فأرسل إليه فأحضر، فبينا هو يحدثه إذ استسقى ماء فأُتي به، فلما نظر إليه الحجاج قال: لا، هات ماء السجن فأُتي به وقد خلط بالملح والرماد فسقيه.

قال: ويقال: إنه هرب من الحبس فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج.

قال: وكتب إليه بعض أهله أن يمضي إلى الشام فيستجير ببعض بني أمية حتى يأمن ثم يعود إلى مصره، وقد كان خالد بن عتَّاب الرياحي فعل ذلك واستجار بزُفَرَ بن الحارث الكلابي فأجاره، فراجعه عبد الملك في أمره ثم أجاره، فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يدخل إلى الحجاج ويسأله في أمره، فقال ابن أسماء في ذلك:

أبـنَـي فـزارةَ لا تُـعَـنُّـوا شـيـخَـكُـمْ ... مـا لـي ومـا لـزيـارة الـحَـجَّـاجِ
شـبَّـهـتـه شِـبْـلاً غـداةَ لـقـيـتُـهُ ... يُـلْـقـي الـرؤوسَ شـواخـبَ[1] الأوداجِ
تـجـرى الـدمـاءُ عـلـى الـنِّـطَـاع كـأنَّـهـا ... رَاحٌ[2] شَـمُـولٌ غـيـرُ ذات مِـزاجِ
لا تـطـلـبـوا حـاجـاً إلـيـه فـإنـه ... بـئـس الـمُـؤمَّـلُ فـي طِـلابِ الـحَـاجِ
يـا لـيـت هـنـداً أصـبـحـتْ مَـرمـوسةً[3] ... أوْ لـيـتـهـا جَـلَـسـتْ عـن الأزواجِ

[الكامل]

قال أبو زيد: فأما خبر خالد بن عتَّاب الرياحي فإن الحجاج كان استعمله على الرّيّ، وكانت أمه أمَّ ولد، فكتب إليه الحجاج يُلخِّنُ أمه ويقول:

يا ابن اللّخناء، أنت الذي هربتَ عن أبيك حتى قُتلَ، وقد كان حلف أن لا يسب أحدٌ أمّه إلا أجابه كائناً من كان، فكتب إليه خالد: كتبتَ إليَّ تُلَخِّنني، وتزعم أني فررت عن أبي حتى قتل، ولعمري لقد فررت عنه ولكن بعد أن قتل، وحين لم أجد لي مُقَاتَلاً، ولكن أخبرني عنك يا ابن اللخناء المُسْتَفرِمَة بعَجَم زبيب الطائف حين فررت أنت وأبوك يوم الحَرّة على جمل ثَفَال[4]، أيكما كان أمام صاحبه. فقرأ الحجاج الكتاب وقال: صدق:

أنـا الـذي فـررت يـوم الـحَـرَّهْ ... ثـم ثَـنَـيْـتُ كَـرَّةً بـفَـرَّهْ

[الرجز]

والـشـيـخ لا يـفـرّ إلَّا مَـرَّهْ

(١) شواخب: مقطعة.
(٢) الراح والشمول: من أسماء الخمر.
(٣) مرموسة: مدفونة.
(٤) الثفال: الثقيل البطيء.

ثم طلبه وهرب إلى الشام وسلّم بيت المال ولم يأخذ منه شيئاً، وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه، وقدم خالد الشام فسأل عن خاصة عبد الملك فقيل له رَوْحُ بن زِنْباع، فأتاه حين طلعت الشمس فقال: إني جئتك مستجيراً، فقال: إنني قد أجرتك إلَّا أن تكون خالداً، قال: فإني خالد، فتغير وقال: أنشدك اللَّه إلَّا خرجت عني فإني لا آمن عبد الملك، فقال: أنظرني حتى تغرب الشمس، فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد، فأتى زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ فقال: إني جئتك مستجيراً، قال: قد أجرتك، قال: أنا خالد بن عتاب، قال: وإن كنت خالداً، فلما أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسن، فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس، فلما رآه دعا له بكرسي فجُعل عند فراشه، فجلس ثم قال: يا أمير المؤمنين إني قد أجرت عليك رجلاً فأجره، قال: قد أجرته إلَّا أن يكون خالداً، قال: فهو خالد، قال: لا ولا كرامة، فقال زفر لابنيه: أنهضاني، فلما ولّى قال: يا عبد الملك أمَا واللَّه لو كنت تعلم أنّ يدي تُطيق حمْلَ القناة ورأس الجواد لأجرتَ من أجرتُ، فضحك وقال: يا أبا الهُذيل قد أجرناه، فلا أريَنَّه، وأرسل إلى خالد بألفي درهم، فأخذها ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم.

رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن يزيد النحوي، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد اللَّه بن مسلم، قالا:

عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند وعشقها أخوه عُيينة بن أسماء بن خارجة، فاستعان بأخيه مالك ـ وهو لا يعلم ما يَجدُ بها ـ يشكو إليه حبها، فكتب إليه مالك بن أسماء.

أعُـيَـيْـنُ هـلّا إذ كـلِـفـتَ بـهـا ... كـنـتَ اسـتـغـثْـتَ بـفـارغ الـعَـقْـلِ
أرسَـلْـت تـبـغـي الـغـوث مـن قِـبَـلِـي ... والـمـسـتـغـاثُ إلـيـه فـي شُـغْـلِ

[الكامل]

قال ابن قتيبة خاصة: وهوى مالك بن أسماء جارية من بني أسد وكانت تنزل داراً من قصب، وكانت دارُ مالك في بني أسد داراً سَريَّةً مبنيّة بالجص والآجُرّ فقال:

يـا لـيـت لـي خُـصَّـا يُـجـاورهـا ... بـدلاً بـداري فـي بـنـي أسَـدِ
ألـخُـصُّ فـيـه تَـقَـرُّ أعـيُـنُـنـا ... خـيْـرٌ مـن الآجُـر والـكَـمَـدِ

[البسيط]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هِفَّان، عن إسحاق الموصلي، عن الزبير.

أن عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء ـ قال أبو هفَّان في خبره ـ وهو يطوف بالبيت وقد بهر الناسَ جمالُه وكمالُه فأعجب عُمَرَ ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلم عليه وقال له: أنت أخي حقّاً، فقال له مالك: ومن أنت؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إنَّ لـي عـنـد كـل نـفـحـةِ بـسْـتَـا ... نٍ مـن الـورد أو مـن الـيـاسـمـيـنـا
نَـظَـراً والـتـفـاتـة أتَـرَجَّـى ... أنْ تـكـونـي حَـلَـلْـت فـيـمـا يَـلـيـنـا

[الخفيف]

غنّت فيه عُلَيَّة بنت المهدي خفيف رمل بالوسطى.

وقال أبو هفان في حديثه: قال له عمر: ما زلت أحبك منذ سمعت هذا الشعر لك، فقال له مالك: أنت عمر بن أبي ربيعة، قال: نعم.

قال الزبير في خبره خاصة: وحدثني ابن أبي كُناسة أن عمر لما لقي مالكاً استنشده فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره، فقال له عمر: ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

إنَّ فـي الـرفـقـة الـتـي شـيَّـعـتـنـا ... بـجـويـر سـمـا لـزيـن الـرفـاقِ

[الخفيف]

ومثل قولك:

أشـهـدتِـنـا أم كـنـت عـائـبـةً ... عـن لـيـلـتـي بـحـديـثـة الـقـسْـبِ

[الكامل]

ومثل قولك:

حـبّـذا لـيـلـتـي بـتَـل بُـوَنَّـا ... حـيـن نُـسـقَـى شـرابـنـا ونُـغَـنَّـى

[الخفيف]

فقال له مالك: هي قرى البلد الذي أنا فيه، وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرض بلادك، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

حـيّ الـمـنـازل قـد دثَـرْنَ خَـرابَـا ... بـيـن الـجُـوَيْـن وبـيـن ركـن كـسـابَـا

[الكامل]

ومثل قولك:

مـاذا عـلـى الـرسـم بـالـبـلـيَّـيـن لـو بَـيَّـنَ رجـع الـسـلام أو لـوْ أجـابَـا

[الكامل]

فأمسك عنه عمر بن أبي ربيعة.

ومالك بن أسماء الذي يقول:

وحـديـث ألـذُّه هـو مِـمَّـا يَـنْـعَـتُ الـنـاعـتـون يُـوزن وَزْنَـا

مَـنْـطـقٌ صـائـبٌ وتـلـحـن أحـيـا ناً وأحـلـى الـحـديـث مـا كـان لَـحْـنَـا

[الخفيف]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال:

حدثني أبي قال: قلت للجاحظ: إني قرأت في فضل من كتابك المسمّى بكتاب البيان والتبيين: إنما يُستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدتَ ببيتي مالك بن أسماء، يعني هذين البيتين، قال: هو كذاك، فقال: أما سمعت بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجاج، حين لحنت في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجَّت ببيتي أخيها، فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة فهي تلحن بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستر معناه، وتُوَرّى عنه وتُفْهمه من أرادت بالتعريض، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]. ولم يرد الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة ثم قال: لو سقط إليَّ هذا الخبر أوّلاً لما قلت ما تقدم، فقلت له: فأصلحه، فقال: الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق، وهذا لا يصلح، أو كلاماً نحو ما ذكرنا. فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه.

أخبرني الحسين بن يحيى وجعفر بن قدامة قالا: قال حماد: حدثني أحمد بن داود السدي قال:

ورد عليَّ كتاب أمير المؤمنين المتوكل وأنا على سَواد الكوفة أن ابْتَعْ لي تَلَّ بُوَنَّا بما بلغَتْ، فابتعتها له، فإذا قرية صغيرة على تلّ قد خرب ما حواليها من الضِّيَاع، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم، قال: فظننته حَرَّكه على طلبها أنه غُنِّي:

حـبـذا لـيـلـتـي بِـتَـلِّ بَـوَنَّـا

فسألت عن ذلك، فعرفت أن جاريته مكتومة غنته هذا الصوت، قال حماد: ومكتومة هذه جارية أهداها أبي إليه لمّا وَلِيَ الخلافة، فإنه سأل عنه فعرف أنه قد كُفّ

بصره، فكتب له بمائة ألف درهم، وأمر بإشخاصه إليه مُكرماً، فأشخِص إليه وأهدى إليه عدة جوار هذه فيهن.

وروى الهيثم بن عدي، عن ابن عيَّاش:

أن الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء فعاتبه عتاباً طويلاً ثم قال له: أنت واللَّه كما قال أخو بني جَعْدةَ:

إذا مـا سـوأةٌ غـرَّاءُ مـاتَـتْ ... أتَـيْـتَ بـسـوأة أخـرى بَـهـيـم
ومـا تـنـفَـكُّ تُـرْحَـضُ كـلَّ يـوم ... مـن الـسَّـوْآت كـالـطـفـل الـنـهـيـم[1]
أكـلَّ الـدهـر سَـعْـيُـك فـي تَـبَـابٍ ... تُـنَـاغـي كُـلَّ مُـومـسَـةٍ أثـيـم

[الوافر]

فقال له، لست كما قال الجَعْديُّ، ولكنّي كما قلت:

لـكـلّ جـواد عـثـرةٌ يَـسْـتَـقـيـلُـهـا ... وعَـثْـرةُ مـثـلـي لا تُـقـالُ مـدى الـدَّهْـرِ
فَـهَـبْـنـيَ يـا حـجّـاجُ أخـطـأتُ مـرَّةً ... وجـرْتُ عـن الـمُـثْـلـى وغـنـيـت بـالـشِّـعـرِ
فـهـل لـي إذا مـا تُـبْـتُ عـنـدك تـوبـةٌ ... تَـدارَكُ مـا قـد فـات فـي سـالـف الـعـمـرِ

[الطويل]

فقال له الحجاج: بلى واللَّه لئن تبتَ لأقبلنَّ توبتك ولأعُفِّيَنَّ على ما كان من ذنبك، ومن لي بذلك يا مالك؟ قال له: لك اللَّه به، قال: حسبي اللَّه ونعم الوكيل، فانظر ما تقول، قال: الحق أصلحك اللَّه لا يخفى على أحد، قال: فترك مالك الشراب ووفى بعهده وأظهر النسك، ثم طما به الشعر، وطال عليه تَرْكُ اللذات والشراب فقال:

ونَـدمـانِ صـدق قـال لـي بـعـد هـدأة ... مـن الـلَّـيـل قُـمْ نـشـربْ فـقـلـت لـه مَـهْـلَا
فـقـال أبـخـلا يـا ابـن أسـمـاء هـاكَـهـا ... كُـمَـيْـتاً كـريـح الـمِـسْـك تَـزْدهِـفُ الـعـقـلَا
فـتـابـعـتـه فـيـمـا أراد ولـم أكـن ... بَـخـيـلاً عـلـى الـنَّـدمـان أو شَـكِـساً وغْـلَا
ولـكـنـنـي جَـلْـدُ الـقُـوَى أبـذل الـنَّـدى ... وأشـرب مـا أعْـطَـى ولا أقـبـل الـعَـذْلَا
ضَـحُـوكٌ إذا مـا دبَّـتِ الـكـأس فـي الـفـتـى ... وغَـيَّـرَهُ سُـكْـرٌ وإن أكـثـر الـجَـهْـلَا

[الطويل]

قال: فبلغ الحجاجَ أن مالكاً قد راجع الشراب فقال: لا يأتي مالك بخير سَجيسَ الأوجْس قاتل اللَّه أيمن بن خُريم حيث يقول:

(١) النهيم: الشديد العطش.

إذا المرء وَفَّى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حِجابٌ ولا سِتْرُ
فدعه وما يأتي ولا تَعْذلَنَّهُ ... وإن مَدَّ أسباب الحياةِ له العُمْرُ

[الطويل]

وأنشدنا علي بن سليمان الأخفش أبيات أيمن هذه الرائية وقال: أخذ معناها من قول ابن عباس: إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته، وقال: حبذا من لا يفلح أبداً.

وأول الأبيات هذه:

وصهباء جرْجَانيَّة لم يَطُفْ بها ... حَنيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يَشهد القسُّ المُهَينِم نارَها ... طروقاً ولا صلَّى على طَبْخها حَبْرُ
أتاني بها يَحْيى وقد نمتُ نومةً ... وقد غابت الجوزاء وانحدر النَّسْرُ
فقلت اصطبحها أو لغيريَ سَقِّها ... فما أنا بعد الشَّيْبِ ويَحْك والخَمْرُ
إذا المرء وفَّى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حجاب ولا سِتْرُ
فَدعْه ولا تَنْفَس عليه الذي أتى ... ولو مدَّ أسباب الحياة له العُمْرُ

[الطويل]

صوت

تلك عِرْسي تروم هجري سَفَاهاً ... وجَفَتْني فما تُوَافي عِنَاقي
زعمت أنها تواتي مع الما ... ل وأني محالِفي إملاقي
وتناسَتْ رَزيَّةً بدمَشْقٍ ... أشخصَتْ مُهجتي فُوَيق التَّرَاقي
يوم نَلْقَى نَعْشَ ابنِ عروة محْمُو ... لاً بأيدي الرجال والأعناقِ
مُسْتَحَثّاً به سباقاً إلى القبـ ... ـر وما إنْ لحثِّهمْ من سِباقِ
ثمّ ولَّيتُ مُوجعاً قد شجاني ... قُرْبُ عَهْدٍ بهمْ وبُعْدُ تَلاقي

[الخفيف]

عروضه من الخفيف، الشعر لإسماعيل بن يسار النساء، يرثي محمد بن عروة بن الزبير، والغناء لدحْمَان خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش.

أخبرنا الطوسيّ والحرميّ بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير قال: حدثنا

مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة قال:

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان، فدخل فأجلسه معه على السرير، فجاء قومٌ فوقعوا في عبد اللَّه بن الزبير، فخرج عروة فقال للآذن: إن عبد اللَّه بن الزبير ابنُ أمي وأبي، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم، فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد أخبرني الآذِن بما قلتَ، وإن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقُتِل دونه، وإن الشام قوم من أخلاقهم أن لا يقتلوا أحداً إلا شتموه، فإذا أذِنَّا لأحد قبلك فقد جاء من يشتمه فلا تدخل، وإذا أذنَّا لأحد وأنت جالس فانصرف.

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شُلَّتْ رجْله، فقيل له اقطعها، قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقاً، فارتفعت إلى الركبة فقيل له: إنها إن وقعتْ في الركبة قتلتْك، فقطعت ولم يَقبضْ وجهَه، وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد معه ألماً فقال: ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة قال:

سقط محمد بن عروة بن الزبير ـ وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية ـ من أعلى سطح في إصطبل دوابّ الوليد بن عبد الملك، فضربته دابة بقوائمها حتى قتلته، فأتى رجل عروة يُعَزيه، فقال عروة: إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها، فقال: لا بل أعزيك بمحمد، قال: وماله؟ فخبره بشأنه فقال:

وكـنـت إذا الأيـام أحـدثـن نـكـبـة أقـول شَـوًى[1] مـا لـم يُـصـبْـنَ حـمـيـمـي

[الطويل]

اللَّهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت ابتليت لقد عافيت. فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه ابنُ المُنْكَدر وقال: كيف كنت؟ فقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن ابن الماجشون.

أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قُطعَت رجله، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر

(١) الشوى: الأمر السهل الهين اليسير.

إليها، ففعل، فقال له عيسى: إنّا للَّه وإنّا إليه راجعون، يا أبا عبد اللَّه ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى اللَّه لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك: رأيك وعلمك، فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة.

أنه قدم على الوليد رجلٌ من عَبْسٍ ضريرٌ مَحطومُ الوجه، فسأله عن سبب ذلك فقال: بتّ ليلةً في بطن واد ولا أعلم في الأرض عَبْسيّاً يزيد ماله على مالي، فطرقَنَا سَيْلٌ فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد، إلَّا صبيّاً مولوداً وبعيراً ضعيفاً، فنَدَّ[1] البعيرُ والصبيُّ معي، فوضعته واتبعت البعير، فما جاوزت ابني قليلاً إلَّا ورأسُ الذئب في بطنه، فتركته واتبعت البعير، فرمحني[2] رمحة حَطَم بها وجهي وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر. فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن العباس اليزيدي وجماعة أخبروني قالوا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن جدي.

عن هشام بن عروة قال: خرجت مع أبي عروة بن الزبير حاجّاً معنا أخي محمد بن عروة، وكان من أحسن الناس وجهاً، فلما كنا في بعض الطريق إذا نحن بعمر بن أبي ربيعة يُكلِّم بعضنا، فقلنا: هذا أبو الخطاب لو سايرناه، فرآنا عروة فقال: فيم أنتم؟ قلنا: هذا عمر بن أبي ربيعة، فضرب عروة إليه راحلته، فلما رآه عمر عَدل إليه فسلم عليه، ثم قال: وأين زين المواكب؟ يعني محمد بن عروة، فقال: قد تقدم، فعدل عن عروة واتبع محمداً، فقال له عروة: نحن أكفى لك وأولى أن تسايرنا، فقال: إني رجل مُوكَّل بالجمال أتبعه حيث كان، وضرب راحلته ومضى.

صوت

يا بني الصَّيْداء ردوا فَرَسِي ... إنما يُفْعَل هذا بالذليلْ
عَوِّدوا مُهْري الذي عوَّدْتُه ... دلَجَ الليل وإيطاءَ القتيلْ

(١) نَدَّ: بَعُد وضلّ.
(٢) رمحني: أصابني برمحه.

واستباء الزِّقِّ من حاناته شائلَ الرِّجْلَيْن مَعْصُوباً يَميلْ
[الرمل]

عروضه من ثاني الرمل، بنو الصيداء بطن من بني أسد، والدَّلَج: السير في آخر الليل، يقال دلَجَ يَدلِج ـ مخففة ـ إذا سار من آخر الليل وأدلج يُدلج إذا سار الليل كله، واستباء الزق أراد استباء الخمر فيه أي أبتاعها من حاناتها، والحانات جمع حانة، وهي الموضع الذي تباع فيه الخمر، وشائل الرجلين رافعهما، وروى الأصمعي وأبو عمرو:

أحمل الزق على مَنْسِجِه فيظلُّ الضيفُ نَشواناً يَميلْ
[الرمل]

الشعر لزيد الخيل الطائي، والغناء لابن محرز خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد، وفيه لعاذل لحن من كتاب إبراهيم غير مُجَنَّس، وذكر حبش أن فيه لنُبَيْه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

أخبار زيد الخيل ونسبه

هو زيد بن مُهَلْهِل بن زيد بن مُنهب بن عبد رُضَا ـ ورُضَا صنم كان لطيء ـ ابن مجلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نابل بن نبهان ـ وهو أسود ـ بن عمرو بن الغوث بن جُلهُمة ـ وهو طيء، سُمي بذلك لأنه كان يطوي المناهل في غزواته ـ ابن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هودٌ النبي ﷺ، كذا نسبه النسابون، واللَّه أعلم.

وأم طيء مُدلة بنت ذي منحسان بن عريب بن الغوث بن زهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ومُدِلَّة هذه هي مذحج وهو لقبها، وهي أم مالك بن أدد، وكانت مدلة عند أُدد أيضاً فولدت له الأشعر واسمه نَبْت ومُرَّة ابني أدد، ومن الناس من يقول مذحج ظَرِب صغير[1] اجتمعوا عليه وليس بأم ولا أب، واللَّه أعلم.

وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مُظَفَّراً شجاعاً بَعيدَ الصوت في الجاهلية، وأدرك الإسلام، ووفد إلى النبي ﷺ، ولقيه فسرَّ به وقرظه وسماه زيد الخير، وهو شاعر مُقلٌّ مخضرم، معدود في الشعراء الفرسان، وإنما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند من مرّ عليه وأحسن في قراه إليه، وإنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله وأنه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان، وكانت له خيل كثيرة منها المسماه المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة، وهي الهَطَّال والكُمَيت والورْد وكامل ودؤُول ولاحق، وفي الهطَّال يقول:

أقَرِّب مَربط الهَطَّال إني ... أرى حرباً سَتَلْقَح عن حِيالِ

[الوافر]

وفي الورد يقول:

أبتْ عادةٌ للوَرْد أن يكره القنا ... وحاجة نفسي في نُمَير وعامرِ

[الطويل]

---

(١) الظَرِب: الرابية الصغيرة، جمعها الظِراب.

وفي دؤُول يقول:

فـأقـسـم لا يـفـارقـنـي دُؤُولٌ أجـول بـه إذا كـثـر الـضِّـرَابُ

[الوافر]

هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره وقد ذكرها.

وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر، وهم عروة وحُريث ومُهلهل ومن الناس من ينكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحُريث.

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظَلَع[١] في بعض غزواته ببني أسد فلم يتبع الخيل ووقف، فأخذته بنو الصيداء فصلح عندهم واستقَلَّ، وقيل: بل أغزى عليه بعض بني نبهان فَنَكَّس[٢] عنه وأُخذ، وقيل: إنه خلَّفه في بعض أحياء العرب ظالعاً ليستقلّ فأغارت عليهم بنو أسد فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم، فقال في ذلك زيد الخيل:

يـا بـنـي الـصَّـيـداء رُدُّوا فـرسـي إنـمـا يُـفـعـل هـذا بـالـذلـيـلْ

لا تُـذيـلُـوه فـإنـي لـم أكـنْ يـا بـنـي الـصَّـيْـدا لـمَـهـري بـالـمـذيـلْ

عَـوِّدوه كـالـذي عَـوَّدتـه دَلَـج الـلـيـل وإيـطـاء الـقـتـيـلْ

أحـمـل الـزّقّ عـلـى مَـنْـسـجـه فـيـظـلُّ الـضـيـفُ نـشـوانـاً يَـمـيـلْ

[الرمل]

قال أبو عمرو الشيباني: وكان زيد الخيل مُلِحّاً على بني أسد بغاراته ثم على بني الصيداء منهم، ففيهم يقول:

ضـجَّـتْ بـنـو الـصـيـداء مـنْ حَـرْبـنـا والـحـربُ مـن تَـحْـلُـلْ بـه يَـضْـجَـرِ

بـتْـنـا نُـزَجِّـي نـحـوهـم ضُـمَّـراً مـعـروفـةَ الأنـسـاب مـن مَـنْـسـرِ

حـتـى صَـبَـحْـنـا هُـمْ بـهـا غـدوةً نـقـتـلـهـم قـسـراً عـلـى الـضُّـمَّـرِ

يـدعـون بـالـويـل وقـد مَـسَّـهـم مِـنَّـا غـداةَ الـشِّـعْـب ذي الـهَـيْـشَـرِ

ضَـرْبٌ يُـزيـل الـهـام ذو مَـصْـدَقٍ يـعـلـو عـلـى الـبَـيْـضَـة والـمِـغْـفَـرِ

[السريع]

الهيشر: شجر كثير الشوك تأكله الإبل.

نسخت من كتاب لأبي المحلم قال: حدثني أضبط بن الملوح قال: قال أبي:

---

(١) ظَلَع: عرج في مشيته.

(٢) نكَّس: أبطأ عن اللحوق بغيره.

أنْشِد حبيبُ بن خالد بن نضلة الفقعسي قولَ زيد الخيل:

عـــوِّدوا مـــهـــري الـــذي عـــوَّدتـــه

فضحك ثم قال: قولوا له: إن عودناه ما عودته دفعناه إلى أول من يلقانا وهربنا.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال: حدثني عليّ بن حرب قال: أنبأنا هشام بن الكلبي أبو المنذر قال: حدثني عباد بن عبد اللَّه النبهاني، عن أبيه عن جده. وأضفت إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيباني، قالا:

وفد زيد الخيل بن مهلهل على رسول اللَّه ﷺ ومعه وزر بن سدوس النبهاني وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جُوَين الجرمي، ومالك بن جبير المعْنيّ، وقُعين بن خالد الطريفي، في عدة من طيء فأناخوا ركابهم بباب المسجد، ودخلوا ورسول اللَّه ﷺ يخطب الناس، فلما رآهم قال: إني خير لكم من العُزَّى ومما حازت مَنَاع من كل ضارّ غير يَفاع، ومن الجبل الأسود الذي تعبدونه من دون اللَّه عز وجل ـ قال أبو المنذر: يعني بمناع جبل طيء ـ فقام زيد وكان من أجمل الرجال وأتمهم، وكان يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان الأرض كأنه على حمار، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك محمد رسول اللَّه. قال: ومن أنت؟ قال: أنا زيد الخيل بن مهلهل. فقال رسول اللَّه، بل أنت زيد الخير، وقال: الحمد للَّه الذي جاء بك من سهلك وجبلك، ورقّق قلبك على الإسلام، يا زيد، ما وُصف لي رجل قطّ فرأيته إلا كان دون ما وُصف به إلا أنت فإنك فوق ما قيل فيك، فلما ولَّى قال النبي ﷺ: «**أيّ رَجُل إن سلم من آطام المدينة، فأخذته الحمّى**» فأنشأ يقول:

أنـخْـتُ بـآطـام الـمـديـنـة أرْبَـعـاً ... وخـمـساً يُـغَـنِّـي فـوقَـهـا الـلَّـيْـلَ طـائـرُ
شَـددت عـلـيـهـا رَحْـلـهـا وشَـلـيـلَـهـا[1] ... مـن الـدرْسِ[2] والـشَّـعْـرَاء والـبَـطْـنُ ضـامـرُ

[الطويل]

فمكث سبعاً ثم اشتدت الحمى به، فخرج فقال لأصحابه: جَنِّبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية، ولا واللَّه لا أقاتل مسلماً حتى ألقى اللَّه، فنزل بماء لحيٍّ من طيء يقال له فَرْدة، واشتدت به الحمّى فأنشأ يقول:

أمُـرتـحِـلٌ صـحـبـي الـمـشـارقَ غـدوةً ... وأتـركُ فـي بـيـت بـفَـرْدةَ مُـنْـجِـدِ

(١) الشليل: الصوف والشعر يجعل على ظهر البعير.
(٢) الدّرس: الثوب الخَلِق البالي.

سقى اللَّه ما بين القَفيل[١] فطَابَة[٢] فما دون أرمام[٣] فما فوق مُنْشِد[٤]
هنالك لو أني مَرضْت لعادني عوائدُ مَنْ لمْ يَشْفِ منهن يَجْهَدِ
فليت اللواتي عُدْنني لم يعدنني وليت اللواتي غِبْنَ عنِّيَ عُوِّدي

[الطويل]

قال: وكتب معه رسول اللَّه ﷺ لبني نبهان بفَيْد كتاباً مفرداً، وقال له: أنت زيد الخير، فمكث بالفَردة سبعة أيام ثم مات، فأقام عليه قَبيصة بن الأسود المناحة سبعاً، ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول اللَّه ﷺ، فلما نظرت امرأته وكانت على الشرْك إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت:

ألا إنما زيدٌ لكلّ عظيمة إذا أقبلتْ أوْبَ الجرادِ رِعالُها[٥]
لَقَاهُمْ فما طاشتْ يداه بضربهمْ ولا طَعْنِهم حتى تولّى سجالَها

[الطويل]

قال: فبلغني أن رسول اللَّه ﷺ لما بلغه ضربُ امرأة زيد الراحلةَ بالنار واحتراقُ الكتاب قال: بؤساً لبني نبهان.

وقال أبو عمرو الشيباني: لما وفد زيد الخيل على رسول اللَّه ﷺ فدخل إليه طرح له مُتَّكأ، فأعظم أن يتكئ بين يدي رسول اللَّه ﷺ، فرد المتكأ، فأعاده عليه ثلاثاً، وعلّمه دعوات كان يدعو بها فيَعرف الإجابة ويَسْتسقي فيُسْقى، وقال: يا رسول اللَّه أعطني ثلاثمائة فارس أغير بهم على قصور الروم، فقال له: «**أي رجل أنت يا زيد، ولكن أمّ الكلبة تقتلك**»، يعني الحمّى، فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلا قليلاً حتى حُمَّ ومات. قال أبو عمرو: وأسلموا جميعاً إلَّا وزر فإنه قال لما رأى النبي ﷺ: إني لأرى رجلاً ليملكَنَّ رقاب العرب، ووالله لا يملك رقبتي أبداً، فلحق بالشام فتنصر وحلق رأسه فمات على ذلك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال:

أقبل زيد الخيل الطائي حتى أتى النبي ﷺ، وكان زيد رجلاً جسيماً طويلاً

---

(١) القفيل: الشِّعب الضيّق وموضع. (٢) طابة: هي المدينة المنورة.
(٣) أرمام: موضع.
(٤) منشِد: موضع بين رضوى والساحل، وموضع في جبال طيء.
(٥) الرعال: مِفردها الرعلة وهي القطعة من الخيل.

جميلاً، فقال له النبي ﷺ: «**من أنت؟**» قال: أنا زيد الخيل، قال: «**بل أنت زيد الخير، أما إني لم أخبر عن رجل خبراً إلَّا وجدته دون ما أُخْبِرْت به عنه غيركَ، إن فيك لَخَصْلتين يحبهما اللَّه عز وجل ورسوله**»، قال: وما هما يا رسول اللَّه؟ قال: «**الأناةُ والحلم**»، فقال زيد: الحمد للَّه الذي جَبَلَني على ما يحبُّ اللَّهُ ورسوله.

قال: ودخل زيد على رسول اللَّه ﷺ وعنده عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال عمر لزيد: أخبرنا يا أبا مُكْنف عن طيء وملوكها ونَجَدتها[١] وأصحاب مَرَابعها[٢]، فقال زيد: في كُلٍّ يا عمر نَجْدةٌ وبأس وسيادة، ولكل رجل من حَيِّه مرْباع، أما بنو حَيَّة فملوكنا وملوك غيرنا، وهم القَدامِيسُ[٣] القادةُ، والحُماة الذادة[٤]، والأنجاد السادة، أعظمنا خميساً[٥]، وأكرمنا رئيساً، وأجملنا مجالس، وأنجدنا فوارس، فقال له عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: ما تركت لمن بقي من طيء شيئاً، فقال: بلى واللَّه، أما بنو ثُعل وبنو نبهان وجرم فهم فوارس العَدْوة، وطلاعو نَجْوَة[٦]، ولا تُحَلُّ لهم حَبْوة[٧]، ولا تُرَاع لهم نَدْوة، ولا نُدْرك لهم نَبْوة، عمود البلاد، وحيَّة كلّ واد، وأهل الأسَل[٨] الحِداد، والخيل الجياد، والطارف والتِّلاد، وأما بنو جَديلة فأسهلنا قراراً، وأعظمنا أخطاراً، وأطلبنا للأوتار، وأحمانا للذِّمار، وأطعمنا للجار، فقال له عمر: سمّ لنا هؤلاء الملوك، قال: نعم، منهم عُفَير المجير على الملوك، وعمرو المفاخر، ويزيد شارب الدماء، والغَمْرُ ذو الجود ومجير الجراد وسراجُ كلّ ظلام ولامَة وملحم بن حنظلة، هؤلاء كلهم من بني حيَّة، وأما حاتم بن عبد اللَّه الثُّعَلَى الجواد بلا مُجَارٍ، والسمح بلا مُبَارٍ، والليث الضرْغامة، قَرَّاعُ كل هامة، جوده في الناس علامة، لا يَقَرُّ على ظُلامة. فاعترض رجل من بني ثُعَل لما مدح زيدٌ حاتماً فقال: ومنا زيد بن مهلهل النبهاني، سيد قومه ورئيس الشيب والشبان، وسمُ الفرسان، وآفة الأقران، والمَهيب بكُلّ مكان، أسرعَ إلى الإيمان وآمن بالفرقان، رئيس قومه في الجاهلية، وقائدهم إلى أعدائهم، على شحط المزار، وطموس الآثار، وفي الإسلام رائدنا إلى رسول اللَّه ﷺ، ومجيبه من غير تلعثم ولا تلبث، ومنا زيد بن سدوس النبهاني عصمة الجيران، والغيث بكل أوان، ومُضرم النيران، ومطعم النُّدْمان، وفخرُ كلّ يَمان، ومنا

(١) النجدة: الشجعان.
(٢) المرابع: مفردها المرباع وهو الربع الذي يأخذه الرئيس في الغنيمة.
(٣) القدامِيس: مفردها القدموس وهو الملك العظيم والسيّد.
(٤) الذادة: المدافعين عن أرضهم وناسهم. (٥) الخميس: الجيش.
(٦) النجوة: ما ارتفع من الأرض. (٧) الحبوة: الرزمة.
(٨) الأسل: الرماح.

الأسد الرهيص، سيد بني جديلة ومدوّخ كل قبيلة، قاتل عنترة فارس بني عبس، ومُكَشّف كل لَبْس، فقال عمر لزيد الخيل: للَّه درك يا أبا مُكْنف، فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرتُ بكما العرب.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني عمي عن أبيه، عن ابن الكلبي عن أبيه قال: أخبرني شيخ من بني نبهان قال:

أصابت بني نبهان سنة ذهبت بالأموال، فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة، فقال لهم: كونوا قريباً من الملك يصبكن من خيره حتى أرجع إليكن، وآلى أليَّة لا يرجع حتى يُكسبهن خيراً أو يموت، فتزود زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمهر مُقيَّدِ يدٍ ورجْل حول خباء، فقال: هذا أول الغنيمة، فذهب يَحُلُّه ويركبه، فنودي: خَلِّ عنه واغنم نفسك، فتركه ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَطَن إبل مع تَطْفِيل الشمس، فإذا خباء عظيم، وقبة من أدَم، فقال في نفسه: ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهل، وما لهذه القبة بُدٌّ من ربّ، وما لهذا العطن بدٌّ من إبل، فنظر في الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفتْ تَرْقُوتَاه، كأنه نَسْرٌ، قال: فجلست خلفه، فلما وجبت الشمس، إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم، على فرس مُشرف، ومعه أسودان يمشيان جنبيه، وإذا مائة من الإبل مع فحلها، فبرك الفحل وبركتْ حوله، ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: احلُبْ فلانة ثم اسق الشيخ، فحلب في عُسٍّ حتى ملأه ووضعه بين يدي الشيخ وتنحى، فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين ثم نَزَع، فثُرتُ إليه فشربته، فرجع إليه العبد فقال: يا مولاي قد أتى على آخره، ففرح بذلك وقال: احلب فلانة، فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ فكرع منه كرعة واحدة ثم نزع، فثرت إليه فشربت نصفه وكرهت أن آتي على آخره، فأتَّهَم، فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه: قد شرب وروى، فقال: دعْه، ثم أمر بشاة فذبحت وشوي للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه، فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعت الغطيط ثُرْت إلى الفحل فحللت عقاله وركبته، فاندفع بي وتبعته الإبل، فمشيت ليلتي حتى الصباح، فلما أصبحت نظرت فلم أر أحداً، فَشَلَلْتها[1] إذاً شَلّاً عنيفاً حتى تعالى النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه طائر، فما زال يدنو حتى تبينته، فإذا هو فارس على فرس، وإذا هو صاحبي بالأمس، فعقلت الفحل ونثلت كنانتي ووقفت بينه وبين الإبل، فقال لي: احْلُل عقال الفحل، فقلت: كلا واللَّه، لقد خلَّفت نُسَيَّات بالحيرة، وآليت أليَّةً لا أرجع حتى أُفيدهن خيراً أو أموت، قال: فإنك لميتٌ، حُلَّ عقاله لا أمّ لك، فقلت:

(١) شللتها: طردتها ودفعتها.

ما هو إلا ما قلتُ لك، فقال: إنك لمغرور، انصب لي خِطَامه واجعل فيه خمس عُجَر[١]، ففعلت، فقال: أين تريد أن أضع سهمي؟ فقلت: في هذا الموضع، فكأنما وضعه بيده، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم، فرددت نبلي وحططت قوسي ووقفت مستسلماً، فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال: ارتدف خلفي، وعرف أني الرجل الذي شربت اللبن عنده، فقال: ما ظنك بي؟ قلت: أسوأ ظن، قال: وكيف؟ قلت لما لقيتَ من تعب ليلتك، وقد أظفرك اللَّه بي، فقال: أتُرانا كنا نَهيجك وقد بتَّ تنادم مُهلهلاً؟ قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم أنا زيد الخيل، فقلت: كن خير آخذ، فقال: ليس عليك بأس. فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ثم قال: أما لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك، ولكنها لبنت مهلهل، فأقم عليَّ فإني على شَرَف غارة، فأقمت أياماً ثم أغار على بني نُمير بالمِلْح، فأصاب مائة بعير، فقال: هذه أحب إليك أم تلك؟ قلت: هذه، قال: دونكها، وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وَرَدُوا بي الحيرَة، فلقيني نَبَطيٌّ فقال لي: يا أعرابي، أيسرُّك أن لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين؟ فقلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا قُرْب مَخْرج نبيٍّ يخرج فيملك هذه الأرض ويحول بين أربابها وبينها حتى إن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير، قال: فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع الشَّيِّطَيْن فبينما نحن في الشَّيِّطَيْن على ماء لنا، وقد كان الحَوْفزان بنُ شَرِيك أغار على بني تميم، فَجاءنا رسول اللَّه ﷺ فأرسلنا، وما مضت الأيام حتى اشتريت بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة.

وفي يوم الملح يقول زيد الخيل:

ويوم المِلْح مِلْح بني نُمَيْر أصابتكُمْ بأظفارٍ ونابِ

[الوافر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني عمي، عن ابن الكلبي عن أبيه والشرقي.

أن زيد الخيل قال للنبي ﷺ: إن في الحيّ رجلين لهما كلاب مُضَرَّيَات تصيد الوحش، أفنأكل مما أمسكته ولم تُدرَك ذكاتُه؟ فقال، إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم اللَّه عليه وكُلْ مما أمسك، أو كما قال النبي ﷺ.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية.

---

(١) عُجر: مفردها عُجرة وهي العقدة.

عن ابن أبي ليلى قال: أنشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائيّ شعر أبيها في يوم مُحَجِّر:

بـنـي عـامـر هـل تـعـرفـون إذا غـدا أبـو مُـكْـنِـفٍ قـد شَـدَّ عَـقْـدَ الـدوائـرِ
بِـجَـيْـش تـضـلُّ الـبُـلْـقُ فـي حَـجَـراتـه تـرى الأُكْـمَ فـيـه سُـجَّـداً لـلـحـوافـرِ
وجـمـعٍ كـمـثـلِ الـلـيـل مـرْتَـجِـزِ الـوَغَـى كـثـيـرٍ حـواشـيـه سَـريـعِ الـبـوادِرِ
[الطويل]

قالت ليلى: فقلت لأبي: يا أبَهْ أشهدت ذلك اليوم مع أبيك؟ قال: إي واللَّه يا بنيَّة، لقد شهدته. قلت: كم كانت خيل أبيك هذه التي وصفت؟ قال: ثلاثة أفراس.

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بخطه عن أبيه.

أن زيد الخيل بن مهلهل جمع طيئاً وأخلاطاً لهم وجموعاً من شُذَّاذ العرب، فغزا بهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس، وسار إليهم فصبَّحهم مع طلوع الشمس فَنَذِرُوا به، وفزعوا إلى الخيل وركبوها، وكان أوّلُ من نَذِرَ بهم فلقي جَمْعَهم غَنِيّ بنَ أعصر وإخوتهم الحارث وهم الطُّفَاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر فاستحرَّ القتل بغَنِيٍّ وفيهم يومئذٍ فرسان وشعراء، فملأت أيديَهم طيءٌ من غنائمهم وأسر زيدُ الخيل يومئذٍ الحطيئةَ الشاعرَ فجزَّ ناصيته وأطلقه، ثم إن غَنيّاً تجمَّعت بعد ذلك مع لِفٍّ من بني عامر فغزوا طيئاً في أرضهم، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم.

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها:

وخـيـبـة مـن يـخـيـب عـلـى غَـنـيٍّ وبـاهـلـةَ بْـنَ أعْـصُـرَ والـكـلابِ
[الوافر]

فلما أدركوا ثأرهم أجابه طُفيل الغَنَويُّ فقال:

سَـمَـوْنـا بـالـجـيـادِ إلـى أعـادٍ مُـغَـاوَرَةً بـجِـدٍّ واعـتـصـابِ
نـؤمـهُـمُ عـلـى وَعْـث[1] وشـحـط[2] بِـقُـودٍ يَـطَّـلِـعْـنَ مـن الـنِّـقَـابِ
[الوافر]

(١) الوعث: الطريق العسر.
(٢) الشحط: البعد والنأي.

هي طويلة يقول فيها:

أخذنا بالمخطَّم[١] من أتاهمْ ... من السُّود المُزَنَّمة[٢] الرِّعابِ[٣]
وقَتَّلنا سراتَهُمُ جِهاراً ... وجئنا بالسبايا والنِّهابِ
سبايا طيء أُبْرِزْنَ قَسْراً ... وأُبْدِلْن القصور من الشِّعابِ
سبايا طيء من كل حيٍّ ... نَمَا في الفرع منها والنِّصابِ
وما كانتْ بناتهمُ سَبِيّاً ... ولا رَغَباً يُعَدُّ من الرِّغابِ
ولا كانت دماؤهُمُ وفاءً ... لنا فيما يُعَدُّ من العقابِ

[الوافر]

عروة بن زيد الخيل

أخبرني الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان لزيد الخيل ابن يقال له عُروة، وكان فارساً شاعراً، وشهد القادسية فَحسن فيها بلاؤه، وقال في ذلك يذكر حُسْنَ بلائه:

برزتُ لأهل القادسيَّة مُعْلِماً ... وما كلُّ من يَغْشَى الكريهة يُعْلِمُ
ويوماً بأكناف النُّخَيْلة قبلها ... شهدتُ فلم أبرح أُدَمِّي وأُكْلِمُ[٤]
وأقْعَصْتُ منهم فارساً بعد فارس ... وما كلُّ من يلقى الفوارس يَسْلَمُ
ونجَّانيَ اللَّهُ الأجلُّ وجيرتي ... وسيفٌ لأطراف المَرَازب[٥] مِخْذمُ[٦]
وأيقنت يوم الدّيْلَميِّينَ أنني ... متى ينصرفْ وجهي عن القوم يُهْزَمُوا
فما رمْتُ حتى مزَّقوا برماحهمْ ... ثيابي وحتى بَلَّ أخْمَصيَ الدَّمُ
مُحافظَةً إني امرؤٌ ذو حَفيظةٍ ... إذا لم أجد مُسْتَأخَراً أتقدَّمُ

[الطويل]

قال: وشهد مع عليّ بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ صِفِّين، وعاش إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة من عليٍّ عليه السلام، فامتنع عليه وقال:

يحاولني معاويةُ بنُ حَرْبٍ ... وليس إلى الذي يهوى سَبيلُ

---

(١) المخطَّم: موضع الخطام.
(٢) المزنَّمة: صغار الإبل.
(٣) الرِّعاب: السِّمان.
(٤) أُكْلِمُ: أجرَحُ.
(٥) المرازب: مفردها المرزبان وهو الرئيس من الفُرس.
(٦) المِخذم: السيف القاطع البتَّار.

عـلـى جَـحْـدِي أبـا حَـسَـن عـلـيًّـا وحَـظِّـي مـن أبـي حَـسَـنٍ جـلـيـلُ
[الوافر]

قال: وله أشعار كثيرة.

رجـــع إلـــى زيـــد الـــخـــيـــل

قال أبو عمرو: كان لتغلب رئيس يقال له الجرَّار، وأدرك النبيَّ ﷺ، وأبى الإسلام وامتنع منه، فيقال: إن رسول اللَّه ﷺ بعث إليه زيد الخيل وأمره بقتاله، فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبَى الإسلامَ وقال في ذلك:

صَـبَّـحْـتَ حَـيَّ بـنـي الـجَـرَّار دَاهـيـةً مـا إنْ لـتَـغْـلـبَ بـعـد الـيـوم جَـرَّارُ
نَـحْـوِي الـنِّـهَـابَ وَنَـحْـوي كُـلَّ جـاريـةٍ كـأن ثـقـبـتـهـا فـي الـخـدِّ ديـنـارُ
[البسيط]

قال مُؤرج: خرج رجل من طيء يقال له دُؤابُ بن عبد اللَّه إلى صهر له من هوازن، فأصيب الرجل وكان شريفاً ذا رياسة في حَيِّه، فبلغ ذلك زيداً فركب في نَبْهان ومن تبعه من ولد الغَوْث، وأغار على بني عامر، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له: ألك علم بالطائيّ المقتول؟ فإن قال نعم قتله، وإن قال لا خَلَّى سبيله ومَنَّ عليه إذا كان الرجل من بني الوحيد والضِّبَاب وبني نُفيْل. ثم رجع زيد إلى قومه فقالوا: ما صنعت؟ فقال: ما أصبْتُ بثار دُؤاب، ولا يَبُوء به إلا عامرُ بنُ مالك مُلاعبُ الأسِنَّةِ، فأما ابنُ الطُّفَيل فلا يَبُوء به وأنشأ زيد يقول:

لا أرى أن بـالـقـتـيـل قـتـيـلاً عـامـريّـاً يَـفـي بـقـتـل دُؤَابِ
لـيـس مـن لاعـب الأسـنَّـة فـي الـنَّـقْـ ـع وسُـمِّـي مُـلاعـبـاً بـأرابِ
عـامـر لـيـس عـامـرُ بـنُ طـفـيـل لـكـن الـعَـمْـرُ رأسُ حَـيّ كـلابِ
ذاك إنْ ألْـقـه أنـال بـه الـوِتْـ ـرَ وقـرَّت بـه عـيـون الـصِّـحَـابِ
أو يَـفُـتْـنـي فـقـد سُـبـقْـتُ بِـوِتْـرِ مَـذْحِـجِـيٍّ وَجـدُّ قَـوْمـي كَـابـي
قـد تَـقَـنَّـصْـت لِـلـضِّـبـاب رجـالاً وتـكـرَّمـت عـن دِمـاء الـضِّـبـابِ
وأصـبـنـا مـن الـوَحـيـد رجـالاً ونُـفَـيْـل فـمـا أسـاغـوا شـرابـي
[الخفيف]

فبلغ عامرَ بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره فأغضبه وقال مجيباً له:

قـل لـزيـد قـد كـنـت تُـؤثَـر بـالـحـلـ ـم إذا سُـفِّـهَـتْ حُـلُـوم الـرجـالِ
لـيـس هـذا الـقـتـيـل مـن سَـلَـف الـحـيّ كَـلاعٍ ويَـحْـصُـب وكُـلالِ

أو بـنـي آكـل الـمُـرار ولا صِـيـ ـدِ بـنـي جَـفْـنَـةَ الـمـلـوكِ الـطِّـوالِ
وابـن مـاء الـسـمـاء قـد عـلـم الـنـا سُ ولا خـيـر فـي مـقـالـة غَـالـي
إنَّ فـي قـتـل عـامـر بـن طـفـيـل لَـبَـواراً لـطـيِّـئ الأجْـبَـالِ
إنـنـي والـذي يـحـجُّ لـه الـنّـاس قـلـيـل فـي عـامـرَ الأمْـثَـالِ
يـوم لا مـالَ لـلـمـحـارب فـي الـحـر ب سـوى نَـصْـلِ أسْـمَـرٍ عَـسَّـالِ
ولـجـام فـي رأس أجـردَ كـالـجِـذ ع طُـوَالٍ وأبـيـضٍ قَـصَّـالِ
ودِلَاصٍ كـالـنِّـهْـيِ ذات فُـضُـولٍ ذاك فـي حَـلْـبـة الـحـوادث مـالـي
ولـعـمّـي فَـضْـلُ الـريـاسـةِ والـسِّـنّ وجـدِّي عـلـى هَـوازِنَ عَـالـي
غـيـر أنـي أوْلـى هـوازن فـي الـحـر ب بـضـرب الـمُـتَـوَّج الـمُـخـتـالِ
وبـطـعـن الـكَـمِـيِّ فـي حَـمَـس الـنَّـقـ ـعِ عـلـى مـتـن هَـيْـكَـلٍ جَـوَّالِ

[الخفيف]

قال أبو عمرو الشيباني: لما بلغ زيدَ الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخَزرجي وهجائه إياه غضب زيد لذلك، فأغار على بني مُرّة بن غطفان، فأسر الحارث بن ظالم وامرأتَه في غارته، ثم مَنَّ عليهما وقال يذكر ذلك:

ألا هـل أتـى غَـوْثـاً ورُومـانَ أنـنـا صَـبَـحْـنَـا بـنـي ذُبـيـان إحـدى الـعـظـائـمِ
وسـقـنـا نـسـاء الـحـيِّ مُـرَّةَ بـالـقـنـا وبـالـخـيـل تَـرْدِي قـد حَـوَيْـنـا ابـن ظـالـمِ
جَـنِـيـبـاً لأعـضـاد الـنَّـواجـي يَـقُـدنَـه عـلـى تَـعَـب بـيـن الـنـواجـي الـرَّواسـمِ
يـقـول اقْـبَـلُـوا مـنـي الـفـداء وأنْـعِـمُـوا عـلـيّ وجُـزُّونـي مـكـانَ الـقَـوَادِمِ
وقـد مَـسَّ حَـدُّ الـرُّمـح قُـوَّارةَ اسـتـه فـصـارت كـشِـدق الأعـلـم الـمـتـضـاجـمِ
وسـائـلْ بـنـا جـارَ ابـنِ عَـوْفٍ فـقـد رأى حـلـيـلـتَـهُ جـالـتْ عـلـيـهـا مَـقَـاسـمـي
تُـلاعـب وُحْـدَانَ الـعـضـاريـط بـعـدمـا جَـلاهـا بـسـهـمـيـه لـقـيـطُ بـنُ حـازمِ
أغـرَّك أن قـيـل ابـنُ عـوف ولا أرى عَـزيـمَـك إلَّا واهـيـاً فـي الـعـزائـمِ
غـداة سَـبَـيـنَـا مـن خَـفـاجـة سَـبْـيـهَـا ومـرَّتْ لـهـمْ مـنَّـا نُـجُـوسُ الأشـائـمِ
فـمَـنْ مُـبْـلـغٌ عـنـي الـخَـزَارجَ غـارَةً عَـلَـى حَـيِّ عَـوْفٍ مُـوجِـفـاً غـيـر نـائـمِ

[الطويل]

وقال أبو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبد اللَّه بن غطفان، ورئيسهم يومئذٍ أبو ضَبٍّ، ومع زيد الخيل من بني نَبْهان بطنانِ يقال لهما بنو نَصْر وبنو مالك،

فأصاب وغَنم وساقوا الغنيمة وانتهى إلى العَلَم[١] فاقتسموا النِّهاب[٢]، فقال لهم زيد: أعطوني حقَّ الرياسة، فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك، فغضب زيد وانحدر إلى بني نصر، فبينما بنو مالك يقتسمون إذ غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء، فاستنقذوا ما بأيديهم، فلما رأى زيد ذلك شدَّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبٍّ وأخذ ما في أيديهم فدفعه إلى بني مالك، وكانوا نادوه يومئذٍ يا زيداه أغثنا، فكرَّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم ورده وقال يذكر ذلك:

كـروتُ عـلـى أبـطـال سَـعْـدٍ ومـالـك ... ومـثـلـي دعـا الـداعـي إذا هـو نَـدَّدا
فَـلأْيـاً كـررتُ الـوَرْدَ حـتـى رأيـتـهـم ... يُـكَـبُّـون فـي الـصـحـراء مَـثْـنَـى ومَـوْحَـدَا
وحـتـى نَـبـذْتُـمْ بـالـصـعـيـد رمـاحَـكُـمْ ... وقـد ظـهـرتْ دعْـوى زُنَـيْـم وأسْـعَـدَا[٣]
فـمـا زلـتُ أرمـيـهـم بـغُـرَّة وَجْـهِـهِ ... وبـالـسـيـف حـتـى كـلَّ تـحـتـي وبَـلَّـدَا
إذا شَـكَّ أطـرافُ الـعـوالـي لَـبَـانَـه ... أقَـدِّمُـه حـتـى يـرى الـمـوتَ أسـودَا
عُـلالَـتُـهَـا بـالأمْـس مـا قـد عـلـمـتُـمُ ... وعَـلّ الـجـواري بـيـنـنـا أن تُـسَـهَّـدَا
لـقـد عـلـمـت نَـبْـهَـانُ أنـي حَـمَـيْـتُـهـا ... وأنِّـي مـنـعـت الـسَّـبْـيَ أن يـتـبَـدَّدَا
عـشـيَّـةَ غـادرْتُ ابـن ضَـبٍّ كـأنـمـا ... هوى عن عُقَاب من شماريخ[٤] صِنْدِدَا[٥]
بـذي شُـطَـبٍ أُغْـشِـي الـكـتـيـبةَ سَـلْـهـباً[٦] ... أقَـبَّ[٧] كَـسِـرْحـانِ الـظـلام مُـعَـوَّدَا

[الطويل]

قال أبو عمرو: وخرج زيد الخيل يطلب نَعَماً له من بني بدر وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هند، واستاق نَعَماً لهم، فقالت بنو بدر لزيد: ما كُنَّا قطُّ إلى نَعَمك أحوج منا اليوم، فتبعه زيد الخيل وقد مضى، وعامر يقول: يا هند، ما ظَنُّك بالقوم؟ فقالت: ظِنِّي بهم أنهم سيطلبونك وليسوا نياماً عنك، قال: فَحَطَأ[٨] عَجُزَها ثم قال: لا تقولُ استُها شيئاً، فذهبت مثلاً، فأدركه زيد الخيل،

(١) العَلَم: اسم لجبل فيه نخل وعيون ووادٍ واسع.
(٢) النِّهاب: مفردها النَّهب وهي الغنيمة.
(٣) زُنيم وأسعد: اسمان لقبيلتين.
(٤) الشماريخ: مفردها الشِّمراخ، وهو العِثكال عليه بُسر أو عِنَب.
(٥) الصنِدِد: السيد الشجاع.
(٦) السلهب: هو ما عَظُم وطال عظامه من الخيل.
(٧) الأقبّ: الخيل الدقيق الخصر، الضامر البطن.
(٨) حطأ: ضرب.

فنظر إليه عامر فأنكره لعظمه وجماله، وغشيه زيدٌ فبرز له عامر، فقال: يا عامر خَلِّ سبيل الظعينة والنَّعَم، فقال عامر: من أنت؟ قال: فزاري أنا، قال عامر: واللَّه ما أنت من القُلْح[١] أفواهاً، فقال زيد: خلِّ عنها، قال: لا أو تخبرني من أنت، قال: أسدي، قال: لا واللَّه ما أنت من المُتَكَوِّرين على ظهور الخيل، قال: خلّ سبيلها، قال: لا واللَّه أو تخبرني فأصْدقني، قال: أنا زيد الخيل، قال: صدقت فما تريد من قتالي؟ فواللَّه لئن قتلتني لتطلبنَّك بنو عامر ولتذهبنَّ فزارةُ بالذكر، فقال له زيد: خلّ عنها، قال: تُخَلِّي عني وأدعك والظعينةَ والنعم، قال: فاستَأسِرْ، قال: أفْعَل، فجزَّ نَاصيته، وأخذ رمحه، وأخذ هنداً والنعم فردها إلى بني بدر وقال في ذلك:

إنَّا لَنُكْثِرُ في قيس وقائعَنا ... وفي تميمٍ وهذا الحيِّ من أسَدِ
وعامرُ بنُ طفيلٍ قد نَحَوْتُ له ... صَدرَ القناةِ بماضي الحَدِّ مُطَّرِدِ
لما أحَسَّ بأن الوَرْدَ مُدْرِكَه ... وصارِماً وربيطَ الجَأش ذا لُبَد[٢]
نادى إليَّ بِسِلْمٍ بعد ما أخذتْ ... منه المنيَّةُ بالحَيْزُوم[٣] واللُّغُدَ[٤]
ولو تَصَبَّر لي حتى أخالطه ... أسْعرته طعنة تَكْتَارُ[٥] بالزَّبدَ[٦]

[الكامل]

قال فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك وقالوا لا ترأسنا أبداً، وتجهزوا ليغيروا على طيء ورَأسوا عليهم علقمة بن عُلانة، فخرجوا ومعهم الحُطيئة وكعب بن زهير، فبعث عامرٌ إلى زيد الخيل دسيساً يُنذره، فجمع زيدٌ قومه، فلقيهم بالمضيق، فقاتلهم فأسر الحُطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم فحبسهم، فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد فَادِنا، قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبوا ذلك عليه، فوهبهم لعامر إلا الحطيئةَ وكَعْباً، فأعطاه كَعْبٌ فرسه الكُمَيت، وشكا الحطيئةُ الحاجةَ فمنَّ عليه، فقال زيد:

أقول لعَبْدي جَرْوَلٍ إذ أسَرتُه ... أثِبْنِي ولا يَغْرُرْكَ أنك شاعرُ
أنا الفارسُ الحامي الحقيقة والذي ... له المَكْرُمات واللُّهَى[٧] والمَآثرُ
وقومي رؤوسُ الناس والرأسُ قائد ... إذا الحرب شَبَّتْهَا الأكفُّ المسَاعرُ

(١) القُلَح: مفردها الأقلح وهو من كان في أسنانه صفرة.
(٢) اللُّبَد: ما تحت السَّرج.
(٣) الحيزوم: وسط الصدر.
(٤) اللُّغُد: لحمة في الرقبة.
(٥) تكتار: تعظم وتنمو.
(٦) الزَّبد: ما لا خير فيه.
(٧) اللُّهى: العطايا والهبات.

فـلـسـتُ إذا مـا الـمـوت حُـوذِرَ وِرْدُه ... وأتْـرِع حَـوْضـاه وحَـمَّـجَ[١] نـاظـرُ
بـوَقَّـافـةٍ يـخـشـى الـحـتـوف تَـهَـيُّـبـاً ... يـبـاعـدنـي عـنـهـا مـن الـقُـبِّ[٢] ضـامـرُ
ولـكـنـنـي أغـشـى الـحـتـوف بِـصَـعْـدتـي[٣] ... مُـجـاهـرةً إنَّ الـكـريـم يُـجـاهـرُ
وأرْوِي سـنـانـي مـن دمـاءٍ عـزيـزةٍ ... عـلـى أهـلـهـا إذ لا تُـرجَّـى الأَيَـاصِـرُ[٤]
[الطويل]

فقال الحطيئة لزيد:

وإن لـم يـكـن مـالـي بـآتٍ فـإنـنـي ... سـيـأتـي ثـنـائـي زَيْـداً ابـنَ مُـهَـلْـهِـلِ
فـأعـطـيـتَ مـنـا الـوُدَّ يـوم لـقـيـتـنـا ... ومـن آل بـدرٍ شِـدَّةً لـم تُـهَـلَّـلِ[٥]
فـمـا نـلْـتـنـا غَـدراً ولـكـن صَـبَـحْـتَـنـا ... غـداة الـتـقـيـنـا فـي الـمـضـيـق بِـأَخْـيَـلِ[٦]
تَـفَـادى حـمـاةُ الـخـيـل مـن وقـع رمـحـه ... تَـفَـادِي ضِـعَـافِ الـطـيـر مـن وقـع أجْـدَلِ
[الطويل]

وقال فيه الحطيئة أيضاً:

وَقَـعْـتَ بـعَـبْـسٍ ثـم أنـعـمـتَ فـيـهـمُ ... ومـن آل بَـدْرٍ قـد أصـبْـتَ الأخـايـرَا
فإن يـشـكـروا فـالـشـكـر أدنـى إلـى الـتُّـقـى ... وإن يـكـفـروا لا أُلْـفَ يـا زيـدُ كـافـرَا
تـركـتَ الـمـيـاهَ مـن تَـمـيـمٍ بـلاقِـعـاً ... بـمـا قـد تـرى مـنـهـم حُـلُـولاً كَـراكـرَا[٧]
وحـيَّ سُـلَـيْـمٍ قـد أبَـرْت شَـريـدهـمْ ... وبـالأمـس مـا قـتّـلـت يـا زيـد عـامـرَا
[الطويل]

فرضي عنه زيد ومَنّ عليه لمَّا قال هذا فيه، وعدَّ ذلك ثواباً من الحُطيئة وقبله، فلما رجع الحطيئة إلى قومه قام فيهم حامداً لزيد شاكراً لنعمته، حتى أسرتْ طيءٌ بني بَدر فطلبت فزارةُ وأفناءُ قيس إلى شعراء العرب أن يهجوا بني لأم وزيداً، فتحامتهم شعراء العرب وامتنعت من هجائهم، فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي وأطلقني بغير فداء، فلست بكافرٍ نعمتَه أبداً، قالوا: فإنّا نعطيك

(١) حَمَّج: حدَّد نظره.
(٢) القُبّ: مفردها الأقب وهو الضامر البطن من الخيل.
(٣) الصعدة: القناة المستوية.
(٤) الأياصر: القرابات كالمصاهرة والرَّحِم.
(٥) تُهلَّل: تضعف.
(٦) أخيل: الشقراق يتشائم به.
(٧) الكَراكِر: مفردها كركرة وهي الجماعة.

مائة ناقة، قال: واللَّه لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك، وقال الحطيئة:

كيف الهجاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ ... من آل لأمٍ بظَهْر الغيب تأتينا
ألمنعمين أقام العِزُّ وسطَهُمُ ... بيضِ الوجوه وفي الهيجا مَطَاعينا

[البسيط]

وقد أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال:

خرج بُجَير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش، فلقيهم زيد الخيل، فأسرهم، فافتدى بُجَير نفسه بفرس كان لكعب أخيه، وكَعْبٌ يومئذٍ مُجاورٌ في بني مُلْقِط من طيء. وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه.

وقال أبو عمرو: غزت بنو نبهان فزارةَ وهم متساندون ومعهم زيد الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت فزارة، وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان، ثم إن فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس، وفيهم رجل من سُلَيم شديد البأس سيد يقال له عباس بن أنس الرّعلي، كانت بنو سُلَيْم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية، فحسده ابنُ عم له فلطم عينه، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عِدَّة من أهل بيته وقومه، فنزل في بني فزارة، وكان معهم يومئذٍ، ولم يكن لزيد المِرْباع حينئذٍ، وأدركت فزارةُ بني نبهان فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى: يا بني نبهان أأَحْمِلُ ولي المِرْبَاع؟ قالوا: نعم، فشد على بني سُلَيم فهزمهم، وأخذ أمَّ الأسود امرأةَ عباس بن أنس، ثم شدَّ على فزارة والأخلاط فهزمهم وقال في ذلك:

ألا وَدَّعَتْ جيرانها أمُّ أسودا ... وضنَّتْ على ذي حاجة أنْ يُزَوَّدَا
وأبْغَضُ أخلاق النساء أشَدُّهُ ... إليَّ فلا تُولِنَّ أهلي تَشَدُّدَا
وسائِلْ بني نبهان عنَّا وعندهمْ ... بَلاءٌ كحدّ السيف إذْ قطع اليَدَا
دعَوْا مالكاً ثم اتَّصَلْنا بمالكٍ ... وكان ذَكَا مصْبَاحُه فَتَوقَّدَا
وبشْرَ بن عمرٍو قد تركنا مُجندلاً[1] ... يَنُوءُ بِخَطَّار[2] هناك ومَعْبَدَا
تمطَّت به قَوْداء ذاتُ عُلالة ... إذا الصِّلْدِم[3] الخنْذيذ[4] أعْيا وبَلَّدَا
لقيناهُمُ تُسْتَنْقَذُ الخَيْلُ كالقنا ... ويَسْتَلبون السَّمْهَرِيَّ[5] المُقصَّدَا

(١) المجندل: المضرَّج بدمائه.
(٢) الخطَّار: الرمح المهتزّ.
(٣) الصَّلدم: الصلب والشديد الحافر.
(٤) الخنذيذ: الطويل الصلب.
(٥) السمهريّ: الرُّمح الصلب والمنسوب إلى سمهر زوج ردينة وكانا مثقفين للرّماح.

فـيـا رُبَّ قِـدْرٍ قـد كـفـأنـا وجَـفْـنَـةٍ بـذي الـرَّمْـث إذْ يَـدعُـون مَـثْـنى ومَـوْحَـدَا
عـلـى أنـنـي أثْـوي سـنـانـي وصَـعْـدتـي ـ بـسـاقَـيْـن ـ زيـداً أنْ يَـبُـوءَ ومَـعْـبـدَا
[الطويل]

وقال أبو عمرو: وقعت حرب بين أخلاط طيء، فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا، فاعتزل وجاور بني تميم، ونزل على قيس بن عاصم، فغزت بنو تميم بكرَ بن وائل وعليهم قيس وزيد معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً وزيد كافٌّ فلما رأى ما لقيتْ تميمٌ ركب فرسه وحمل على القوم، وجعل يدعو: يا لتميم، ويتكنى بكُنية قيس إذا قتل رجلاً أو أذراه عن فرسه أو هزم ناحية، حتى هُزِمت بكر وظفرت تميم، فصارت فَخْراً لهم في العرب، وافتخر بها قيس، فلما قدموا قال له زيد: اقسم لي يا قيس نصيبي، فقال: وأي نصيب؟ فواللَّه ما وَلِيَ القتالَ غيري وغيرُ أصحابي، فقال زيد:

ألا هَـلْ أتـاهـا والأحـاديـثُ جَـمَّـةٌ مُـغَـلْـغَـلَـةٌ أنـبـاءُ جَـيْـشِ الـلّـهـازِمِ[1]
فـلـسـتُ بـوَقَّـافٍ إذا الـخـيـلُ أحـجـمَـتْ ولـسـت بـكـذاب كـقـيـس بـن عـاصـمِ
تُـخَـبِّـرُ مـن لاقـيـتُ أنْ قـد هـزمـتـهـمْ ولـم تـدرِ مـا سـيـمـاهُـمُ لا وعـائـمِ
بـل الـفـارس الـطـائـيُّ فَـضَّ جـمـوعَـهُـمْ ومـكَّـةَ والـبـيـتِ الـذي عـنـد هـاشـمِ
إذا مـا دَعَـوْا عِـجْـلاً عَـجِـلْـنـا عـلـيـهـمُ بِـمَـأثـورة تـشـفـي صُـداع الـجـمـاجـمِ
[الطويل]

فبلغ المكشَّرَ بنَ حنظلة العجليَّ أحدَ بني سنان قولُ زيد، فخرج في ناسٍ من عجل حتى أغار على بني نبهان، فأخذ من نعمهم ما شاء، وبلغ ذلك زيدَ الخيل، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان، حتى اعترض القوم فقال: مالي ولك يا مكشَّرُ؟ فقال قولك:

إذا مـا دعـوا عِـجْـلاً عَـجِـلْـنـا عـلـيـهـمُ

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم، ورجع المكشّر ببقية ما أصاب، فأغار زيد على بني تيم اللَّه بن ثعلبة فغنم وسبى وقال في ذلك:

إذا عـركـتْ عِـجْـلٌ بـنـا ذنْـبَ غـيـرنـا عَـرَكْـنـا بـتَـيْـمِ الـلاتِ ذَنْـبَ بـنـي عِـجْـلِ
[الطويل]

(١) اللّهازم: لقب بني تيم اللَّه بن ثعلبة.

حريث بن زيد الخيل

وقال أبو عمرو: وكان حريث بن زيد الخيل شاعراً، فبعث عمر بن الخطاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرئ أهل البادية، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه، فأقبل حتى نزل بمحلَّة بني نبهان، فاستقرأ ابن عَمٍّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مُنْهِب، فلم يقرأ شيئاً، فضربه فمات، فأقامت بنته أم أوس تندبه، وأقبل حُريث بن زيد الخيل فأخبرته، فأخذ الرمح فشدَّ على أبي سفيان فطعنه فقتله، وقتل ناساً من أصحابه، ثم هرب إلى الشام وقال في ذلك:

أَلَا بكر الناعي بأَوْس بن خالدٍ ... أخي الشَّتْوَةِ الغبراء والزَّمَن المَحْلِ
فلا تجزعي يا أمَّ أوسٍ فإنه ... يلاقي المنايا كلُّ حافٍ وذي نَعْلِ
فإن يقتلوا أوساً عزيزاً فإنني ... تركت أبا سفيانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ
ولولا الأسَى ما عشْتُ في الناس بعده ... ولكنْ إذا ما شئْت جَاوَبَني مثْلِي
أصبْنَا به من خِيرَة القوم سبعةً ... كِراماً ولم نأكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ

[الطويل]

صوت

بشَّرَ الظّبْيُ والغُراب بِسُعْدى ... مَرْحَباً بالذي يقول الغرابُ
إذهبي فاقْرَئي السلام عليهمْ ... ثم رُدّي جوابنا يا رَبَابُ

[الخفيف]

عروضه من الخفيف. الشعر لعبيد اللَّه بن قيس الرقيات والغناء لفند المخنث مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص خفيف رمل بالبنصر وذكر حبش أن هذا اللحن ليحيى المكي وليس ممن يحصل قوله.

ابن قيس الرقيات

أخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرميُّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب مولى بني عامر بن لؤي ـ وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:

يـا أبـا الـحـارث قـلـبـي طـائـرٌ فـأتـمـرْ أمـر رشـيـد مـؤتـمـنْ

[الرمل]

ـ قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سهل قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه عن جده قال:

أراد عبد الملك بن مروان البَيْعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه وكتب إليه يقول له: لي ابنٌ ليس ابنُكَ أحبَّ إليك منه إليَّ فإن استطعت أن لا يفرق بيننا الموت وأنت لي قاطع فافعل، فرقّ له عبد الملك وكفّ عن ذلك، فقال عبيد اللَّه بن قيس في ذلك، وكان عند عبد العزيز:

تَـخْـلُـفُـك الـبـيـضُ مـن بـنـيـك كـمـا يُـخْـلَـفُ عـودُ الـنُّـضَّـار فـي شُـعَـبِـهْ
لـيـسـوا مـن الـخِـرْوَعَ[1] الـضـعـاف ولا أشـبـاه عـيـدانـه ولا غَـرَبِـهْ
نـحـن عـلـى بَـيْـعَـةِ الـرسـول الـتـي أُعْـطـيَـتْ فـي عُـجْـمِـه وفـي عَـرَبِـهْ
نـأتـي إذا مـا دَعَـوْتَ فـي الـزَّعَـف[2] الـ ـمَـسْـرُود أبْـدَانُـه وفـي جُـنُـبِـهْ
نُـهـدي رَعـيـلاً[3] أمـام أرْعَـنَ[4] لا يُـعْـرَف وَجْـهُ الـبَـلْـقـاء[5] فـي لَـجَـبِـهْ[6]

[المنسرح]

فقال عبد الملك: لقد دخل ابن قيسٍ الرقيات مدخلاً ضَيّقاً. وتهدده وشتمه وقال: أليس هو القائل:

[كـيـف نـومـي عـلـى الـفـراش ولـمَّـا تَـشْـمَـلِ الـشـامَ غـارَةٌ شـعـواءُ

(١) الخِروَع: هو نبتٌ لا يرعى.
(٢) الزَّعَف: المهالك.
(٣) الرعيل: القطعة المتقدمة من الخيل.
(٤) الأرعن: الأهوج.
(٥) البلقاء: ما كان في لونها بياض وسواد.
(٦) اللَّجب: الجلبة والصِّياح.

تَـذْهَـلُ الـشـيـخَ عـن بـنِـيـه وتُـبْـدي ... عـن خَـدَامِ الـعـقـيـلـةُ الـعـذراءُ

[الخفيف]

أوليس القائل]:

عـلـى بَـيْـعـة الإسـلام بـايـعْـن مُـصْـعَـبـاً ... كَـرَاديـسَ[1] مـنَ خَـيْـل وجـمْـعـاً مُـبـارِكَـا

تـدارَكَ أُخـرانـا ويـمـضـي أمـامـنـا ... ويَـتْـبَـعُ مـيـمـونَ الـنَّـقِـيـبـة نـاسـكـا

إذا فـرغـتْ أظـفـاره مـن كـثـبـة ... أمـالَ عـلـى أخـرى الـسـيـوفَ الـبـواتـكَـا[2]

[الطويل]

قال: فلما بلغ عبيدَ اللَّه قولُ عبد الملك وشتْمُه إياه قال:

بـشَّـر الـظـبْـيُ والـغـرابُ بـسُـعْـدى ... مـرحـبـاً بـالـذي يـقـول الـغـرابُ

قـال لـي إن خـيـرَ سُـعْـدَى قـريـبٌ ... قـد أنَـى أن يـكـون مـنـه اقـتـرابُ

قـلـت أنَّـى تـكـون سُـعـدى قـريـباً ... وعـلـيـهـا الـحـصـونُ والأبـوابُ

حـبَّـذا الـرِّيـمُ ذو الـوشـاحـيـن والـخَـ ... ـصْـر الـذي لا يـنـالـه الأثـوابُ

إن فـي الـقـصْـر لـو دخـلـتَ غـزالاً ... مُـصْـفـقـاً مُـوصَـداً عـلـيـه الـحـجَـابُ

أرسـلـت أنْ فـدتْـك نـفـسـيَ فـاحـذَرْ ... هـاهـنـا شُـرْطَـةٌ عـلـيـك غِـضَـابُ

أقـسـمـوا إنْ رأوك لا تَـطْـعَـم الـمـا ... ءَ وهـم حـيـن يَـقْـدرون ذئـابُ

قـلـت قـد يَـغْـفـل الـرقـيـب ويُـغْـفِـي ... شُـرْطَـةٌ أو يـحـيـن مـنـه انْـقِـلابُ

أو عـسـى أن يُـوَرِّي ـ الـلَّـه أمـراً ... لـيـس فـي غَـيْـبـه عـلـيـنـا ارتـقـابُ

إذهـبـي فـاقـرئـي الـسـلام عـلـيـهـا ... ثـم رُدّي جـوابـنـا يـا رَبَـابُ

حَـدِّثـيـهـا مـا قـد لـقـيـتِ وقـولـي ... حـقَّ لـلـعـاشـق الـكـريـم ثَـوَابُ

رَجُـلٌ أنـت هَـمُّـه حـيـن يُـمْـسـي ... خـامـرتْـه مـن أجـلـك الأوْصَـابُ

لا أشـمُّ الـريـحـان إلَّا بـعَـيْـنِـي ... كـرمـاً إنَّـمـا يـشـمُّ الـكـلابُ

رُبَّ زارٍ عـلـيَّ لـم يَـرَ مـنِّـي ... عـشْـرةً وهـو مُـومِـسٌ كَـذَّابُ

خـادعَ الـلَّـهَ حـيـن جَـلَّـلَـه الـشـيـ ... ـبُ فـأضـحـى قـد بـان مـنـه الـشَّـبَـابُ

يـأمـرُ الـنـاسَ أن يَـبَـرُّوا ويُـمْـسـي ... وعـلـيـه مـن عَـيْـبـه جِـلـبـابُ

لا تَـعِـبْـنـي فـلـيـس عـنـدك عِـلْـمٌ ... لا تـنـامـنَّ أيُّـهـا الـمُـغـتـابُ

(١) الكراديس: مفردها الكردوسة، وهي القطعة العظيمة من الخيل.

(٢) البواتك: مفردها الباتك وهو القاطع.

تَـخْـتُـلُ الـنـاسَ بـالـكـتـاب فـهَـلَّا حـيـن تـغـتـابـنـي نـهـاك الـكـتـابُ
لـسـت بـالْـمُـخْـبـتِ[1] الـتـقـيِّ ولا الـمـحـ ـضـيـه مـن مـقـالـتـي الاحـتـسـابُ
إنَّـنـي والـتـي رَمَـتْ بـك كـرهـاً سـاقـطـاً مُـلْـصَـقـاً عـلـيـك الـتّـرابُ
لـتـذوقـنَّ غِـبَّ رأيـك فـيـنـا حـيـن تـبـدو بِـعِـرْضـك الأنـدابُ[2]

[الخفيف]

قال الزبير: معنى قوله:

لا أشـمُّ الـريـحـان إلَّا بـعـيـنِـي كَـرمـاً إنـمـا يَـشـمُّ الـكـلابُ

[الخفيف]

يُعَرّض بعبد الملك لأنه كان متغيِّر الفم يُؤذيه رائحته، فكان في يده أبداً ريحان أو تفاحة أو طيب يشمه.

أخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزبير عن عمه.

أن ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان:

يـلـتـفـت الـنـاسُ عـنـد مـنـبـرِه إذا عـمـود الـبـريَّـة انـهـدمَـا

[المنسرح]

يعني إذا مات عبد الملك، لأن العهد كان إليه بعده.

قال الزبير: فأخبرني مصعب بن عثمان قال:

لما بلغ عبد الملك هذا البيتُ أحفظه وقال: بفيه الحجر. وحينئذٍ قال: لقد دخل ابنُ قيس مدخلاً ضيِّقاً.

أخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثني كثير بن جعفر عن أبيه قال:

قال الحجاج يوماً لأهل ثقته من جلسائه: ما من أحد من بني أمية أشد بغضاً إليَّ من عبد العزيز بن مروان، وليس يوم من الأيام إلَّا وأنا أتخوف أن تأتيني منه قارعة، فهل من رجل تدلوني عليه له لسان وشعر وجلد؟ قالوا: نعم، عمران بن عصام العَنَزي، فدعاه فأخلاه ثم قال له: اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين فاقدَحْ في قلبه من ابنه شيئاً في الولاية، فقال له عمران: دُسَّ أيها الأمير إليَّ دسّاً فقال له الحجاج: إن العَوان لا تُعَلَّمُ الخِمْرةُ. فخرج بكتاب

(١) المُخبِت: الخاشع المتواضع.
(٢) الأنداب: مفردها الندبة، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد.

الحجاج، فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتاب، وسأله عن الحجاج وأمرِ العراق فاندفع يقول:

أميرَ المؤمنين إليك أُهدي ... على الشَّحْط التحيَّةَ والسلاما
أميرٌ من بنيك يَكُنْ جوابي ... لهم أُكرومةً ولنا نظاما
فلو أنّ الوليد أُطاع فيه ... جعلتَ له الإمامة والذِّماما

[الوافر]

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك. ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله وقال فيه: فرَقَّ عبد الملك رقة شديدة وقال: لا يكون إلى الصلة أسْرَع مني. فكفّ عن ذلك، وما لبث عبد العزيز إلّا ستة أشهر حتى مات، فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج، فأُتيَ به حين قَتَل ابنَ الأشعث فقتله، فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال: قطع اللَّه يدي الحجاج، أقتله وهو الذي يقول:

وبَعَثْت من ولد الأغَرِّ مُعَتِّب ... صَقْراً يلوذ حمامُه بالعوْسَجِ
وإذا طبختَ بناره أنضَجْتَها ... وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ

[الكامل]

ذكر فند وأخباره

هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتّكاً يجمع بين الرجال والنساء في منزله، ولذلك يقول فيه ابنُ قيس الرقيات.

صـوت

قل لفند يُشَيِّع الأظعانا ... طالما سَرَّ عيشنا وكفانا
صادراتٍ عشيَّةً من قُديدٍ ... وارداتٍ مع الضُّحَى عُسْفَانا
زَوَّدَتْنَا رُقَيَّةُ الأحزانا ... يوم جازت حُمولها السَّكرانا

[الخفيف]

عروضه من الخفيف، غناه مالك بن أبي السمح من روايتي إسحاق وعمرو بن بانة، ولحنه من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقد اختلف في اسمه، فقيل قند بالقاف، وفند بالفاء أصح، وبه يُضرب المثل في الإبطاء فيقال «تعست العجلة». أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه قال:

كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عِيراً خارجاً إلى مصر فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يعدو. فسقط وقد قرب منها فقال: تعست العجلة. فقال بعض الشعراء في رجل ذكره بمثل هذه الحال:

ما رأينا لسعيد مَثَلاً ... إذْ بعثناه يَجِي بالمَسَلَهْ
غير فند بعثوه قابساً ... فثوَى حولاً وسَبَّ العَجَلَهْ

[الرمل]

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبي عن الهيثم بن عدي قال:

كان فند أبو زيد مولى لسعد بن أبي وقاص، فضربه سعد بن إبراهيم ضرباً مُبَرِّحاً، فحلفت عائشة بنت سعد أنها لا تكلمه أبداً أو يرضى عنه ـ وكانت خالته ـ فصار إليه سعد طاعة لخالته، فوجده وجِعاً من ضربه، فسلم عليه فحوّل وجهه عنه

إلى الحائط ولم يكلمه، فقال له: أبا زيد إن خالتي حلفت ألَّا تكلمني حتى ترضى، ولستُ ببارح حتى ترضى عني، فقال: أما أنا فأشهد أنك مقيت سمج مبغَّض، وقد رضيت عنك على هذه الحال لتقوم عني وتريحني من وجهك ومن النظر إليك. فقام من عنده فدخل على عائشة وأخبرها بما قال له فندٌ فقالت: قد صدق وأنت كذلك. ورضيتْ عنه. قال: وكان سعد مُضْطرب الخُلُق سمجاً.

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبي بكر: وذكر عوانة.

أن معاوية كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة ويستعمل سعيد بن العاص سنة، فكانت ولاية مروان شديدة يهرب فيها أهل الدعارة والفسوق، وولاية سعيد ليِّنَة يرجعون إليها، فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكَّازة له وهو يومئذٍ معزول، إذا هو بفند يمشي بين يديه، فوكزه بالعكازة وقال له: ويلك، هِيه.

قل لفند يُشَيِّع الأظعانا

أتشيع الأظعان للفساد لا أمَّ لك إلى أهل الريبة؟ ستعلم ما يَحلّ بك مني، فالتفت، إليه فند وقال: نعم أنا ذلك، وسبحان اللَّه ما أسمجك والياً ومعزولاً. فضحك مروان وقال له: تمتع إنما هي أيام قلائل ثم تعلم ما يمر بك مني.

صوت

حيّ الدُّوَيرةَ إذْ نأتْ منّا على عُدَوائهَا
لا بالفراق تُنيلنا شيئاً ولا بلقائِهَا

[مجزوء الكامل]

عروضه من الكامل، الشعر لنُبَيْه بن الحَجَّاج السَّهمي، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو.

أخبار نبيه بن الحجاج ونسبه

هو نُبيه بن الحجَّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمه وأم أخيه مُنبِّه أرْوى بنت عُمَيلة بن السَّباق بن عبد الدار بن قُصيّ.

وكان نبيه بن الحجاج وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم، وقتلا جميعاً يوم بدر مشركين، ولهما يقول أعشى بني تميم ـ وهو ابن النبَّاش بن زُرارة، وكان أخوه أبو هَالة بنُ النبَّاش زوجَ خديجةَ أمِّ المؤمنين في الجاهلية، ولها منه أولاد لهم عقب إلى الآن ـ وكان الأعشى مدَّاحاً لهما وفيهما يقول وهي قصيدة طويلة:

لـلَّـه دَرُّ بـنـي الـحـجَّـاج إذ نُـدِبـوا ... لا يَـشْـتـكـي فـعْـلَـهـمْ ضـيـفٌ ولا جَـارُ
إن يَكْسبوا يُطعموا من فضل كَسْبهمُ ... وَأوفـيـاءُ بـعَـقْـدِ الـجـارِ أحـرارُ

[البسيط]

وفي نُبيه يقول أيضاً:

إنَّ نُـبـيـهـا أبـا الـرزَّام أفـضـلُـهـمْ ... حِـلْـماً وأجـودُهـمْ والـجـودُ تَـفـضـيـلُ
لـيـس لـفـعْـل نُـبـيـهٍ إنْ مـضـى خَـلَـفٌ ... ولا لـقـول أبـي الـرَّزَّام تَـبـديـلُ
ثَـقْـفٌ كـلـقـمـانَ عَـدْلٌ فـي حـكـومـتـه ... سـيـفٌ إذا قـام وسْـطَ الـقـوم مَـسـلـولُ
وإنَّ بـيـت نُـبـيـهٍ مَـنْـهَـجٌ فَـلـجٌ ... مُـخَـضَّـر بـالـنـدى مـا عـاش مَـأهـولُ
مـن لا يَـعُـرُّ[1] ولا يـؤذي عـشـيـرتـه ... ولا نـداه عـن الـمُـعْـتَـرّ[2] مَـعْـدُولُ

[البسيط]

وله أيضاً فيهما مراث قالها فيهما لما قتلا ببدر لم أسْتَجِدْ ذكْرها لأنهما قُتلا مشركين مُحاربين للَّه ورسوله.

وكان نبيه من شعراء قريش، وهو القائل وقد سألته زوجتاه الطلاق، ذكر ذلك الزبير بن بكار:

(١) يعُرُّ: يسوء غيره ويصيبه بالعرر.
(٢) المُعْتَرّ: الفقير الذي يحسن إليه الناس دون سؤاله إياهم.

تلك عِرْسايَ تنطقانِ بهُجْرِ[١] وتقولان قول زُور وهِتْرِ[٢]
تسألاني الطلاقَ إذْ رأتاني قلّ مالي، قد جئتماني بنُكْرِ
فلعلّي أن يَكْثُر المالُ عندي ويُخَلَّى عن المغارم ظَهْرِي
وتُرَى أعْبُدٌ لنا وجيادٌ ومَناصيفُ[٣] من ولائدَ عَشْرْ
وَيْكَأنْ من يكن له نَشَبٌ[٤] يُحْبَبْ ومن يفتقِرْ يَعشْ عَيْش ضُرِّ
ويُجَنَّبْ يُسْرَ الأمور ولكنَّ ذوي المالِ حُضَّرٌ كُلَّ يُسْرِ

[الخفيف]

أخبرني الطوسي والحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عليّ بن صالح.

أن عامر بن صالح أنشده لنبيه بن الحجاج:

قصّر العُدْمُ بي ولو كنت ذا ما لٍ كثير لأجْلَبَ الناسُ حولي
ولقالوا أنت الكريم علينا وَلَحَطُّوا إلى هوايَ ومَيْلي
وَلَكِلْتُ المعروفَ كَيْلاً هَنيئاً يَعْجَز الناسُ أن يَكيلوا ككيلي

[الخفيف]

قال الزبير: قال عليّ بن صالح:

وأنشدني عامر بن صالح لنبيه بن الحجاج أيضاً:

قالت سليمى إذْ طرقتُ أزورها لا أبتغي إلَّا امرأً ذا مالِ
لا أبتغي إلَّا امرأً ذا ثَرْوةٍ كيما يَسُدَّ مَفَاقِرِي[٥] وخِلَالي[٦]
فلأَحرِصَنَّ على اكتسابِ مُحَبَّبٍ ولأكْسِبَنْ في عِفَّة وجمالِ

[الكامل]

أخبرني الطوسيّ والحرميّ قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال:

نزل نبيه بن الحجاج قُدَيْداً يريد الشام، فغيَّب بعضُ بني بَكْرٍ ناقته يريد أخذ الجَعَالة عليها منه، فقال نبيه في ذلك:

(١) الهُجر: القبيح من الكلام. (٢) الهِتر: الكذب والبهتان.
(٣) المناصيف: مفردها المنصف وهو النصف، الخدم.
(٤) النَّشب: المال الأصيل من الناطق والصامت.
(٥) مفاقري: فقري. (٦) خلالي: عجزي وحاجتي.

وردتْ قُـدَيْـداً فـالْـتَـوَى بـذراعـهـا ذُؤْبَـانُ بَـكْـرٍ كُـلُّ أطْـلَـس أفْـحـج[١]
رَجُـلٌ صَـديـقٌ مـا بـدتْ لـك عَـيْـنُـه فـإذا تَـغَـيَّـبَ فـاحْـتَـفـظْ مـن دَعْـلَـج
[الكامل]

قال الزبير: الدَّعْلَج: الكلب والذئب، وكل مختلس من السباع فهو دعلج ويقال لاختلاسه الدعلجة وأنشد:

بـاتـتْ كـلابُ الـحـيِّ تَـسْـري بـيـنـنـا يـأكـلـن دَعْـلَـجـةً ويـشـبـع مـن ثَـوَى
[الكامل]

يعني بالدعلجة السرقة.

قال الزبير: ولا عَقِب للحجاج أبي نُبيه ومُنبّه إلَّا من ولد نُبيه، فإن العَقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد اللَّه بن عفيف بن نُبيه، وفي رُيْطة بنت منبّه فإن عمرو بن العاص تزوجها فولدت له عبد اللَّه بن عمرو:

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في امرأة كان غَلَب أباها عليها، فاستغاث أبوها بالحُلفاء من قريش والحِلْف المعروف بحلْف الفُضُول، فانتزعوها من نُبيه ورَدُّوها على أبيها.

أخبرني الطوسيّ قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني غير واحد من قريش منهم عبد العزيز بن عمر العنبسي عن مغنّى واسمه عيينة بن عبد اللَّه بن عنبسة.

أن رجلاً من خَثْعم قدم مكة تاجراً، ومعه ابنةٌ له يقال لها القَتُول أوْضَأ نساء العالمين وجهاً، فعَلقَها نُبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، فلم يبرح حتى نقلها إليه وغلب أباها عليها فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول، فأتاهم فشكا ذلك إليهم، فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا: أخرج ابنةَ هذا الرجل، وهو يومئذٍ مُتَبَذِّ بناحية مكة وهي معه، فقال: لا أفعل، قالوا: فإنّا من قد عرفت، قال: يا قوم متعوني بها الليلة، فقالوا: قبّحك اللَّه، ما أجهلك، لا واللَّه ولا شَخْبَ لِقْحَة، وهي أوسع أحابيك من السائل، فأخرجها إليهم فأعطوها أباها وركبوا وركب معهم الخثعمي، فلذلك يقول نبيه بن الحجاج:

راح صـحـبـي ولـم أحَـيِّ الـقَـتـولَا لـم أودعْـهُـمُ وداعـاً جـمـيـلَا
إذْ أجَـدَّ الـفُـضـولُ أن يـمـنـعـوهـا قـد أرانـي ولا أخـاف الـفُـضُـولا

(١) الأفحج: الذي تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه.

لا تَـخـالـي أنـي عـشـيّـة راح الـرَّكْـبُ هُـنْـتُـمْ عـلـيّ ألَّا أقـولَا
إنـنـي والـذي لـه حـجَّ شُـمْـطٌ مـن إيـادٍ وهـلَّـلـوا تـهـلـيـلَا
لا تَـبَـرَّأت مـن قُـتـيـلـةَ بـالـنّـا سِ وهـل تـبـتـغـون إلَّا الـقـتـولَا
لـم أخـبّـر عـن الـحـديـث ولا مَـنْ أنـا رَسَّ[1] الـحـديـث والـتـقـبـيـلا
ومـبـيـتـاً بـذي الـمَـجَـازِ ثـلاثـاً ومـتـى كـان حَـجُّـنـا تَـحـلـيـلا
لـن أُذيـع الـحـديـث عـنـهـا ولا أنـ ـقـاد ـ لـو ٱبـتـلـيـت فـيـهـا ـ فـتـيـلا
أتَـلَـوَّى بـهـا كـمـا تـتـلـوَّى حـيَّـة الـمـاء بـالأبـاء طـويـلا
ثـم عـدْواً عـداء[2] نـخـلـة مـا يُـد رك مـنـهـمْ أدنـى رَعـيـل رَعـيـلَا
وبـنـو غـالـب أولـئـك قـومـي ومـتـى يـفـزعـوا تـراهـم قـبـيـلَا
ونـدامـى بـيـضِ الـوجـوه كـهـولٍ وشـبـابٍ أسـهـرتُ لـيـلاً طَـويـلَا
غـيـر هُـجْـنٍ[3] ولا لـئـام ولا تـعـ ـرف مـنـهـم إلَّا فـتـى بُـهْـلُـولَا[4]

[الخفيف]

وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج:

حَـيِّ الـدُّوَيـرة إذْ نـأتْ مِـنَّـا عـلـى عُـدَوائِـهـا[5]
لا بـالـفـراق تُـنِـيـلـنـا شـيـئـاً ولا بِـلِـقـائـهـا
أخـذتْ حُـشـاشـةَ قـلـبـه ونـأت فـكـيـف بـنَـائـهـا
حـلـت تِـهـامـةَ خُـلـيـة مـن بـيـتـهـا وَوِطـائـهـا
ولـهـا بـمـكـة مـنـزلٌ مـن سـهـلـهـا وحِـرائـهـا[6]
رفـعـوا الـمَـحَـلّـة فـوقـهـا واسـتـعـذبـوا مـن مـائـهـا
تـدعـو شِـهـابـاً حـولـهـا وتـعـمُّ فـي حـلـفـائـهـا
لـولا الـفـضـولُ وأنـه لا أمْـنَ مـن عُـدَوائـهـا
لـدنـوت مـن أبـيـاتـهـا وَلَـطُـفْـتُ حـول خـبـائـهـا
ولـجـئـتـهـا أمـشـي بـلا هـادٍ لَـدى ظَـلْـمـائـهـا

(١) رسَّ الحديث: إبتدأ الحديث أو ذكره. (٢) العداء: التطاول.
(٣) هُجن: مفردها هجين، وهو من كان أبوه خير من أمه.
(٤) البُهلول: الجامع للخيرات. (٥) العدواء: البعد.
(٦) الحِراء: النواحي.

فـشـربـت فَـضْـلـة ريـقـهـا ولَـبِـتُّ فـي أحـشـائـهـا
فَـسَـلِـي بـمـكَـة تُـخْـبَـري أنَّـا مـنَ اهْـل وفـائـهـا
قِـدْمـاً وأفـضِـل أهـلـهـا مِـنَّـا عـلـى أكـفـائـهـا
نَـمْـشـي بِـألْـوِيـة الـوَغَـى ونـمـوت فـي أودائـهـا[1]

[مجزوء الكامل]

(١) الأوداء: مفردها الودأ وهو الهلاك.

حلف الفضول

أخبرني الطوسيُّ قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة قال:

كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها رجل من بني سهم، فَلَوى الرجُلَ بحقّه، فسأله مَتاعَه فأبى عليه، فقام في الحجر فقال:

يـالَ قُـصَـيٍّ لـمـظـلـوم بـضـاعـتُـه ... بـبـطْـنِ مـكـةَ نـائـي الـدارِ والـنَّـفَـرِ
وأشـعـثٍ مُـحْـرِمٍ لـم يَـقْـضِ حُـرْمـتـه ... بـيـن الـمـقَـام وبـيـن الـرُّكْـن والـحَـجـر

[البسيط]

وروى بعض الثقات تماماً لهذين البيتين وهو:

أقـائـمٌ مـن بـنـي سَـهْـم بـذمـتـهـمْ ... أم ذاهـبٌ فـي ضـلال مـالُ مُـعْـتَـمِـرِ
إنَّ الـحـرام لـمـن تـمَّـت حَـرَامَـتُـه ... ولا حـرام لـثـوب الـفـاجـر الـغُـدَرِ

[البسيط]

قال: وقال بعض العلماء: إن قيس بن شيبة السُّلْمي باع متاعاً من أُبيِّ بن خَلَف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جُمَح فلم يَقُمْ بجواره فقال:

يـال قـصـيٍّ كـيـف هـذا فـي الـحَـرَمْ ... وحُـرْمَـةِ الـبـيـت وأعْـلاقِ الـكَـرَمْ

[الرجز]

أُظْـلَـمُ لا يُـمْـنَـع مـنـي مَـن ظَـلَـمْ

قال: وبلغ الخبرُ العباسَ بن مرداس السُّلَميَّ فقال:

إن كـان جـارُك لـم تَـنْـفَـعْـكَ ذِمَّـتُـه ... وقـد شَـرِبـتَ بـكـأس الـذُّلِّ أنـفـاسَـا
فَـأتِ الـبـيـوت وكُـنْ مـن أهْـلِـهـا صَـدَداً ... لا تُـلْـف نـادِيَـهـم فُـحْـشـاً ولا بَـاسَـا
وَثَـمَّ كـنْ بـفـنـاء الـبـيـت مُـعـتـصـمـاً ... تَـلْـقَ ابـنَ حَـرْب وتَـلْـق الـمـرءَ عَـبَّـاسَـا
قَـرْمَـيْ قُـريـش وَحَـلَّا فـي ذؤابـتـهـا ... بـالـمـجـد والـحـزم مـا حـازا ومـا سـاسَـا

سـاقِـي الـحَـجـيـجِ وهـذا يـاسِـرٌ فَـلَـجٌ والـمـجـد يُـورث أخـمـاسـاً وأسـداسَـا

[البسيط]

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردّا عليه، واجتمعت بطونُ قريش فتحالفوا على ردّ الظلم بمكة، وأن لا يُظْلم رجلٌ بمكة إلا منعوه وأخذوا له بحقه، وكان حِلفهم في دار ابن جُدْعَان، فكان رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لقد شهدتُ حِلْفاً في دار ابن جدعان ما أُحِبَّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم، ولو دُعِيتُ به لأجبت**»، فقال قوم من قريش: هذا واللَّه فَضْلٌ من الحلف، فسُمّي حِلْف الفُضول. قال: وقال آخرون: تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قومٌ من جُرْهُم في هذا الأمر ألا يُقِرُّوا ظُلماً ببطن مكة إلَّا غيروه، وأسماؤهم الفضل بنْ شِراعة والفضل بن قُضاعة، والفضل بن سما.

قال: وحدثني محمد بن فضالة، عن عبد اللَّه بن زياد بن سمعان، عن ابن شهاب قال:

كان شأن حلف الفضول أنَّ بَدْءَ ذلك أن رجلاً من بني زُبيد قدم مكة مُعتمراً في الجاهلية، ومعه تجارة له، فاشتراها منه رجل من بني سَهْم، فأواها إلى بيته ثم تَغَيَّب، فابتغى متاعَه الزبيديُّ فلم يقدر عليه، فجاء إلى بني سهم يَسْتعديهم عليه، فأغلظوا عليه، فعرف أن لا سبيل إلى ماله، فطوَّف في قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قريش مجالسها في المسجد ثم قال:

يـا آل فِـهْـر لـمَـظْـلـوم بـضـاعَـتُـه ببـطـن مـكـة نـائـي الـدار والـنَّـفَـرِ

ومُـحْـرِمٍ شَـعِـثٍ لـم يَـقْـضِ عُـمْـرَتَـه يـا آل فـهـر وبـيـن الـحِـجْـر والـحَـجـرِ

أقـائـمٌ مـن بـنـي سـهـم بِـخُـفْـرتـهـم فـعـادِلٌ أم ضـلالٌ مـالُ مُـعْـتَـمـرِ

[البسيط]

فلما نزل: أعظمت قريشٌ ذلك، فتكلموا فيه، فقال المُطيَّبُون: واللَّه لئن قمنا في هذا ليُغْضِبنَّ الأحلافَ، وقال الأحلاف: واللَّه لئن تكلمنا في هذا ليُغْضِبَنَّ المُطيَّبين. وقال ناس من قريش: تعالوا فليكن حِلْفاً فضولاً دون المُطيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا في دار عبد اللَّه بن جُدعان، وصنع لهم طعاماً يومئذٍ كثيراً، وكان رسول اللَّه ﷺ يومئذٍ معهم قبل أن يُوحِيَ اللَّهُ إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزُهْرة وتيم، وكان الذي تعاقد عليه القوم: تحَالفوا على أن لا يُظْلَم بمكة غريب ولا قريب ولا حُرٌّ ولا عبد إلا كانوا معه حتى

يأخذوا له بحقه ويُؤدُّوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم، ثم عَمَدُوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جَفْنه، ثم بعثوا به إلى البيت فغُسلَتْ به أركانُه ثم أتوا به فشربوه.

قال: فحدثنا هشام بن عروة عن أبيه.

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي اللَّه عنها ـ أنها سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لقد شهدت في دار عبد اللَّه بن جدعان حلف الفضول أمَا لو دُعيت إليه اليومَ لأجبت، وما أحبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَمْ وأني نقضته»**.

قال: وحدثني عمر بن عبد العزيز العَنْبَسيّ أن الذي اشترى من الزُّبيدي المتاعَ العاصُ بنُ وائل السَّهمي.

وقال: أهل حلف الفضول: بنو هاشم وبنو المُطَّلب وبنو أسد بن عبد العُزَّى وبنو زُهْرة وبنو تيم، تحالفوا بينهم: ألَّا يُظلم بمكة أحدٌ إلَّا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً، منا أو من غيرنا، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ثم قالوا: واللَّه لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه، فأعطي الرجل حقه، فمكثوا كذلك لا يُظْلم أحدٌ حقَّه بمكة إلا أخذوه له، وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلاً وحده خرج من قومه فخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول، وليس عبد شمس في حلف الفضول.

وحدثني محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن موسى بن عبد اللَّه بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة عن أبيه، وعن إبراهيم بن محمد، وعن أبي عبد اللَّه بن الهَاد.

أنَّ بني هاشم وبني المُطَّلب وبني أسد بن عبد العزي وتيم بن مرة احْتَلَفُوا على أن لا يدعوا بمكة كُلِّها ولا في الأَحابيش مظلوماً يَدْعُوهم إلى نصرته إلَّا أنجدوه حتى يردوا عليه مظلمته أو يُبْلُوا في ذلك عُذْراً، أو على أن لا يتركوا لأحد عند أحد فَضْلاً إلَّا أخذوه، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنك ـ وبذلك سُمِّي حلف الفضول ـ باللَّه الغالب أن اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقه ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفةً، وعلى التَّأسِّي في المعاش.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن طلحة في حديثه عن موسى بن محمد عن أبيه، وعن محمد بن فضالة عن أبيه، قال:

لم يكن بنو أسد بن عبد العزَّى في حلف الفضول، قال: وكان بَعْدَ عبدِ المطلب.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن عيسى بن يزيد بن دأب قال:

أهل حلف الفضول: هاشم وزُهرة وتيم. قال: وقيل له: فهل لذلك شاهد: من الشعر؟ قال: نعم، أنشدني بعض أهل العلم [بقريش] قول بعض الشعراء:

تَيْمُ بن مُرَّةَ إنْ سألْتَ وهاشم وزهرة الخير في دار ابن جدعان
متحالفون على الندى ما غرّدت ورْقاءُ في فنن من جِزْع كُتْمَانِ

[البسيط والكامل]

فقيل له: وأين كُتْمان؟ فقال: واد بنجران، فجاء ببيتين مضطربين مختلفي النصفين.

وحدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة قال:

تداعى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزَّى وبنو زُهرة بن كلاب وتيم بن مرة إلى حلف الفضول، فاجتمعوا في دار عبد اللَّه بن جدعان، فتحالفوا عنده، وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ولا من غيرهم إلَّا قاموا معه على مَنْ ظَلَمه حتى يردوا مظلمته، وشهد النبي ﷺ هذا الحلف قبل أن يُبعث، فهذا حلف الفضول.

قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جَدِّي عبد اللَّه بن مصعب عن أبيه قال:

إنما سُمّي حلف الفضول لأنه كان في جُرْهم رجال يَرُدُّون المظالم، يقال لهم فضيل وفَضال وفَضْل ومُفضل، قال: فلذلك سُمّي حلف الفضول، تعاقدوا أن يردوا المظالم، قال: فتحالفوا باللَّه الغالب لنأخذن للمظلوم من الظالم، وللمقهور من القاهر، ما بلّ بحرٌ صوفة.

قال: وقال أبي:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**فشهدت حلفاً في دار عبد اللَّه بن جدعان لم يَزِدْه الإسلام إلَّا شدَّة ولهو أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعم**»، قال: وقال غيره «**لو دعيت إليه لأجبت**».

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نوفل بن عمارة، عن إسحاق بن الفضل قال:

إنما سمت قريش هذا الحلف حلف الفضول لأن نفراً من جرهم يقال لهم

الفضل وفضال والفضيل تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل.

قال: وحدثني رجل غير محمد بن حسن، عن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة عن أبيه.

عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لقد شهدت في دار ابن جدعان حلف الفضول أمَا لو دعيت إليه لأجبت وما أحب أني نقضته وأنَّ لي حُمْرَ النَّعم**».

قال الزبير: وحدثني عليُّ بن صالح عن جَدّي عبد اللَّه بن مصعب عن أبيه.

أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد شهدت في الجاهلية حلفاً يعني حلف الفضول، أما لو دُعيت إليه اليوم لأجبت، لهو أحب إليَّ من حمر النعم، لا يزيده الإسلام إلا شدة**».

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة قال: حدثني رجل عن محمد بن يزيد الليثي قال: سمعت طلحة بن عبد اللَّه بن عوف الزبيري يقول:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**لقد شهدت في دار عبد اللَّه بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت**».

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نصر بن مزاحم، عن معروف بن خَرَّبود قال:

تداعَتْ بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتيم فاحْتَلفوا على أن لا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلَّا أنجدوه حتى يردوا إليه مظلمته أو يُبْلوا في ذلك عذراً، وكره ذلك سائر المُطَيَّبين والأحلاف من أمره وسموه حلف الفضول عَيْباً له. وقالوا: هذا من فُضُول القوم. فسموه حِلْف الفضول.

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد، عن يزيد بن عبد اللَّه بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم قال:

كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهرة وبني تيم.

قال: فحدثني أبو خَيْثَمة زُهير بن حرب قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزُّهْرِيِّ، عن محمد بن حبيب عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف قال:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**شهدت مع عمومتي حلف المَكِّيين فما أحِبُّ أن لي حمر النعم وأني أنْكُثُه**».

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد اللَّه التيمي أنه بلغه.

أن الذي بدأ بحلف الفضول من هذه القبائل أمرُ الغَزال الذي سُرق من الكعبة.

حدثني محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه قال:

قدم ابن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان، وكان من حلفاء قريش، فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد لم يكن بنو عبد شمس وأنتم ـ يعني بني نَوْفل ـ في حلف الفضول قال: أنت أعلم يا أمير المؤمنين، قال: لتحدِّثَنيِّ بالحقّ من ذلك، قال: لا واللَّه يا أمير المؤمنين لقد خرجنا نحن وأنتم منه، ولم تكن يدنا ويدكم إلَّا جميعاً في الجاهلية والإسلام.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن إبراهيم بن محمد عن يزيد بن عبد اللَّه بن الهاد الليثي أن محمد بن الحارث التيمي أخبره.

أنه كان بين الحسين بن عليّ عليهما السلام وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كلام، والوليد يومئذٍ أميرُ المدينة في زمن معاوية بن أبي سفيان في مال كان بينهما بذي المَروة، فقال الحسين بن عليّ عليهما السلام: استطال عليَّ الوليد بن عتبة في حق بسلطانه فقلت: أقسم باللَّه لَتُنْصِفَنِّي في حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول اللَّه ﷺ ثم لأدعُونَّ بحلف الفضول. قال: فقال عبد اللَّه بن الزبير ـ وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال ـ: وأنا أحلف باللَّه لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومنَّ معه حتى يُنْصَف من حقه أو نموت جميعاً، فبلغت المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نوفل الزُّهري فقال مثل ذلك، فبلغت عبد الرحمٰن بن عثمان بن عبيد اللَّه التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ الوليدَ بنَ عتبة أنصفَ الحسينَ من حقه حتى رضي.

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم عليُّ بنُ المغيرة، عن أبي عبيدة قال: حدثني رجل عن يزيد بن عبد اللَّه بن أسامة الليثي.

أن محمد بن إبراهيم التيمي حدثه مثل حديث محمد بن الحسن الذي قبل هذا.

قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد اللَّه بن مصعب عن أبيه.

أن الحسين بن عليّ عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلام في أرض له، فقال له الحسين عليه السلام: اختر خَصْلة من ثلاث خصال: إما أن تشتري مني حَقِّي، وإما

أن ترده عليّ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابنَ عمر. والرابعةُ الصَّيْلَم، قال: وما الصَّيْلَم؟ قال: أن أهتف بحلف الفضول، قال: فلا حاجة لنا بالصَّيْلَم، قال: فخرج وهو مغضب، فمر بعبد اللَّه بن الزبير فأخبره وقال: واللَّه لئن لم ينصفني لأهتفن بحلف الفضول، فقال عبد اللَّه بن الزبير: واللَّه لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدنَّ أو قاعد لأقومنَّ، ولئن هتفت به وأنا ماش لأسعينّ ثم لينفَدنَّ روحي مع روحك أو ليُنْصفنّك، قال: فخرج عبد اللَّه بن الزبير فدخل على معاوية فباعه منه، وخرج عبد اللَّه فجاء إلى الحسين عليه السلام فقال: أرسلْ فانتقدْ مالك فقد بعته لك.

قال: وحدثني عليّ بن صالح، عن جدي عبد اللَّه بن مصعب عن أبيه قال:

خرج الحسين عليه السلام من عند معاوية فلقي عبدَ اللَّه بنَ الزبير، والحسينُ مغضبٌ، فذكر الحسينُ أن معاوية ظلمه في حق له، فقال الحسين: أخَيِّره في ثلاث خصال، والرابعةُ الصَّيْلَم: أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقر بحقي ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه مني، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول، قال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين، أو ماش لاشتدَّنَّ حتى يفنى روحي مع روحك أو ينصفك. قال: ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية فقال: لقيني الحسين فخيرك في ثلاث خصال والرابعة الصَّيْلَم، قال معاوية: لا حاجة لنا بالصَّيْلَم، إن لقيته مغضباً فهات الثلاث، قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه، قال: فقد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما، قال: أو تقر له بحقه وتسأله إياه، قال: أنا أقر له بحقه وأسأله إياه، قال: أو تشتريه منه، قال: وأنا أشتريه منه، قال: فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين عليه السلام إن دعاني إلى حلف الفضول لأجبته، فقال معاوية: لا حاجة لنا بهذا.

قال: وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بَكرة والمِسْوَر بن مَخْرمَة قالا للحسين بن علي عليهما السلام مثل ما قال ابن الزبير، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبير بن مطعم، فقال له معاوية: يا أبا محمد، أكُنَّا في حلف الفضول؟ قال: لا، قال: فكيف كان؟ قال: قدم رجل من ثُمالة فباع سِلْعة له من أُبيِّ بن خلف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح فظلمه، وكان يُسيء المخالطة فأتى الثُّماليُّ إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا: اذهب فأخبره أنك أتيتنا، فإن أعطاك حقك ولا فارجع إلينا، فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول، قال: فأخرج إليه ماله وأعطاه إياه بعينه فقال:

أيأخذني في بطن مكة ظالماً أبيٌّ ولا قومي لديَّ ولا صحبي

ونـاديـتُ قـومـي صـارخـاً لِـتُـجـيـبـنـي وكم دون قومي من فَيَافٍ[١] ومن سَهْبِ[٢]
ويـأبـى لـكـم حـلـفُ الـفـضـول ظُـلَامـتـي بـنـي جُـمَـح والـحـقُّ يُـؤخـذ بـالـغَـصْـبِ
[الطويل]

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزاميُّ في أمر حلف الفضول غير ما رواه الزبير، قال إبراهيم: حدثني عبد العزيز بن عمران قال:

قدم أبو الطَّمْحَان القَيْنيُّ الشاعرُ، واسمه حنظلة بن الشَّرْقيّ، فاستجار عبدَ اللَّه بنَ جدعان التيميَّ ومعه مال له من الإبل، فعدا عليه قوم من بني سهم فانتحروا ثلاثة من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها فقال: أنتم لها ولأكثر منها أهْلٌ فأخذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زماناً ثم جلسوا على شراب لهم، فلما انتشَوْا غَدوْا على إبله فاستاقوها كلّها، فأتى عبدَ اللَّه بن جدعان يستصرخه، فلم يكن فيه ولا في قومه قوة ببني سهم، فأمسك عنهم ولم ينصره، فقال أبو الطمحان:

أَلَا حَـنَّـت الـمِـرْقَـالُ واشـتـاق رَبُّـهـا تَـذَكَّـرُ أزمـانـاً وأذكـر مَـعـشـري
ولـو عـلـمـتْ صَـرْفَ الـبُـيـوع لـسـرَّهـا بـمـكَّـة أن تـبـتـاع حَـمْـضـاً بـأَذْخَـرِ
أجـدَّ بـنـي الـشـرقـي أنَّ أخـاهـمُ مـتـى يَـعْـتـلـقْ جـاراً وإن عَـزَّ يَـغْـدِرِ
إذا قـلـتُ وافٍ أدركـتـه درُوكـه فـيـا مُـوزعَ الـجـيـران بـالـغَـيِّ أقْـصِـرِ
[الطويل]

ثم ارتحل عنهم ووفد لميس بن سعد البارقي مكة فاشترى منه أبيُّ بن خلف سِلعة، فظلمه إياها، فمشى في قريش فلم يُجره أحد فقال:

أيـظـلـمـنـي مـالـي أبَـيٌّ سـفـاهـةً وبَـغْـيـاً ولا قـومـي لـديَّ ولا صَـحْـبـي
ونـاديـت قـومـي بـارقـاً لـتـجـيـبـنـي وكـم دون قـومـي مـن فـيـافٍ ومـن سَـهْـبِ
[الطويل]

ثم قدم رجل من بني زُبيد، فاشترى منه رجلٌ من بني سهم يقال له حُذَيفة سلعة وظلمه حقه، فصعد الزُّبيديّ على أبي قُبَيس ثم نادى بأعلى صوته:

يـا آل فـهـر لِـمـظـلـوم بـضـاعـتُـه بـبـطـن مـكَّـة نـائـي الـحـيِّ والـنَّـفَـرِ
يـا آل فـهـر لـمـظـلـوم ومُـضـطـهَـدٍ بـيـن الـمـقـام وبـيـن الـرُّكْـنِ والـحَـجَـرِ

(١) الفيافي: مفردها الفيف وهي المفازة التي لا ماء فيها.
(٢) السَّهْب: الفلاة.

إن الـحـرام لِـمَـنْ تـمّـتْ حَـرَامـتُـه ولا حـرام لـثـوب الـفـاجـر الـغُـدرِ
[البسيط]

فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك وقال: يا قوم إني واللَّه لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة. فمشى إلى ابن جدعان وهو يومئذٍ شيخ قريش فقال له في ذلك وأخبره بظلم بني سهم وبغيهم، وقد كان أصاب بني سهم أمران لا يُشَكُّ أنهما للبغي: احتراقُ المقاييس منهم وهم قيس ومَقِيس وعبد قيس بصاعقة، وأقبل منهم ركب من الشام فنزلوا بماء يقال له القطيعة فصَبُّوا فضْلَةَ خمر لهم في إناء وشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية، فكرع منها حية أسود ثم تقيأ في الإناء، فهب القوم فشربوا منه فماتوا عن آخرهم، فأذكره هذا ومثْلَه. فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زُهرة وبنو تيم: باللَّه الغالب إنّا ليد واحدة على الظالم حتى يرد الحق، وخرج سائر قريش من هذا الحلف إلَّا أن ابن الزبير ادعاه لبني أسد في الإسلام.

قال فأخبرني الواقدي وغيره:

أن محمد بن جبير بن مطعم دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن حلف الفضول فقال: أَمَّا أنا وأنت يا أمير المؤمنين فلسنا فيه، فقال: صدقت واللَّه، إني لأعرفك بالصدق، قال: فإن ابن الزبير يدّعيه، فقال: ذاك هو الباطل.

قال: وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكَرَمِ حِلْفٍ لخرجت عن قومي إلى حلف الفضول.

قال الواقدي: قد اخْتُلف فيه لم سُمِّيَ حلفَ الفضول، فقيل: إنه سُمي بذلك لأنهم قالوا: لا ندع لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذناه منه، وقيل: بل سمع بهذا بعضُ من لم يدخل فيه فقال: هذا فُضول من الأمر.

وقال الواقدي: والصحيح أن قوماً من جرهم يقال لهم فضل وفُضالة وفَضَّال ومُفَضَّل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم، فلما تحالفت قريش هذا الحلف سُمُّوا بذلك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صـوت

يـا لَـلـرِّجـال لـمـظـلـوم بـضـاعـتُـه بـبـطـن مـكَّـةَ نـائـي الـدار والـنَّـفَـرِ

إن الـحـرام لِـمَـنْ تـمّـتْ حَـرَامـتُـه ولا حـرام لـثـوبـيْ لابـس الـغَـدرِ
[البسيط]

غناه ابن عائشة ثقيل أول بالبنصر عن حبش.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا المدائني، عن ابن أبي سيرة، عن لقيط بن نصر المُحاربي قال:

كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنين، وأظهر الفَتْك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سَرْجُونَ النصراني مولاه والأخطل وكان يأتيه من المغنيين سائبُ خاثرٍ فيقيم عنده، فيخلع عليه ويصله، فغناه يوماً:

يـا لـلـرجـال لـمـظـلـوم بـضـاعـتـه بـبـطـن مـكـة نـائـي الأهـل والـنـفَـر

فاعترته أريحية، فرقص حتى سقط ثم قال: اخلعوا عليه خِلَعاً يغيب فيها حتى لا يُرى منه شيء، فطُرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخَزُّ حتى غاب فيها.

صـوت

إشـرب هـنـيـئـاً عـلـيـك الـتـاجُ مُـرْتـفِـقـاً فـي رأس غُـمْـدان داراً مـنـك مِـحْـلَالا
تـلـك الـمـكـارمُ لا قـعـبَـانِ مـن لَـبَـنٍ شـيـبـا بـمـاء فـعـادا بَـعْـدُ أبـوالا
[البسيط]

عروضه من البسيط، المرتفق: المتكئ على مرفقه، وغُمدان: اسم قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن، والمحلال: الدار التي يحلّ فيها أي يقيم فيها، وشيبا معناه: خلطا، والشَّوْبُ: الخلط، يقال: شاب كذا بكذا إذا خلطهما.

الشعر لأمية بن أبي الصَّلْت الثقفي، وقيل: بل هو للنابغة الجعديِّ، وهذا خطأ من قائله، وإنما أدخل النابغةُ البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين، والغناء لسائبِ خاثرٍ خفيف رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه، وفيه لطُوَيس لحنٌ من كتاب يونس الكاتب غير مُجَنَّس.

نسب أميَّة بن أبي الصّلت
وقدوم الحبشة إلى اليمن وطردهم

أبو الصَّلت عبدُ اللَّه بن أبي ربيعة بن عمرو بن عُقْدة بن عمرة بن عوف بن قَسيّ وهو ثقيف، شاعر من شعراء الجاهلية قديم، وهذا الشعر يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يُهَنّيه بذلك ويمدحه.

قدوم الحبشة إلى اليمن:

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستنجده عليهم أن ملكاً من ملوك اليمن يقال له ذو نُواس غزا أهل نَجران، وكانوا نصارى، فحصرهم، ثم إنه ظفر بهم فخدَّد لهم الأخاديد، وعَرَضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك، فحرقهم بالنار، وحرق الإنجيل وهدم بِيعتَهم، ثم انصرف إلى اليمن، وأفلت منه رجل يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس فركضه حتى أعجزهم في الرمل، ومضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه، ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران، ومن قتل من النصارى، وأنه خرب كنائسهم وبقر النساء، وهدم الكنائس بما فيها ناقوس يُضْرب به، فقال له قيصر: بَعُدَت بلادي عن بلادكم، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم، قال دوس ذو ثعلبان: فذاك إذاً، قال قيصر: إن هذا الذي أصنعه بكم أذلُّ للعرب أن يطأها سُودانٌ، ليس ألوانهم على ألوانهم، ولا ألسنتهم على ألسنتهم. فقال: الملكُ أنْظَرُ لأهل دينه، إنما هم خَوَلُه، فكتب إلى ملك الحبشة أن انصرْ هذا الرجل الذي جاء يستنصرني واغضبْ للنصرانية، فأوْطئ بلادهم الحبشة، فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة، فلما قرأ كتابه أمر أرْياطاً، وكان عظيماً من عظمائهم، أن يخرج معه فينصره، فخرج أرياط في سبعين ألفاً من الحبشة، وَقوَّد على جنده قُوَّاداً من رؤسائهم، وأقبل بفيله، وكان معه أبرهة بن الصباح، وكان في عهد ملك الحبشة إلى أرياط: إذا دخلت اليمن فاقتلّ ثُلث رجالها، وخرّب ثلث بلادها، وابعث إليّ بثلث نسائها، فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر، وعبر بهم حتى ورد اليمن، وقد قدَّم مُقَدّمات الحبشة، فرأى أهلُ اليمن جنداً كثيراً، فلما تلاحقوا قام أرياط في جنده خطيباً

فقال: يا معشر الحبشة، قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبداً، هذا البحر بين أيديكم إن دخلتموه غرقتم، وإن سلكتم البر هلكتم واتخذتكم العرب عبيداً، وليس لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم، فجمع ذو نواس جمعاً كثيراً، ثم سار إليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدوْلة للحبشة، فظفر أرياط، وقتل أصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه، فلما تخوّف ذو نواس أن سيؤسر ركض فرسَه واستعرض به البحر وقال: الموت بالبحر أحسنُ من إسار أسود، ثم أقحم فرسه لجة البحر فمضى به فرسه وكان آخر العهد به، ثم خرج إليهم ذو جَدن اليهودي في قومه، فناوشهم وتفرقت عنه همدان، فلما تخوّف على نفسه قال: ما الأمر إلا ما صنع ذو نواس، فأقحم فرسه البحر فكان آخر العهد به، ودخل أرياط اليمن فقتل ثُلثاً وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة، وخرب ثلثاً، وملك اليمن وقتل أهلها وهدم حصونها، وكانت تلك الحصون بنتها الشياطين في عهد سليمان لبلقيس واسمها بلقمة، وكان مما خرب من حصونهم سَلْحُون وبَيْنُونُ وغُمدانُ حصوناً لم يُرَ مثلها، فقال الحميريُّ وهو يذكر ما دخل على حمْيَر من الذل:

هَـوْنَـك أيـن تـردُّ الـعـيـنُ مـا فـاتـا لا تـهـلـكـنْ أسـفـاً فـي إثْـر مـن فـاتـا
أبـعـد بَـيْـنـون لا عـيـنٌ ولا أثَـرٌ وبـعـد سَـلْـحُـونَ يـبـني الـنـاس أبـيـاتـا

[البسيط]

قال: فلما ظفر أرياط أخذ الأموال وأظهر العطاء في أهل الشرف، فغضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم، وترك أهل الفقر منهم، واستذلهم وأجاعهم وأعراهم، وأتعبهم في العمل وكلفهم ما لا يطيقون، فجزع من ذلك الفقراء وشكا ذلك بعضهم إلى بعض وقالوا: ما نرانا إلا أذلة أشقياء أينما كُنّا، إن كان قتال قُدِّمْنا في نحور العدو، وإن كان قَتْلٌ قُتلنا، وإن كان عمل فعلينا، والبلايا علينا والعطايا لغيرنا مع ما يُقْصينا وَيَجفونا، فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال له أبرهة من قواد أرياط: لو أن رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأسلمتموه حتى يُذبح كما تُذبح الشاة، قالوا: لا والمسيح ما كنا نُسلمه أبداً، فواثقوه بالإنجيل ألَّا يُسلموه حتى يموتوا عن آخرهم، فنادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه، فبلغ ذلك أرياطَ أبا أصحم أن أبرهة جمع لك الجموع ودعا الناس إلى قتالك، قال: أوَقد فعل ذلك أبرهة وهو ممن لا بيت له في الحبشة؟ وغضب أرياط غضباً شديداً وقال: هو أدنى من ذلك نفساً وبيتاً، هذا باطل، قالوا: فأرْسلْ إليه، فإن أتاك فهو باطل، وإن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال، فأرسل إليه: أجب الملك أرياط، فجثا أبرهة على ركبتيه وخرّ لوجهه، وأخذ عُوداً من الأرض

فجعله في فيه وقال للرسول: اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيت مني، أنا أخلعه؟ أنا أشد تعظيماً له من ذلك، وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة. فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بالخبر فقال: ألم أقل لكم؟ قالوا: الملك أعقل وأعلم منا، فلما ولّى الرسول من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة، فاجتمعوا إليه معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن: المعاول والكَرَازين والمَسَاحي، ثم صَفُّوا صفّاً وصفّوا خلفه آخر بإزائه، فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال، وأتى الرسول أرياطَ فأخبره بما صنع أبرهة ـ ركب في الملوك ومن تبعه من أتباعهم فلبسوا السلاح وجاؤوا بالفيلة، وكان معه سبعة فيلة، حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهةُ بين الصفين فنادى بأعلى صوته: يا معشر الحبشة، اللَّه ربنا، والإنجيل كتابنا، وعيسى نبينا، والنجاشي ملكنا، علام يقتل بعضُنا بعضاً في مذهب النصرانية، هذا رجل وأنا رجل فخلُّوا بيني وبينه، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء، وإن قتلتُه سلمتم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت فقال الملوك لأرياط: قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى وقد أبيت إلا حُسْنَ الرأي فيه، وقد أنصفك، وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة، وكان جميلاً، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً مُنْكر الجُمّة، فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن، فبرز بين الصفين، ومشى أحدهما إلى صاحبه، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهةَ ضربةً وقع منها حاجباه وعامَّةُ أنفه، ووقع بين رجليْ أرياط، فعمد أبرهةُ إلى عِمامته فشد بها وجهه، فسكن الدم والتأمَ الجرح، وأخذ عموداً وجعله في فيه وقال: أيها الملك، إنما أنا شاة فاصنع ما أردت فقد أبصرت أمري، ففرح أرياط بما صنع، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً وجعله في بطن فخذه كأنه خافية نَسْرٍ، فلما رأى أبرهة أن أرياط قد أفلت عنه وهو ينظر يميناً وشمالاً لئلا تراه ملوك الحبشة استلّ خنجره فطعنه في فَرْج درعه فأثبته وخرّ أرياط على قفاه وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه، فسُمّي أبرهة الأشرمَ بتلك الضربة التي شَرَمت وجهه وأنفه.

فملك أبرهة عشرين سنة، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يَكْسوم، ثم ملك بعد بكيوم أخوه مسروق بن أبرهة، وأمه ريحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن ذي يزن الحميري [فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري] فكلموه في الخروج وقالوا: إنّا نجد فيما روت حمير عن خبر لسَطِيح أنه يوشك أن البلاء يُفرج بيد رجل من أهل بيتك ابنٍ من ذي يزن، وقد رجونا أن ندرك بثأرنا،

فأنعم لهم[١]، فخرج إلى قيصر ملك الروم فكلمه أن ينصره على الحبشة، فأبى وقال: الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين يهود، فخرج من عنده يائساً فخرج عامداً إلى كسرى، فانتهى إلى النُّعمان بن المنذر بالحيرة، فدخل عليه فأخبره بما لقي قومُه من الحبشة، فقال: أقم فإن لي على الملك كسرى إذْناً في كلّ سنة، وقد حان ذلك، فلما خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كسرى، فقال: غُلبْنَا على بلادنا وغَلَب الأحابيشُ علينا، وأنا أقرب إليك منهم، لأني أبيض وأنت أبيض، وهم سودان، فقال: بلادك بلاد بعيدة، ولا أبعث معك جيشاً في غير منفعةٍ ولا أمرٍ أخافه على ملكي، فلما أيأسه من النصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ وكساه كُساً، فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصبيان والعبيد، فرأى ذلك أصحابُ كسرى فقالوا ذلك له، فأرسل إليه: لم صنعت بجائزة الملك؟ تنثرها للصبيان والناس؟ فقال سيف: وما أعطاني الملك؟ جبالُ أرضي ذهب وفضة، جئت إلى الملك ليمنعني من الظلم، ولم آته ليعطيني الدراهم، ولو أردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيراً فقال كسرى: انظر في أمرك، فخرج سيف على طمع، وأقام عنده فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له، فجمع له كسرى مَرازبته[٢] وقال: ما ترون في هذا العربي وقد رأيته رجلاً جَلْداً؟ فقال قائل منهم: إن في السجون قوماً قد سجنهم الملك في مُؤاخذة عليهم، فلو بعثهم الملك معه، فإن قُتلوا استراح منهم، وإن ظَفروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في مُلْك المَلك، فقال كسرى: هذا الرأي. وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل، فولى أمرهم رجلاً معهم يقال له وَهْرِزُ، وكان رامياً شجاعاً مع مَكَانه في الفرس، وجهزهم وأعطاهم سلاحاً، وحملهم في البحر في ثمان سفن، فغرقت سفينتان وبقي من بقي وهم ستمائة رجل، فأرسَوْا إلى ساحل عَدن، فلما أرسوا قال وهرز لسيف: ما عندك فقد جئنا بلادك؟ فقال: ما شئت من رجل عربي وفرس عربي، ثم اجْعَلْ رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً. قال وهرز: أنصفت، فاستجلب سيف من استطاع من اليمن ثم زَحَفوا إلى مسروق بن أبرهة، وقد سمع بهم مسروق وبدنوِّهم وتعْبيتهم، فجمع إليه جنده من الحبشة وسار إليم، والتقى العسكران، وجعلت أمدادُ اليمن تثوب إلى سيف، وبعث وهرزُ ابناً له كان معه على جَريدة خيلٍ فقال: ناوِشْهُم القتالَ حتى تنظر

(١) أنعم لهم: أجابهم بقوله نعم.

(٢) المرازبة: مفردها المرزبان وهو الرئيس من الفُرس.

قتالهم، فناوشهم ابنه وناوشوه شيئاً من قتال، ثم تورّط ابنُه في هَلَكة لم يستطع التخلص منها، فاشتملوا عليه فقتلوه، فازداد وهرز عليهم حنقاً، وسيء العربُ وفرحت الحبشة فأظهروا الصليب، فوتّر وهرزُ قومَه وكان لا يقدر أحد أن يُوَتِّرها غيره، وقال وهرز والناس في صفوفهم: انظروا أين ترون ملكهم. قال سيف: أترى رجلاً قاعداً على فيل تاجُه على رأسه، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء؟ قال [نعم، قال] ذلك ملكهم، قال وهرز: اتركوه، ثم وقف طويلاً ثم قال: انظروا هل تحول؟ قالوا: قد تحول على فرس، قال: هذا منه اختلاط، ثم وقف طويلاً وقال: انظروا هل تحول، قالوا: قد تحول على بغلة فقال: ابنةُ الحمار، ذلّ الأسودُ وذلَّ ملكه، ثم قال لأصحابه: نقتله في هذه الرمية، تأمَّلوا النُّشَّابة وأخذ النشَّابة وجعل فُوقَها في الوتر، ثم نزع فيها حتى مَلأها، وكان أيِّداً[١]، ثم أرسلها، فصكَّت الياقوتةَ التي بين عيني ملكهم مسروق، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه. وحملت عليهم الفرس، فانهزمت الحبشة في كل وجه، [وجعلت الحبشة تفرّو] حمير تقتل من أدركوا منهم وتُجهز على جريحهم.

وأقبل وَهْرز يريد أن يدخل صنعاء، وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء، وكان اسم صنعاء: أزال، فلما قدمت الحبشة ـ بنوها وأحكموها فقالت: صنعة فسميت صنعاء، وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه، فلما دنا وَهْرز من باب المدينة رآه صغيراً فقال: لا تدخل رايتي مُنَكَّسة اهدمُوا الباب، فهُدم بابُ صنعاء، ودخل ناصباً رايته وسيَّرها بين يديه، فقال سيف بن ذي يزن: ذهب مُلك حمير آخر الدهر لا يرجع إليهم أبداً، فملك وَهْرز اليمن وقهر الحبشة، وكتب إلى كسرى يخبره أني قد ملكت للمَلك اليمن، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم، وبعث بجوهر وعنبر ومال وعُود وزَبَاد[٢] وهو جلود لها رائحة طيبة، فكتب كسرى يأمره أن يُملك سيفاً ويقدمَ وهرزُ إلى كسرى، فخلّف على اليمن سيفاً، فلما خلا سيف باليمن ومَلَكها عَدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونها حتى أفناها إلا بقايا منها أهلَ ذلَّة وقلَّة، فاتخذهم خَوَلاً[٣]، واتخذ منهم جَمَّازين[٤] بحرابهم بين يديه، فمكث كذلك غير كثير، وركب يوماً وتلك الحبشة معه

(١) الأيِّد: القوي.
(٢) الزَّباد: ضرب من الطيوب.
(٣) الخَوَل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية.
(٤) الجمَّاز: الوثَّاب.

ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه، حتى إذا كان وسطاً منهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه.

وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من الحبشة، فجُعلت له حُلَّتان واسعتان، فَاتَّزَر بواحدة وارتدى الأُخرى، وجلس على رأس غُمْدان يشرب، وبرَّت يمينه وخرج بعد ذلك يتصيَّد فقتله الحبشة.

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة، وملك يَكْسوم تسع عشرة سنة، وملك مَسروق اثنتي عشرة سنة، فهذه أربعة وسبعون سنة، وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجَار بعشر سنين، وقبل بنيان قريش البيتَ بخمس سنين، ورسول اللَّه ﷺ ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها، لأن رسول اللَّه ﷺ وُلد بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة.

ونسخت خبر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان قال: حدثنا الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وحدثني به محمد بن عمران المؤدّب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه، فاعتمدت هذه الرواية، قال:

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين، أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنيه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، فأتته وفود العرب من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس، وخُويلد بن أسد، في ناس من وُجُوه قريش، فأتوه بصنعاء وهو في رأس قصر له يقال له غُمدان، فأخبره الآذن بمكانهم فأذن لهم، فدخلوا عليه وهو على شرابه، وعلى رأسه غلام واقف ينثر في مَفْرقه[١] المسْك، وعن يمينه ويساره الملوك والمَقَاول[٢]، وبين يديه أمية بن أبي الصلت الثقفي يُنشده قوله فيه هذه الأبيات:

لا يطلب الثأر إلَّا كابن ذي يزن ... في البحر خَيَّمَ للأعداء أحوالا
أتى هرَقْلَ وقد شالت[٣] نعامَتُه ... فلم يَجدْ عنده النصر الذي سَالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يُهين النفسَ والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يَقْدُمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
للَّه دَرُّهُمُ من فتية صُبُرٍ ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا

(١) المفْرَق: الشعر في مقدم رأسه.
(٢) المقاول: مفردها المقول وهو المستشار الذي يعطي رأيه فَيُنفَّذ.
(٣) شالت نعامَته: خفَّ وغضب ثم سكن.

بيض مرازبةٍ غُلْبٍ أساورةٍ أسْد تُرَبِّتُ في الغَيْضَات أشبالا
فالتَطَّ[١] بالمسك إذا شالتْ نعامتهم وأسْبِلِ اليوم في بُرْديك إسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاج مُرْتَفقاً في رأس غُمدانَ داراً منك مِحْلَالا
تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لبنٍ شيبا بماء فعادا بعدُ أبْوالا

[البسيط]

بنو الأحرار الذي عناهم أميةُ في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وهم إلى الآن يُسمَّوْن بني الأحرار بصنعاء، ويسمون باليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخَضارمة، وبالشام الجراجمة.

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: إن كنتَ ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذِنَّا لك، فقال عبد المطلب: إن اللَّه قد أحلَّك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً، شامخاً باذخاً، وأنبتك مَنْبَتاً طابت أرومته، وعزَّت جُرثومته، في أكرم موطن، وأطيب معدن، فأنت ـ أبيتَ اللَّعْنَ ـ ملكُ العرب وربيعها الذي به تُخْصِب، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، فسلفك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلم يَخْمُل من أنت خَلَفُه، ولن يَهْلك من أنت سَلَفه، نحن أهل حرم اللَّه وسدنة بيته، أشخَصَنَا[٢] إليك الذي أبهَجَنا لكشفك الكرب الذي فَدَحَنا، فنحن وفود التهنئة لا وفود المَرْزِئَة، قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابنُ أختنا؟ قال: نعم، فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه، ثم أقبل على القوم وعليه فقال: مرحباً وأهلاً، وناقَةً ورَحْلاً، ومُستناخاً سهلاً، ومَلِكاً رِبَحْلاً[٣] يعطى عطاء جَزْلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقَبلَ وسيلتكم، وأنتم أهل الشرف والنباهة، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحبَاء إذا ظَعَنْتم.

ثم استُنْهضوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الانصراف، وأجرى لهم الأنزال، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه وأخلى مجلسه، ثم قال: يا عبد المطلب، إني مُفَوِّض إليك من سرّ علمي أمراً لو يكون غيرك لم أبح به إليه، ولكني رأيتك مَوْضِعه فأطلعتك طِلْعَه،

(١) التَطَّ: تلطَّخ.
(٢) أشْخَصَ: أحضر شخصياً.
(٣) رِبَحْلاً: الرِّبحل هو التامّ الخلق، أو العظيم الشأن من النَّاس والإبل.

فليكن عندك مَطْوياً حتى يأذن اللَّه فيه فإن اللَّه بالغُ أمرِه، إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة؛ قال عبد المطلب: مثلُك أيها الملك من سَرَّ وبَرَّ، فما هو فداك أهل الوبر، زُمَراً بعد زُمَر؟ قال ابن ذي يزن: إذا وُلد غُلامٌ بِتهامة، بين كتفيه شَامَة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة، قال عبد المطلب: أيها الملك لقد أنبْتُ بخير ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإكرامُه وإعظامه لسألته أن يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً، قال ابن ذي يزن: هذا حِينه الذي يُولد فيه أوْ قد وُلدَ، اسمه محمد ﷺ، يموت أبوه وأمه، ويكفُلُه جَدُّه وعَمه، قد ولداه سراراً، واللَّه باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يُعزّ بهم أولياءَه ويُذِلّ بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عُرْض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يُخمد النيران، ويَدحر الشيطان، ويَكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله فَصْل، وحكمه عَدل، يأمر بالمعروف ويَفعله، وينهى عن المنكر ويُبطله؛ فقال عبد المطلب: أيها الملك عزّ جَدُّك وعلا كعبك، ودام مُلكك، وطال عمرك، فهل الملك مُخبري بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح، فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحُجُب، والعلاماتِ على النُّصُب، إنك يا عبد المطلب، لَجدُّه غيرُ الكَذِب، فخر عبد المطلب ساجداً، فقال له: ارفع رأسَك، ثَلجَ صدرُك، وعلا أمرُك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرته لك؟ فقال عبد المطلب: أيها الملك، كان لي ابن وكنت به معجباً، وعليه رفيقاً، زوجته كريمة من كرائم قومي اسمها آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميته محمداً، مات أبوه وأمه، وكَفَلْته أنا وعمه؛ قال: الأمر ما قلت لك، فاحتفظ بابنك، واحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء، ولن يجعل اللَّه لهم عليه سبيلاً، واطْوِ ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لا آمن أن تدخلهم النَّفَاسة[1]، من أن تكون له الرِّياسة، فينصبون له الحبائل ويطلبون له الغوائل، وهم فاعلون وأبناؤهم، وبَطيءٌ ما يجيبُه قومُه، وسيلقى منهم عَنَتاً، واللَّهُ مُبْلِغ حجَّته، ومظهر دعوته، وناصر شيعته، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي وَرَجلي حتى أُصَيِّر بيثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب المكنون أن بيثرب استحكامَ أمرِه وأهلَ نُصْرته وموضَع قبره، ولولا أني أتوَقَّى عليه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنِّه أمْرَه، ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير مني بمن معك.

(١) النفَّاسَة: العين الحاسدة.

قال: ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعْبُدٍ وعشر إماء ومائة من الإبل وحُلَّتين بُروداً وخمسة أرطال [ذهباً وعشرة أرطال] فضة وكرش[١] مملوءة عَنبراً، ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: يا عبد المطلب. إذا حال الحول فأتني، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يَغْبِطْني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى نَفَاد، ولكن ليغبطْني بما بقي لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة، فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأ ما أقول ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أميّة بن عبد شمس:

جلبْنَا النُّصْحَ تحمله المطايا إلى أكوار أجمال ونُوقِ
مُغَلْغَلةً مرافِقُها ثقالاً إلى صنعاءَ من فَجٍّ عَميقِ
تؤُمُّ بنا ابنَ ذي يَزَنٍ ونُهدي مَخَالِيَها إلى أُمِ الطريقِ
فلما وافقتْ صنعاءَ صارتْ بدار المُلْك والحَسَبِ العريقِ

[الوافر]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز قال: حدثني عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن خرداذبة قال:

كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكيّ أحد القوّاد مع طاهر بن الحسين بن عبد اللَّه بن طاهر، فكان معه بالرّيّ، وكان مع محله من خدمة السلطان مُغَنِّياً حسن [الصوت و]الغناء، وله صنعة، فحضر مجلس طاهر بن عبد اللَّه وهو مُتنزِّه بظاهر الريّ بموضع يعرف بشَاذَ مِهْرَ، وقيل: بل حضره بقصره بالشاذِيَاخ فغنّى هذا الصوت:

إشرب هنيئاً عليك التّاجُ مُرتفقاً في رأس غمدان. . . . . .

(البيت)، فقال ابن عبَّاد الرازي في وقته من الشعر مثل ذلك المعنى، وصنع فيه، وغنّى فيه أحمد بن سعيد لحناً من خفيف الرمل وهو:

صوت

إشرب هنيئاً عليك التّاجُ مرتفقاً بالشاذياخ[٢] ودعْ غُمْدان لليَمَنِ

(١) الكرش: وعاء يوضع فيه الطيب.
(٢) الشاذياخ وغمدان: موضعان.

فـأنـت أولـى بـتـاج الـمـلـك تَـلْـبَـسـه مـن هَـوْذَةَ بـنِ عـلـيٍّ وابـنِ ذي يَـزنِ
[البسيط]

فطرب طاهر فاستعاده مرات، وشرب عليه حتى سكر، وأسنى لأحمد بن سعيد الجائزة.

هوذة بن علي ويوم الصفقة

أما ذكره هوذة بن عليّ ولبسه التاج فإن السبب في ذلك أن كسرى تَوَّج هَوذة بن عليّ الحنفيّ، وضمّ إليه جيشاً من الأساورة، فأوقع ببني تميم يوم الصَّفْقَة.

أخبرني بالسبب في ذلك علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا ابن حبيب ودماذ عن أبي عبيدة. قال ابن حبيب: قال أبو سعيد: وأخبرنا إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة. قال ابن حبيب: وأخبرني ابن الأعرابي عن المفضل، قال أبو سعيد: قالوا جميعاً:

كان من حديث يوم الصَّفْقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عِيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن ومسكاً وعنبراً وخُرْجَيْن فيهما مناطقُ مُحَلّاة، وخفراءُ تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجُعَيد المُراديُّون، فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد، حتى إذا كان بِحَمَض من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جُعيد والأساورة واقتسموها، وكان فيمن فعل ذلك: ناجيةُ بن عِقال، وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، وقَعْنب بن عتَّاب، وجَزْء بن سعد، وأبو مليل عبد اللَّه بن الحارث، والنَّطِف بن جبير وأسيد بن جُنادة، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجر مع كزارجر المُكَعْبِر فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع، فصادفوهم على حَوْض، فقاتلوهم قتالاً شديداً فهُزِمت الأساورة وقُتِلوا قتلاً شديداً ذريعاً، ويومئذٍ أخذ النَّطفُ الخُرْجَين اللَّذين يضرب بهما المثل، فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً، وأمر بالطعام فادُّخر بالمُشقَّر ومدينة اليمامة، وقد أصابت الناسَ سنةٌ شديدة، ثم قال: من دخلها من العرب فأميروه[1] ما شاء، فبلغ ذلك الناسَ فأتوه. قال: وكان أعظمَ من أتاها بنو سعد، فنادى منادى الأساورة: لا يدخلها عربيٌ بسلاح، فأقيم بوَّابون على باب المُشَقَّر، فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا: ضعْ سلاحك وامْتَرْ واخرج من الباب الآخر، فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله، فيزعمون أن خَيْبريّ بن عُبادة بن النوال بن مرة بن عبيد وهو مقاعس قال:

(١) أميروه: أعطوه الميرة.

يا بني تميم ما بعد السَّلْب إلا القتل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون. فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم، فقتلوا بعضاً وتركوا بعضاً مُحَبَّسين عندهم.

هذا حديث المفضل، وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حمَّاد الراوية.

فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بِعِير، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نبعاً[١] فكانت تُبَذْرَقُ[٢] من المدائن حتى تدفع إلى النعمان ويُبَذْرِقُها النعمانُ بخفراء من بني رَبيعة ومضر حتى يدفعها إلى هَوْذَة بن عليٍّ الحنفي، فيُبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ثم تدفع إلى سَعْد وتجعل لهم جِعَالة[٣] فتسير فيها فيدفعونها إلى عمال باذام باليمن، فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة بن علي للأساورة: انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه فأنا أكفيكم أمرهم وأسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمنكم، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم من هَجَر، حتى إذا كانوا بنَطَاع[٤] بلغ بني سعد ما صنع هوذةُ، فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه، وقتلوا عامة الأساورة وسلبوهم، وأسروا هوذة بن عليّ فاشترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هجر فأخذوا منه فداءه، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد:

ومـنَّـا رئـيـسُ الـقـوم لـيـلـة أدلـجـوا بِـهَـوْذَةَ مـقْـرُونَ الـيـديـن إلـى الـنَّـحْـرِ
ورَدْنَـا بـه نـخْـلَ الـيـمـامـة عـانـيـاً عـلـيـه وَثَـاقُ الـقِـدِّ والـحَـلَـقِ الـسُّـمْـرِ

[الطويل]

فعمد هوذة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد وكانوا قد سُلبوا فكساهم وحملهم، ثم انطلق معهم إلى كسرى، وكان هوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً، فدخل عليه فقصّ أمر بني تميم وما صنعوا، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه إياها، وكساه قَبَاءَ ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ وقَلَنْسُوة قيمتها ثلاثون ألف درهم وهو قول الأعشى:

لـه أكـالـيـل بـالـيـاقـوت فـصَّـلَـهـا صـوَّاغُـهـا لا تـرى عَـيْـبـاً ولا طَـبَـعَـا

[البسيط]

(١) النَّبَع: شجر تتخذ منه القسي والسهام.
(٢) تَبَذرَق: تخفَّر.
(٣) الجعَالة: ما يجعل لقاء العمل.
(٤) النَّطَاع: ماء لبني تميم.

وذُكِرَ أن كسرى سأل هوذة عن ماله ومعيشته، فأخبره أنه في عيش رغد، وأنه يغزو المغازي فيصيب، فقال له كسرى في ذلك: كم ولدك؟ قال: عشرة، قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: غائبهم حتى يَقْدم وصغيرهم حتى يَكْبَر، ومريضهم حتى يبرأ، قال كسرى: الذي أخرج منك هذا العقل حملك على أن طلبت مني الوسيلة، وقال كسرى لهوذة: رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي؟ أبينك وبينهم صلح؟ قال هوذة: أيها الملك بيني وبينهم حَسَاءُ الموت وهم قتلوا أبي، فقال كسرى: قد أدركتَ ثأرك فكيف لي بهم؟ قال هوذة: إن أرضهم لا تُطيقها أساورتك وهم يمتنعون بها، ولكن احبسْ عنهم المِيْرَة، فإذا فعلتَ ذلك بهم سنة أرسلتَ معي جنداً من أساورتك، فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها. فتصيبهم عند ذلك خيلُك. ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الأسواق في سنة مُجدبة ثم سَرَّح إلى هوذة فأتاه، فقال: ائت هؤلاء فاشفني منهم واشتف وسرَّح معه جوار يودار رجُلاً من أرْدَشِيرْ خُرَّه فقال لهوذة: سر مع رسولي هذا، فسار في ألف أسْوَارٍ حتى نزلوا المُشقَّر من أرض البحرين، وهو حصن هجر، وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه فدنَوْا من حيطان المشقر، ثم نُودي: إنَّ كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر لكم بِمِيرة فتعالَوْا فامتاروا، فانصبَّ عليهم الناس، وكان أعظمَ من أتاهم بنو سعد، فجعلوا إذا جاؤوا إلى باب المشقر أُدخلوا رجلاً رجلاً حتى يُذهب به إلى المكعبر فتُضْرب عنقُه، وقد وُضع سلاحه قبل أن يدخل، فيقال له: ادخلْ من هذا الباب واخرج من الباب الآخر، فإذا مرَّ رجل من بني سعد بينه وبين هوذة إخاء أو رجل يرجوه قال للمكعبر: هذا من قومي فيخليه له، فنظر خَيْبريُّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون وتُؤخذ أسلحتهم وجاء ليمتار، فلما رأى ما رأى قال: ويلكم أين عقولكم، فواللَّه ما بعد السلب إلا القتل، وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يقال له مَصَاد، وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الأساورة قابض عليها، فضربها فقطعها ويدَ الأسوار، فانفتح الباب فإذا الناس يُقْتلون، فثارت بنو تميم، ويقال: إن الرجل الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال له عُبيد بن وهب، فلما علم هوذة أن القوم قد نَذِروا به أمر المكعبر فأطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة، فتبعتهم بنو سعد والرباب فقُتل بعضهم وأفلت من أفلت.

صـوت

إذا سـلـكـتْ حَـوْرَانَ[١] مـن رمـل عَـالِـجٍ فـقـولا لـهـا لـيـس الـطـريـق هُـنـالـكِ
دَعُـوا فَـلَـجاتِ[٢] الـشـام قـد حِـيل دونـهـا بـضَـرْبٍ كـأفـواه الـعِـشَـار الأوارِكِ[٣]

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر.

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقريش حين تركت الطريق الذي كانت تسلكه إلى الشام بعد غزوة بدر، واستأجرت فُرات بن حَيَّان العِجْلي دليلاً، فأخذ بهم غيرها، وبلغ النبيَّ ﷺ الخبرُ فأرسل زيد بن حارثة في سَرِيَّة إلى العِير فظفر بها وأعجزه القوم.

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي قال:

كان سبب هذه الغزوة أن قريشاً قالت: قد عَوَّر علينا محمد مَتجرنا وهو على طريقنا، وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا، فقال زمعة بن الأسود وأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النَّجْديَّة، ولو سلكها مُغَمض العين لاهتدى، فقال صفوان: من هو؟ قال: فرات بن حَيَّان العجْلي، فاستأجراه، فخرج بهم في الشتاء، فسلك بهم على ذات عِرْق ثم سلك بهم على غَمْرَة، فانتهى إلى النبي ﷺ خبرُ العير وفيها مال كثير وآنية من فضة حملها صفوان بن أمية، فخرج زيد بن حارثة فاعترضها، فظفر بالعير وأفلت أعيان القوم، وكان الخُمسُ عشرين ألفاً، فأخذه رسول اللَّه ﷺ وقسم الأربعة الأخماس على السَّرِيَّة، وأُتِي بفرات بن حيان العجْليّ أسيراً، فقيل له: إن أسلمتَ لم يقتلك رسول اللَّه ﷺ، فلما دعا به رسول اللَّه ﷺ أسلم فأرسله.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حُميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق في خبر هذه السرية بمثل رواية الواقدي وزاد فيها فيما رواه:

---

(١) حوران: جبل بنواحي دمشق.
(٢) الفَلَجات: الأودية والأنهار الصغيرة.
(٣) الأوارك: الإبل التي تغذى على الأراك.

أن قريشاً لما خافت طريقها إلى الشام أخذت على طريق العراق، وذكر أن الوقعة كانت على القردة ماء من مياه نجد.

أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يعقوب بن محمد الزُّهْري قال:

كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك: إن رأى أميرُ المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم، فكتب: إن رضي بذلك آل الزبير فافعل، فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى مناديه ببني مخزوم، فناداه عثمان بن عروة وقال:

إذا هبطتْ حَوْرَان من أرض عالجٍ فقولا لها ليس الطريق هُنالِكِ

[الطويل]

فأمر مناديه فنادى ببني أسد بن عبد العُزَّى ثم مضى على الدعوة.

حدثني محمد بن عبد اللَّه الحضرمي إجازة قال: حدثنا ضِرار بن صُرَد قال: حدثني عليّ بن هشام، عن عمَّار بن زُريق، عن أبي إسحاق عن عديّ بن حاتم أن النبي ﷺ أُتيَ بفراتِ بن حَيَّان، فقال: إني مسلم، فقال لعلي صلوات اللَّه عليه: إنَّ منكم من أكِلُه إلى إيمانه، منهم فرات بن حَيَّان، وأقطعه أرضاً بالبحرين تُغلُّ ألفاً ومائتين.

حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عبيد اللَّه بن عتبة قال: حدثنا موسى بن زياد الزيات قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضَرِّب.

عن أمير المؤمنين عليّ صلوات اللَّه عليه قال: أُتي النبيُّ ﷺ بفرات بن حَيَّان يوم الخندق، وكان عيناً للمشركين، فأمر بقتله فقال: إني مسلم فقال: إن منكم من أتألّفه على الإسلام وأكِله إلى إيمانه منهم، فرات بن حَيَّان.

صوت

إذا المرءُ لم يَطلبْ معاشاً لنفسه شكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرَا

وصار على الأدْنَيْن كَلّاً وأوشكَتْ صِلاتُ ذوي القربى له أن تَنَكَّرَا

فَسِرْ في بلاد اللَّه والْتمسِ الغِنَى تَعِشْ ذا يَسَارٍ أو تموتَ فتُعْذَرَا

ولا تَـرْضَ مــن عــيــشٍ بــدُونٍ ولا تَــنَــمْ وكـيـف يـنـام الـلـيـل مـن كـان مُـعْـسـرَا

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لأبي عَطاء السندي، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو الثانية.

ذكر أبي عطاء السندي

أبو عَطاء اسمه أفلح بن يَسَار، مولى بني أسد ثم مولى عمرو بن سِمَاك بن حُصين الأسدي، منشؤه الكوفة، وهو من مُخضرمي الدولتين، مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سِنْديّاً أعجميّاً لا يُفصح، وكان في لسان أبي عطاء لُكْنة شديدة ولُثغة، فكان لا يُفصح. وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنّى به وقال: قد جعلتك ابني وسميتك بكنيتي، فكان يُروّيه شعره، فإذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله. وكان ابن كناسة يذكر أنه كاتَبَ مَواليَهُ وأنهم لم يُعْتقوه.

أخبرني بذلك محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن ابن كناسة قال:

كثُر مالُ أبي عطاء السنديّ بعد أن أُعتق فأعْنَتَه مَواليه وطمعوا فيه وادّعوا رِقّه، فشكا ذلك إلى إخوانه فقالوا له: كاتِبْهُم فكاتبوه على أربعة آلاف درهم، وسعى له أهل الأدب والشعر فيها، فتركهم وأتى الحُرَّ بن عبد اللَّه القُرشي، وهو حليف لقريش لا من أنْفُسهم فقال فيه:

أتيتُك لا من قُرْبة هي بيننا ... ولا نعمةٍ قدَّمْتُها أسْتثِيبُها
ولكنْ مع الراجين أنْ كنتَ مَوْرداً ... إليه بُغاةُ الدَّيْنِ تَهْفُو قُلوبُها
أغثني بسَجْلٍ من نداك يَكُفُّني ... وقاك الرَّدى مُرْدُ الرجال وشيبُها
تَسمَّى ابنُ عبد اللَّه حُرّاً كوصْفه ... وتلك العُلا يُعْنَى بها من يُصِيبُها

[الطويل]

فأعطاه أربعة آلاف درهم، فأدَّاها في مكاتبته وعتَقَ.

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان أبو عطاء السندي يجمع بين لُثْغة ولُكْنة، وكان لا يكاد يُفْهَم كلامُه، فأتى سليمان بن سُليم فأنشده:

أعوزتْني الرواةُ يا ابن سُلَيْم ... وأَبَى أَنْ يقيم شعري لساني
وغَلَى بالذي أجمجم صدريً ... وجفاني لعُجْمتي سلطاني

وازدرتـني الـعـيـونُ إذ كـان لـونـي ... حـالـكـاً مُـجْـتَـوًى[1] مـن الألـوانِ
فـضـربـت الأمـور ظَـهْـراً لِـبَـطْـنٍ ... كـيـف أحـتـال حـيـلـةً لـلـسـانـي
وتـمـنّـيـت أنـنـي كـنـت بـالـشـعـ ... ـر فـصـيـحـاً وبـان بـعـضُ بـنـانـي
ثـم أصـبـحـت قـد أنـخْـتُ رِكـابـي ... عـنـد رَحْـبِ الـفِـنـاء والأعْـطَـانِ
فـاكْـفِـنـي مـا يـضـيـق عـنـه رُواتـي ... بـفـصـيـحٍ مـن صـالـحـي الـغِـلْـمـانِ
يُـفْـهِـم الـنـاسَ مـا أقـول مـن الـشـعـ ... ـر فـإن الـبـيـان قـد أعـيـانـي
فـاعْـتَـمِـدْنـي بـالـشـكـر يـا ابـن سُـلَـيْـم ... فـي بـلادي وسـائـر الـبُـلْـدانِ
سـتُـوافـيـهـمُ قـصـائـدُ غُـرٌّ ... فـيـك سَـبَّـاقـةٌ لـكـلِّ لـسـانِ
فـقـديـماً جـعـلـتُ شـكـري جـزاءً ... كـلَّ ذي نـعـمـة بـمـا أولانـي
لـم تَـزَلْ تـشـتـرى الـمـحـامـد قِـدْماً ... بـالـرَّبِـيـح الـغـالـي مـن الأثـمـانِ

[الخفيف]

فأمر له بوصيف[2] بَربريّ فصيح، فسماه عطاء وتكنّى به وروَّاه شعره، فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يَجْتدِيه أو مذاكرةً لشعره أنشده.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا ثعلب، عن أبي العالية الحُرّ بن مالك الشامي قال:

لما أثرى أبو عطاء أعْنَتَه مولاه عَنْبرُ بن سِماك الأسديّ حتى ابتاع نفسه منه فقال يهجوه:

إذا مـا كـنـتَ مُـتّـخـذاً خـلـيـلاً ... فـلا تَـثِـقَـنْ بـكـلّ أخـي إخـاءِ
وإنْ خُـيِّـرْتَ بـيـنـهُـمُ فـألْـصِـقْ ... بـأهـل الـعـقـل مـنـهـم والـحـيـاءِ
فـإن الـعـقـل لـيـس لـه إذا مـا ... تُـذُوكـرت الـفـضـائـلُ مـن كِـفَـاءِ
وإنْ الـنَّـوْك[3] لـلأحـسـاب غُـول[4] ... بـه تَـأوِي إلـى داءٍ عَـيَـاءِ
فـلا تَـثِـقَـنْ مـن الـنَّـوْكَـى بـشـيءٍ ... ولـو كـانـوا بـنـي مـاء الـسـمـاءِ
كـعَـنْـبَـرٍ الـوثـيـقِ بـنـاءَ بـيـتٍ ... ولـكـنْ عـقـلُـه مـثـلُ الـهـبـاءِ
ولـيـس بـقـابـلٍ أدبـاً فـدعْـه ... وكُـنْ مـنـه بـمُـنـقـطـعِ الـرَّجـاءِ

[الوافر]

(١) مجتوى: مكروه.
(٢) الوصيف: الخادم.
(٣) النّوك: الحمق والغباوة.
(٤) الغول: الداهية.

وكان أبو عطاء من شعراء بني أمية ومُدَّاحِهِم والمُنْصَبِّي الهوى إليهم، وأدرك دولة بني العباس فلم تكن له فيها نباهة فهجاهم، وفي آخر أيام المنصور مات. وكان مع ذلك من أحسن الناس بَديهة وأشدِّهم عارضةً وتقدُّماً، وشهد أبو عطاءٍ حَرْبَ بني أمية وبني العباس فأبْلى، وقُتل غُلامه عطاء مع ابن هُبيرة وانهزم هو، وقيل: بل كان [أبو] عطاءٍ المقتولَ معه لا غلامهُ.

أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني قال:

كان أبو عطاء يقاتل المُسَوِّدة[١] وقُدَّامهُ رجلٌ من بني مُرَّة يكنى أبا يزيد وقد عُقِر فرسُه، فقال لأبي عطاء: أعطني فرسك حتى أقاتل عني وعنك فقد أيْقَنَّا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسه، فركبه المرّي ثم مضى وترك أبا عطاء، فقال أبو عطاء في ذلك:

لعمرُك إنني وأبا يزيد ... لكالسّاعي إلى وَضَح السَّرابِ
رأيتَ مُخِيلة[٢] فطمعتَ فيها ... وفي الطمع المذلَّةُ للرّقابِ
فما أعياك من طَلَبٍ ورِزْقٍ ... ولكن لستَ منهم في النِّصَابِ

[الوافر]

أخبرني الحسن، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني.

أن يحيى بن زياد الحارثيَّ وحماداً الرَّاوية كان بينهما وبين مُعَلَّى بن هُبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النَّفَاسة، وكان مُعَلَّى بن هبيرة يحب أن يَطرح حماداً في لسان شاعر يهجوه، قال حمادٌ الراوية: فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في زُجِّ وجَرادة ومسجد بني شَيْطَان؟ قال: فقلت له: فما تجعله لي على ذلك؟ قال: بغلتي بسرجها ولجامها، قلت: فَعَدِّلْها على يَديْ يحيى بن زياد، ففعل وأخذت عليه موثقاً بالوفاء، وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا وقال: مَرْهَباً مرهباً هَيَّاكم اللَّه، فرحبت به وعرضت عليه العشاء فقال: لا هَاجة لي به وقال: أعندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا، حتى احمرت عيناه واسترختْ عَلابِيه[٣]، ثم قلت: يا أبا عطاء إن إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لُغْز ولست أقدِر على إجابته البتةَ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء، فَفَرِّجْ عني، قال: هات، فقلت:

(١) المُسوِّدة: لقب للعباسيين لأنهم اتخذوا السواد شعاراً لهم.
(٢) المُخيلة: السحابة التي يخيّل إليك أنها ماطرة.
(٣) العلابي: مفردها العلباء وهي عصبة في صفحة العنق.

أبـنْ لـي إنْ سُـئِـلْـتَ أبـا عـطـاء يَـقِـيـنـاً كـيـف عـلـمـك بـالـمـعـانـي
[الوافر]

فقال:

خـبـيـرٌ عـالـم فـاسـألْ تـجـدْنـي بـهـا طَـبّـاً وآيـاتِ الـمـثـانـي
[الوافر]

فقلت:

فـمـا اسـمُ حَـديـدةٍ فـي رأس رُمـحٍ دُوَيْـنَ الـكَـعْـبِ لـيـسـتْ بـالـسِّـنَـانِ
[الوافر]

فقال أبو عطاء:

هـو الـزُّزُّ الـذي إنْ بـات ضـيـفـاً لـصـدرك لـم تَـزَلْ لـك عَـوْلَـتَـانِ
[الوافر]

قلت: فرَّجَ اللَّه عنك، تعني الزُّجَّ. وقلت:

فـمـا صـفـراءُ تُـدعـى أمَّ عَـوْفٍ كـأنَّ رُجَـيْـلَـتَـيْـهَـا مِـنْـجَـلانِ
[الوافر]

فقال:

أردْتَ زرادةً وأزُنُّ زَنّـاً بـأنـك مـا أردتَ سـوى لـسـانـي
[الخفيف]

قلت: فرج اللَّه عنك وأطال بقاءك، تريد جرادة وأظن ظناً. وقلت:

أتـعـرف مـسـجـداً لـبـنـي تـمـيـم فُـوَيْـقَ الـمِـيـل دون بـنـي أَبَّـانِ
[الوافر]

فقال:

بـنـو سَـيْـطَـان دون بـنـي أبَـانِ كَـقُـرب أبـيـك مـن عـبـد الـمَـدَانِ
[الوافر]

قال حماد: فرأيت عينيه قد احمرَّتا وعرفتُ الغضب في وجهه وتخوَّفته فقلت: يا أبا عطاء هذا مقَام المستجيرِ بك، ولك النصفُ مما أخذته. قال: فأصدقني، قال: فأخبرته فقال لي: أوْلَى لك قد سلِمْت وسَلم لك جُعْلُك خُذْه بُوْرِكَ لك فيه ولا هاجة لي فيه، فأخذته وانقلب يهجو معلَّى بن هبيرة.

أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثِبْه، وأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية، فعاوده بالمدح فقال له: يا ماصَّ كذا من أمه، ألست القائل في عدو اللَّه الفاجر نَصْر بن سَيَّار ترثيه:

فاضتْ دموعي على نَصْرٍ وما ظَلَمتْ عينٌ تفيض على نَصْر بن سَيَّارِ
يا نصرُ مَنْ للقاء الحرب إن لَقِحَتْ يا نصرُ بَعدك أو للضيف والجارِ
ألخِنْدِفيُّ الذي يحمي حقيقته في كل يوم مَخُوفُ الشرِّ والعارِ
والقائدُ الخيل قُبّاً في أعِنَّتِهَا بالقوم حتى تَلُفَّ الغارَ بالغارِ
من كلّ أبيضَ كالمصباح من مُضَرٍ يجلو بسُنَّته الظلماءَ للساري
ماضٍ على الهَوْل مقْدام إذا اعترضتْ سُمْرُ الرماح وولَّى كلُّ فرَّارِ
إن قال قولاً وَفَى بالقول مَوْعِدُه إن الكنانيَّ وافٍ غيرُ غدَّارِ
[البسيط]

واللَّه لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً، قال: فخرج من عنده، وقال عدة قصائد يذمه فيها منها:

فليت جَوْرَ بني مروان عادَلنا وليت عَدلَ بني العباس في النارِ
[البسيط]

وقال أيضاً:

أليس اللَّه يعلم أن قلبي يُحبّ بني أميَّةَ ما استطاعا
وما بي أن يكونوا أهلَ عدل ولكني رأيت الأمْرَ ضاعا
[الوافر]

أخبرني الحسن قال: حدثني الخرّاز عن المدائني قال:

كان أبو عطاء مع ابن هبيرة، وهو يبني مدينته التي على شاطئ الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صِلاتٍ ولم يعطه شيئاً فقال:

قصائدُ حُكْتُهُنَّ لِعُدْمِ قيسٍ رَجَعْنَ إليَّ صِفْراً خاليات
رجعْنَ وما أفَأنَ عليَّ شيئاً سوى أني وُعِدْتُ التُّرَّهَاتِ
أقامَ على الفرات يزيدُ حَوْلاً فقال الناس أيُّهما الفُراتُ
فيا عجباً لبحرٍ باتَ يسقي جميع الخلق لم يَبلُلْ لَهَاتِي
[الوافر]

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبلُّ لهاتك يا أبا عطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابنَه بدفعها إليه ففعل، فقال يمدح ابنه:

أمَّا أبوك فعينُ الجود نعرفه وأنت أشبه خلق اللَّه بالجودِ
لولا يزيدُ ولولا قبله عُمَرٌ ألقت إليك مَعَدٌّ بالمقاليدِ

مـا يَـنْـبُـتُ الـعـود إلا فـي أرومـتـه ولا يـكـون الْـجَـنَـى إلَّا مـن الـعُـودِ
[البسيط]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد عن المدائني قال:

وهبَ نصر بن سيَّار لأبي عطاء جاريةً، فلما أصبح غدا على نصر، فقال: ما فعلت أنت وهي؟ فقال: قد كان شيء منعني من بعض حاجتي، يعني النوم، فقال: وهل قلتَ في ذلك شعراً؟ قال: نعم وأنشد:

إن الـنـكـاح وإن هَـرِمـتَ لَـصـالـحٌ خَـلَـفٌ لـعـيـنـك مـن لـذيـذ الـمَـرقَـدِ
[الكامل]

فقال نصر:

ذاك الـشـقـاءُ فـلا تَـظُـنَّـنْ غـيـرَه لـيـس الـمُـشَـاهِـدُ مِـثْـلَ مـن لـم يَـشْـهَـدِ
[الكامل]

فقال: أصلحك اللَّه إني قد امتدحتك فَأَذَنْ لي أن أنشدك. قال: إني لفي شغل ولكن ائْتِ تميماً، فأتاه فأنشده، فحمله على بِرْذوْن أبلق، فقال له نصر من الغد: ما فعل بك تميم؟ فقال:

لـئـن كـان أُغْـلِـق بـابُ الـنَّـدى فـقـد فُـتـحَ الـبـابُ بـالأبْـلَـقِ
[المتقارب]

ثم أنشده قوله:

وهَـيْـكَـلٍ يُـقـالُ فـي جَـلالِـهِ تَـقْـصُـرُ أيـدي الـنـاسِ عـن قَـذَالِـهِ[1]
جـعـلْـتُ أوصـالـي عـلـى أوصـالـهِ إنَّـك حَـمَّـالٌ عـلـى أمـثـالِـهِ
[الرجز]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

لما أمر أبو جعفر الناسَ بِلُبْسِ السواد لبسه أبو عطاء فقال:

كُـسـيـتُ ولـم أكـفـرْ مـن الـلَّـه نـعـمـةً سـوَاداً إلـى لـونـي ودنّـاً[2] مُـلَـهْـوَجَـا[3]
وبـايـعـتُ كُـرْهـاً بـيـعـةً بـعـد بـيـعـةٍ مُـبَـهْـرَجَـة إن كـان أمـرٌ مُـبَـهـرْجَـا
[الطويل]

(١) القذال: جِماع مؤخر الرأس، ومعقد العِذار من الفرس خلف الناصية جمعها قُذُل وأقْذِلَة.
(٢) الدنّ: غطاء الرأس، القلنسوة.
(٣) الملهوج: الذي لا حكم له ولا إبرام لأمره.

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد عن المدائني قال:

بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء ببيتين من شعر وسأله أن يُضيف إليهما بيتين من رَوِيِّهما وقافيتهما وهما:

وبلدةٍ يَزْدهي الجِنَّانُ طَارِقَها ... قطعتها بكِناز[1] اللحم مُعتاطَهْ[2]

وَهْناً وقد حَلَّقَ النَّسرانِ أو كَرَبَا ... وكانت الدَّلْوُ بالجوزاء مُنْتَاطَهْ[3]

[البسيط]

فقال أبو عطاء:

فانجاب عنها قَميصُ الليل فابتكَرتْ ... تسير كالفحل تحتَ الكُورِ لَطَّاطَهْ

في أينُقٍ كلما حثَّ الحداةُ لها ... بَدتْ مناسِمُها هَوْجاءَ حَطَّاطَهْ

[البسيط]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد عن المدايني قال:

كان سبب هجاء أبي دُلامة بَغْلَتَه أن أبا عطاء السنديَّ هجاها، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة. قال: وأبيات أبي عطاء فيها:

أبَغْلَ أبي دُلامةَ متَّ هَزْلاً ... عليه بالسخاء تُعَوِّلينا

دَوَابُّ الناس تَقْضِم في المخالي ... وأنت مُهانة لا تَقْضِمينا

سَليه البيعَ واستَعْدِي عليه ... فإنك إنْ تُباعي تَسْمَنِينا

[الوافر]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد عن المدائني قال:

كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكة وخباؤه مطروح، فمرّ به نَهيك بن مَعْبد العُطارديّ، فقال: لمن هذا الخباء المُلقى؛ فقيل: لأبي عطاء السندي، فبعث غِلماناً له فضربوا له خباء، وبعث إليه بألطاف وكِسْوَة، فقال: من صنع هذا؟ قالوا: نهيك بن معبد، فنادى بأعلى صوته يقول:

إذا كنت مرتادَ الرجالِ لنفعِهِمْ ... فنادِ بصوت يا نَهيكُ بنَ مَعْبَدِ

[الطويل]

فبعث إليه نهيك: يا أبا عطاء إنما أعطيناك على قدر ما أعطيتنا، فإن زدتنا زدناك، واللَّه أعلم.

---

(١) الكِناز: القوية المكتنزة اللحم. (٢) معتاطة: طويلة مُعنَّقة.

(٣) مُنتاطة: منوطة متعلقة.

نسخت من كتاب ابن النطاح: قال الهيثم بن عدي:

أخبرنا حمادٌ الراوية قال: أنشدتُ أبا عطاء السنديَّ في أثناء حديثٍ هذا البيت:

إذا كـنـتَ فـي حـاجـة مُـرسـلاً فـأرسـلْ حـكـيـمـاً ولا تُـوصِـهِ

[المتقارب]

قال أبو عطاء: بئس ما قال، فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسـلْـتَ فـي أمـرٍ رسـولاً فَـأفـهِـمْـهُ وأرسـلْـه أديـبَـا

وإنْ ضَـيَّـعْـتَ ذاكَ فـلا تَـلُـمْـهُ عـلـى أن لـمْ يَـكُـنْ عَـلِـمَ الـغُـيُـوبَـا

[الوافر]

نسخت من كتاب عبيد اللَّه بن محمد اليزيدي: قال الهيثم بن عدي عن حمَّادِ بن سَلَمة الكلبيّ قال:

دخل أبو عطاء السندي على سليمان بن سليم بن كَيسان فقال له:

أعـوزتْـنـي الـرواةُ يـا ابـن سُـلَـيْـمٍ وأَبَـى أن يـقـيـم شـعـري لـسـانـي

وغَـلَـى بـالـذي أجـمـجـم صـدري وشـكـانـي مـن عـجـمـتـي شـيـطـانـي

وازدرتـنـي الـعـيـون إذ كـان لـونـي حـالـكـاً مـظـلـمـاً مـن الألـوانِ

وضـربْـتُ الأمـور ظـهـراً لـبـطـنٍ كـيـف أحـتـال حـيـلـةً لـبـيـانـي

فـتـمـنّـيـتُ أنـنـي كـنـت بـالـشـعـ ـرِ فـصـيـحـاً وبَـانَ بـعـضُ بَـنـانـي

ثـم أصـبـحـت قـد أنـخـت ركـابـي عـنـد رحـب الـفِـنـاء والأعـطـانِ[1]

فـإلـى مَـن سـواك يـا ابـنَ سُـلـيـم أشـتـكـي كُـربـتـي ومـا قَـدْ عَـنـانـي

فـاكـفـنـي مـا يـضـيـق عـنـه ذراعـي بـفـصـيـحٍ مـن صـالـحـي الـغِـلـمـانِ

يُـفْـهِـم الـنـاس مـا أقـول مـن الـشـعـ ـر فـإنَّ الـبـيـان قـد أعـيـانـي

ثـم خُـذْنـي بـالـشـكـر يـا ابـن سـلـيـم حـيـث كـانـت داري مـن الـبُـلْـدانِ

[الخفيف]

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

يـا ابـنَ سُـلـيـمٍ أنـت لـي عِـصـمـةٌ مـن حَـدثٍ أفـزعَ جِـيـرانـي

فـقـد رمـانـي الـدهـر عـن فـقـره بـسـهـم فَـقْـرٍ غـيـر لَـغْـبَـانِ[2]

(١) الأعطان: مفردها العطن وهو مربض الإبل ومبركها حول الحوض.

(٢) اللَّغبان: المصاب بالإعياء الشديد.

صاد فؤادي بعد ما قد سَلَا ... فصرْتُ كالمقتبِل العاني[١]
فانْعَشْ فَدتْك النفسُ مِني ومَنْ ... أطاعني من جُلِّ إخواني
وهبْ فدتْك النفسُ لي طَفْلَةً[٢] ... يَقْمَعُ جِرُها رأسَ شيطاني
فإنّ أيْري قد عتا واعتدى ... وصار يبغي بِغْيَة الزَّاني
فاللَّهَ ثُمَّ اللَّه في قَمْعه ... من قبل أن أمْنَى بسُلْطانِ
يتركني أضحوكة بعدما ... أُضْرَبُ في سِرٍّ وإعلانِ

[السريع]

فأمر له بجارية قندهاريَّة فارهةٍ فقال:

أحصنني اللَّهُ بكَفَّيْ فَتى ... مُهَذَّبٍ من سِرِّ قَحْطَانِ
من حِمْيرٍ أهْل السَّدَى[٣] والنَّدى ... وعصمةِ الخائف والجاني
يا خيرَ خَلْقِ اللَّه أنت الذي ... أيأسْتَ من فِسْقيَ شَيْطَاني

[السريع]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفلي عن أبيه قال:

كنت جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السندي، إذ قام راويةُ أبي عطاء يُنْشد سليمان مديحاً لأبي عطاء، وأبو عطاء جالس لا يتكلم، إذ قال الراوية في إنشاده:

فما فَضَلَتْ يمينُك منْ يمين ... ولا فضلت شمالُك مِنْ شِمالِ

[الوافر]

هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء وقال: ويلك، فما مَدحْتُه إذاً إنما هَزَوْتُه، يريد ما مدحْتُه إذاً إنما هجوتُه، ثم أنشده أبو عطاء:

فما فزلَتْ يمينَك من يمين ... ولا فَزَلَتْ شمالَك من شمالِ

[الوافر]

فكدت أضحك ولم أجسُر لأني رأيت القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون خوفاً منه.

حدثنا وكيع قال: أخبرنا أحمد بن زهير قال: حدثنا سليمان بن منصور قال: حدثني صالح بن سليمان قال:

---

(١) العاني: المشغول والذي يعاني من شدة المشَقَّة.
(٢) الطَّفلَة: الناعمة. (٣) السَّدى: المعروف.

وفد أبو عطاء السندي على نصر بن سيار فأنشده:

قالت تَريكَةُ[1] بيتي وهي عاتبةٌ إن المُقام على الإفلاس تعذيبُ
ما بالُ هَمٍّ دخيلٍ بات مُحْتَضِراً رأسَ الفؤاد فنَوم العين تَوْجِيبُ
إني دعاني إليك الخيرُ من بلدي والخيرُ عند ذوي الأحساب مَطلوبُ

[البسيط]

فأمر له بأربعين ألف درهم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي قالا: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، عن صالح بن سليمان قال:

دخل إلى أبي عطاء السندي ضيفٌ، فأتاه بطعام فأكل، وأتاه بشراب وجلسا يشربان، فنظر أبو عطاء إلى الرجل يُلاحِظ جاريته فأنشأ يقول:

كُلْ هنيئاً وما شَربتَ مَريئاً ثمَّ قُمْ صاغراً وأنت ذَميمُ
لا أحِبُّ النَّديمَ يُومضُ بالطَّرْ ف إذا ما خلا بِعِرْسي النَّديمُ

[الخفيف]

صوت

تَجول خلاخيلُ النساء ولا أرى لرملة خَلْخَالاً يجول ولا قُلْبَا
أحِبُّ بني العوَّام طُرّاً لحبها ومن أجلها أحببت أخوالها كَلْبَا
فإن تُسْلمي نُسْلِم وإنْ تتنصَّري يَخُطُّ رجالٌ بين أعينهم صُلْبَا

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رملة بنت الزُّبير، والغناء ليحيى المكي ثاني ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه وأبي العُبَيس، وفيه لعبيد اللَّه بن أبي غسان رمل، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

(١) التريكة: المرأة التي يتركها زوجها، أو الفتاة التي تترك في بيت أبيها فلا تتزوج.

ذكر خالد ورملة وأخبارهما

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضةً وفصاحة، وكان قد شَغَل نفسه بطلب الكيمياء، فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وأم خالد بن يزيد أمُّ هاشم بنت هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

أخبرني الطوسي وحرميٌّ قالا: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي مصعب قال:

كان خالد بن يزيد بن معاوية يُوصَف بالعلم ويقول الشعر، وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السُّفْيانيّ وكبّره، وأراد أن يكون للناس فيه طمعٌ حين غلبه مروان بن الحكم على المُلْك، وتزوج أُمَّه أمَّ هاشم. وهذا وَهَمٌ من مصعب فإن السفيانيّ قد رواه غير واحد، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة، وذكر خبره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام وغيره من أهل البيت صلوات اللَّه عليهم.

حدثني أبو عبد اللَّه الصيرفي قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال: حدثنا الحسن بن صالح بن أبي الأسود قال: حدثنا صالح بن أبي الأسود ـ يعني أباه ـ عن عبد الجبار بن العباس الهمداني، عن عمار الذهبي قال:

قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: كم تَعُدُّون بقاء السُّفيانيِّ فيكم؟ قلت: حَمْلَ امرأة تسعةَ أشهر، قال: ما أعلمكم يا أهل الكوفة.

حدثني أبو عبد اللَّه قال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا الحسن بن صالح قال:

حدثنا منصور بن الأسود قال: أتيت جابراً الجُعْفيّ أنا والأسودُ أخي فقلنا له: إنّا قوم نَضرب في هذه التِّجارات، وقد بلغنا أن الرَّايات قد قُطع بها الفُرات، فماذا تشير علينا وماذا تأمرنا؟ قال: اذهبوا حيث شئتم من أرض اللَّه تعالى، حتى إذا خرج السفياني فأقْبِلُوا عَوْدَكم على بَدئكم.

ولادة خالد:

أخبرني الطوسي وحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال:

لما ولدت أمُّ هاشمٍ خالدَ بن يزيد بن معاوية تركت كُنيتها وأكتنت بخالد، وقال فيها يزيد بن معاوية:

وما نحن يوم استعبرَتْ أمُّ خالدٍ بمرضى ذوي داءٍ ولا بِصحاح

[الطويل]

ولها يقول، وقد قدم من المدينة وقد تزوج أمَّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب، فحُمِلت إليه بالشام فأعجب بها وجفا أم خالد، ودخل عليها وهي تبكي فقال:

ما لَك أمَّ خالدٍ تَبْكينْ من قَدرٍ حَلَّ فَكَمْ تَضِجِّينْ
باعَتْ على بَيْعِك أمُّ مِسكينْ مَيمونةٌ من نسوةٍ ميامينْ
حلَّت محلك الذي تَحُلِّينْ زارتك من يشربٍ في جَوَارينْ
في منزلٍ كُنْتِ به تَكونينْ

[الرجز]

أخبرني الطوسي وحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه:

أن رملة بنت الزبير كانت أخت مصعب بن الزبير لأمه، كانت أمهما أم الرباب بنت أُنيف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن جَنَاب بن هُبَل من كلب، وإنما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد اللَّه بن حَكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى، فولدت له عبد اللَّه بن عثمان وهو زوج سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام.

قال الزبير: فحدثني رجل عن عمر بن عبد العزيز. وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

لما قُتل ابنُ الزُّبير حجَّ خالد بن يزيد بن معاوية فخطب رملةَ بنت الزبير بن العوام، فأرسل إليه الحجاج حاجِبَه عبيدَ اللَّه بن موهب وقال له: ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تُشاورني، وكيف خطبتَ إلى قوم ليسوا بأكفاء، وكذلك قال جدُّك معاوية، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيحة، وشهدوا عليه وعلى جَدِّك بالضَّلالة، فنظر إليه خالد طويلاً ثم قال له: لولا أنك رسولٌ والرسولُ لا يُعاقب لقطعتك إرْباً إرْباً، ثم طرحتك على باب صاحبك. قل له: ما كنتُ أرى أن الأمور

بلغتْ بك أن أشاورك في خِطْبة النساء. وأما قولك لي: قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيح، فإنها قريش يقارع بعضها بعضاً، فإذا أقرَّ اللَّه عز وجلّ الحقَّ قرارَه كان تقاطُعهم وتراحمُهم على قَدر أحلامهم وفضلهم، وأما قولك: إنهم ليسوا بأكفاء، فقاتلك اللَّه يا حجاج ما أقلَّ علمَك بأنساب قريش، أيكون العوَّام كُفُواً لعبد المطلب بن هاشم بتزوُّجه صفيَّةَ، وبتزوج رسول اللَّه ﷺ خديجةَ بنتَ خُويلد ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان؟ فرجع الحاجب إليه فأعلمه.

قال: وقال عمر بن شبة في خبره: قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها:

ألـيـس يَـزيـد الـسَّـيْـرُ فـي كـلّ لـيـلـة ... وفـي كـلّ يـوم مـن أحـبَّـتـنـا قُـرْبَـا
أحِـنُّ إلـى بـنـت الـزبـيـر وقـد عَـلَـتْ ... بـنـا الـعِـيـسُ خَـرْقـاً مـن تِـهـامـة أو نَـقْـبَـا
إذا نـزلـت أرضـاً تُـحَـبِّـبُ أهْـلَـهـا ... إلـيـنـا وإن كـانـت مـنـازلُـهـا جَـدبَـا
وإنْ نـزلـت مـاءً وإن كـان قـبـلـهـا ... مَـلـيـحـاً وجـدنـا مـاءه بـارداً عـذبَـا
تـجـول خـلاخـيـل الـنـسـاء ولا أرى ... لـرمـلـة خَـلـخـالاً يـجـول ولا قُـلْـبَـا
أقِـلُّـوا عـلـيَّ الـلـومَ فـيـهـا فـإنـنـي ... تَـخَـيَّـرْتُـهـا مـنـهـمْ زُبَـيْـريَّـةً قَـلْـبَـا
أحِـبِّ بـنـي الـعـوَّام طُـرّاً لـحـبـهـا ... ومـن حُـبـهـا أحـببـت أخـوالـهـا كَـلْـبَـا

[الطويل]

قال أبو زيد: وزادوا في الأبيات:

فـإن تُـسْـلـمـي نُـسْـلـم وإن تـتـنـصَّـري ... يـخـطُّ رجـال بـيـن أعـيـنـهـم صـلـبَـا

[الطويل]

فقال له عبد الملك: تنصَّرت يا خالد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت، فقال له خالد: على مَن قاله ومن نَحلنيه لعنةُ اللَّه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني موسى بن سعيد بن سلم قال:

قدم الحجاج على عبد الملك، فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ومعه بعض أهل الشام، فقال الشاميُّ لخالد: من هذا؟ فقال خالد كالمستهزئ: هذا عمرو بن العاص، فعدل إليه الحجاج فقال: إني واللَّه ما أنا بعمرو بن العاص، ولا وَلَدتُ عمراً ولا ولدني، ولكني ابنُ الغطاريف من ثَقيف والعقائل من قريش ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف كلهم يشهد أنك وأباك وجدك من أهل النار، ثم لم أجد لذلك عندك أجراً ولا شكراً. وانصرف عنه وهو يقول: عمرو بن العاص.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني قال: حدثنا عبد اللَّه بن مسلم القرشي، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك.

أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص قدم الشام غازياً، فأتى عمَّته أميَّة بنتَ سعيد، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالد فرآه فقال: ما يَقْدَم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلَّا اختار المُقام عندنا على المدينة، فظن محمد أنه يُعَرِّض به فقال له: وما يمنعهم من ذلك وقد قدم قوم من المدينة على النواضح[1] فنكحوا أمك وسلبوك ملكك وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه؟ انتهى.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخرّاز، عن المدائني، عن أبي أيوب القرشي، عن يزيد بن حُصين بن نمير.

أن مروان بن الحكم تزوج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالداً يوماً وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما، فقال له: يا ابن الرَّطْبَة، فقال له خالد: الأمير مُخْتَبِر وأنت بهذا أعلم، ثم أتى أمه فأخبرها وقال: أنت صنعت في هذا، فقالت له: دعه فإنه لا يقولها لك بعد اليوم، فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبرك خالد بشيء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه، فلما أمسى وضعت مِرْفَقةً على وجهه وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات، وأراد عبد الملك قتلها، وبلغها ذلك فقالت: أمَا إنه أشدُّ عليك أن يعلم الناسُ أن أباك قتلته امرأة، فكفَّ عنها.

أخبرني محمد: قال حدثني الخراز، عن المدائني قال، وأخبرني الطوسيُّ عن الزبير، عن المدائني، عن جُويرية قال:

نَشَزت سُكينةُ بنت الحسين بن عليٍّ عليهما السلام على زوجها عبد اللَّه بن عثمان، وأمُّه رملةُ بنت الزبير فدخلت رملةُ على عبد الملك بن مروان، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فقالت: يا أمير المؤمنين لو أن لنا من يدبر أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا، سكينةُ بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابني، قال: يا رملة إنها سكينة، قالت: وإن كانت سكينة، فواللَّه لقد ولَدْنا خيرَهم ونكحْنَا خيرَهم وأنكحنا خيرَهُم. تعني بمن وَلَدُوا فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ، ومن نكحوا صَفِيَّةَ بنت

(١) النواضح: مفردها الناضح وهو البعير الذي يجعل ليُستقَى عليه.

عبد المطلب، ومن أنكحوا النبيَّ ﷺ، فقال: يا رملة غَرَّني منك عُروةُ بن الزبير، فقالت: ما غرَّك ولكن نصح لك، لأنك قتلتَ أخي مُصعباً فلم يَأمَنِّي عليك.

أخبرني الطوسي قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال:

تزوج خالد بن يزيد بنتَ عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فقال فيها:

جاءتْ بها دُهْمُ البغال وشُهْبُها ... مقنَّعة في جوفِ حِدْج مُخَدَّرِ
مُقَابَلَةٌ بين النبيّ محمد ... وبين عليٍّ والحَوَارِي وجَعْفرِ
مَنَافِيَّةٌ جادتْ بخالِص وُدِّها ... لعبْد مَنَافِيٍّ أغرَّ مُشهَّرِ

[الطويل]

قال مصعب: ومن الناس من ينكر تَزَوُّجَهُ إياها، ومما يثبته قول شُدَيد بن شداد بن عامر بن لَقيط بن جابر بن وُهيب بن ضِباب بن حَجر بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤي لعبد الملك بن مروان يُغريه بخالد في تَزَوُّجه بنت الزبير وبنت عبد اللَّه بن جعفر قال:

لا يستوي الحبلانِ حَبْلٌ تَلَبَّستْ ... قُوَاهُ وحبلٌ قد أُمِرَّ شَديدُ
عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ... ففي خالدٍ عما تُريد صدودُ
إذا ما نظرنا في مناكح خالدٍ ... عرفنا الذي يهوى وحيث يُريدُ

[الطويل]

أخبرنا الطوسيّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثني مصعب بن عثمان قال:

دخل عبد اللَّه بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد فقال: لقد هَمَمتُ اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، قال: إنه لقي خيلي فنفَّرها وتلاعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه إن شاء اللَّه، فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد فقال له: يا أمير المؤمنين، إن ولي عهد المسلمين الوليدَ ابنَ أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد اللَّه بن يزيد فنفّرها وتلعَّب بها فشق ذلك على عبد اللَّه، فنكس عبدُ الملك رأسَه وقرع الأرض بقضيب في يده، ثم رفع رأسه إليه فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] فقال له خالد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] فقال له عبد الملك: أتكلمني فيه وقد دخل عليّ لا يُقيم لسانه لحناً؛ فقال له خالد: يا أمير المؤمنين أفعَلى الوليد

تُعَوِّل؟ فقال عبد الملك: إن يكن الوليد لَحَّاناً فأخوه سلمان، قال خالد: وإن يكن عبد اللَّه لَحَّاناً فأخوه خالد، فقال الوليد لخالد: أتكلمني ولستَ في عِير ولا نَفِيرٍ؟ قال: ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا؟ أنا واللَّه ابن العير والنفير، سَيِّدُ العير جَدِّي أبو سفيان، وسيد النفير جَدِّي عُتبة بن ربيعة، ولكن لو قلتَ حُبَيلاتٌ ـ يعني حَبَلَةَ العِنب ـ وغنيماتٌ والطائف، لقلنا صدقتَ ورحم اللَّه عثمان.

هذا آخر الحديث.

قال مؤلف هذا الكتاب: يعيره بأم مروان وأنها من الطائف، ويُعَيِّره بالحَكَم وأن رسول اللَّه ﷺ طرده إلى الطائف، وترحَّم على عثمان لرده إياه.

خالد ومعاوية بن مروان:

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائني، عن إسحاق بن أيوب.

أن معاوية بن مروان كان ضعيفاً، فقال له خالد بن يزيد: يا أبا المغيرة، ما الذي هَوَّنك على أخيك فلا يوليك ولاية؟ قال: لو أردتُ لفعل، قال: كلا، قال: بلى واللَّه، قال: فَسَلْه أن يوليك بيت لِهْيَا، قال: نعم، فَعَدَا على عبد الملك، فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين ألستُ أخاك؟ قال: بلى واللَّه إنَّك لأخي وشقيقي، قال: فَوَلني بيت لهيا قال: متى عهدك بخالد؟ قال: عشيَّةَ أمس، قال: إياك أن تكلمه، ودخل خالد فقال له كيف أصبحت يا أبا المغيرة؟ قال: قد نَهانا هذا عن كلامك، فغلب على عبد الملك الضحك، فقام وتفرق الناس.

قال: وأفلت لمعاوية هذا بَازٍ، فصاح: أغْلِقوا أبواب المدينة لا يخرج.

قال: وقال له رجل: أنت الشريف، ابن أمير المؤمنين، وأخو أمير المؤمنين، وابن عم أمير المؤمنين عثمان، وأمك عائشة بنت معاوية. قال: فأنا إذاً:

مُـرَدَّدٌ فـي بـنـي الـلَّـخْـنـاءِ تَـرْديـدا

أخبرني الطوسي، عن الزبير عن عمه قال:

كان خالد بن يزيد يتعصب لكلب على قيس في الحرب التي كانت بينهم، لأن كلباً أخوالُ أبيه يزيد وأخوال زوجته، فقال شاعر قيس:

يـا خـالـدُ بـنَ أبـي سـفـيـان قـد فَـرِحَـتْ مـنَّـا الـقـلـوبُ وضـاق الـسَّـهْـلُ والـجَـبَـلُ
أأنـت تـأمـر كـلـبـاً أن تُـقـاتـلـنـا جَـهْـلاً وتَـمـنـعُـهُـم مـنَّـا إذا قَـتَـلُـوا

هـذا الـذي لا يُـقِـرُّ الـطَّـيـرَ سـاكـنـةً ولا تُـبَـرِّكُ مـن نَـكْـرائـه الإبـلُ
[البسيط]

صـوت

خَـمْـسٌ دَسَـسْـنَ إلـيَّ فـي لَـطَـفٍ حـورُ الـعـيـون نَـواعِـمٌ زُهْـرُ
فـطـرقـتـهـنَّ مـع الـجَـرِيِّ وقـد نـام الـرقـيـب وحَـلَّـق الـنَّـسْـرُ
[الكامل]

خبر للأحوص

عروضه من الكامل، الشعر للأحوص، والغناء لمعبد رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن قال: حدثني إسماعيل بن محمد المَخْزوميُّ قال:

اجتمع نسوةٌ عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلي إلى الأحوص فإنّا نحب أن نتحدث معه ونسمع من شعره، فقالت لهن: إذاً لا يزيدكن على أن يخرج إذا عرفكن فَيشْهَركُنَّ وينظم الشعر فيكنّ، فلم يزلن بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكر له أمرهن ولا يسميهن، ويقول له أن يأتيهن مُخَمَّر الرأس، ففعل، وتحدث معهن وأنشدهن، فلما أراد الخروج ووضع يده في تَوْر[1] بين أيديهن فيه خَلُوق[2]، وغطى رأسه وخرج فوضع يده على الباب. ثم تفقد الموضع الذي كان فيه، فغدا إليه وطاف حتى وجد أثَرَ يدِه في الباب فقال:

خَمْسٌ دسَسْنَ إليَّ في لَطَفٍ ... حُورُ العيونِ نَواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهن مع الجَريِّ وقد ... نام الرقيبُ وحلَّق النَّسْرُ
مُستَبْطِناً للحيِّ إذْ قَرَعُوا ... عَضْباً يلوح بمتنه أثْرُ[3]
فعكفْن ليلتهن ناعمةً ... ثم استفقْنَ وقد بدا الفَجْرُ
بأشَمَّ معسول فُكَاهَتُه ... غَضِّ الشباب رداؤه غَمْرُ
رَزْنٍ بَعيد الصوت مُشتَهِرٍ ... جِيبتْ له جَوْبَ الرَّحَى عَمْرُو
قامت تخاصره لكِلَّتها ... تمشي تأوَّدُ[4] ـ غادةٌ[5] بِكْرُ

(١) التَّوْر: الإناء الصغير.
(٢) الخَلوق: ضرب من الطيب.
(٣) أثر: جوهر السيف.
(٤) التأوّد: التمايل والإنثناء.
(٥) الغادة: المرأة الناعمة اللطيفة.

فتنازعا من دون نسوتها ... كَلِماً يُسَرُّ كأنَّه سِحْرُ
كلٌّ يَرى أنَّ الشباب له ... في كل غاية صَبْوةٍ عُذْرُ
سَيْفانَةٌ[1] أمر الشباب بها ... رَقراقةٌ لم يُبْلِها الدَّهْرُ
حتى إذا أبدى هواه لها ... وبدا هواها مَالَهُ سِتْرُ
سَفَرَت ـ وما سفرت لمعرفةٍ ـ ... وَجْهاً أغرّ كأنه البَدْرُ

[الكامل]

قال إسماعيل بن محمد: فخرجت وأنا شابٌّ ومعي شبابٌ نريد مسجد رسول اللَّه ﷺ، فذكرنا حديث الأحوص وشعره وقُدَّامنا عجوزٌ عليها بقايا من الجمال، فلما بلغنا المسجد وقفتْ علينا والتفتت إلينا وقالت: يا فتيانُ، أنا واللَّه إحدى الخمس، كَذبَ ورَبِّ هذا القبر والمنبر، ما خلتْ معه واحدة منا، ولا راجعته دون نسوتها كلاماً.

قال الزبير: وحدثني غيرُ إبراهيم بن عبد الرحمن.

أن نسوة من أهل المدينة نَذرْنَ مشياً إلى مسجد قُبَا، وصلاةً فيه، فخرجن ليلاً، فطال عليهن الليلُ فنمْنَ، فجاءهن الأحوص مُتَّكئاً على عُرْجُونٍ مِرْطَاب، فتحدث معهن حتى أصبح، ثم انصرف وانصرفن فقال قصيدته:

خمسٌ دَسسنَ إليَّ في لطفٍ ... حورُ العيون نواعمٌ زُهْرُ

[الكامل]

قال الزبير: وحدثني عمي عن أبيه قال:

قال حبيب بن ثابت: صَدرْتُ إلى العقيق، فخلا لي الطريق، فأنشدتُ أبيات الأحوص هذه، وعجوزٌ سوداءُ قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها، فقالت: كذب واللَّه يا سيدي، إن سيفه ليلتئذ لعرجون[2] مرْطابٌ يتخصَّر به، وإني لرسولهن إليه.

قال الزبير: وحدثني عمي عن أبيه عن الزبير بن حبيب قال:

كنت أنشد قول الأحوص:

خمس دسسن إليَّ في لطف

(١) السيفانة: الطويلة الممشوقة.
(٢) العرجون: العِذق جمعها العراجين.

قال: فإذا نسوة فيهن عجوز سوداء، فأقبلن على العجوز فقلن لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص، فقلت للأحوص لعمري، فقالت لهن: أنا واللَّه الجَريُّ، خرج نسوة يُصَلين في مسجد قبا ثم تحدثن في رَحبَة المسجد في ليلة مقمرة، فقلن: لو كان عندنا الأحوص، فخرجتُ حتى أتيتهن به، وهو مُتخصّر بعُرجون مرْطابٍ فتحدث معهن حتى دنا الصبح، فقلت له: لا تذكُرْ خبرنا ولا تذكر إلا خيراً، قال: قد فعلت، وأنشدهن تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات، ثم استمرَّت بأفواه الناس تُغَنى:

خمس دسن إليّ في لطف

الأبيات كلها، واللَّه ما قامتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدة منهن سرّ.

صوت

يا ابنة الجُوديِّ قلبي كَئِيبُ مُستهامٌ[1] عندها ما يُنيبُ[2]
ولقد قالوا فقلت دَعوها إنَّ من تَنهون عنه حبيبُ
إنما أبلى عظامي وجسمي حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجيبُ

[المديد]

عروضه من الرمل، الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ، والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم يَنسبه إسحاق إلى أحد، وذكر أحمد بن يحيى المكي أنه لأبيه يحيى، واللَّه أعلم.

(١) مستهام: هائم.
(٢) ينيبُ: يرجع ويؤوب.

ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصَّة بنت الجُودِيّ

عبد الرحمٰن بن أبي بكر، واسم أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ عبدُ اللَّه ـ وكان اسمه في الجاهلية عَتيقاً، فسماه رسول اللَّه ﷺ عبدَ اللَّه ـ بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وكان اسم عبدالرحمٰن عبدَ العزّى فسمّاه رسول اللَّه ﷺ عبد الرحمٰن، وأمه وأمُّ عائشة أمُّ رُومان بنت عامر بن عُويرم بن عبد شمس بن عتَّاب بن أُذنية بن سبيع بن دُهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

هذا قول ابن الزبير وعمه.

وحكى عن إبراهيم بن موسى أنها بنت عويمر بن عتاب بن دهمان بن الحارث بن غنم، وروى عن محمد بن عبد الرحمٰن المرواني أنها بنت عامر بن عويمر بن أذنية بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة.

ولعبد الرحمٰن بن أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ صحبة بالنبي ﷺ، ولم يهاجر مع أبيه صِغَراً عن ذلك، فبقي بمكانه ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش، وقيل: بل كان إسلامه في يوم الفتح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد [خبراً] غير مدفوع.

أخبرني الطوسي وحرميّ بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير قال: حدثني إبراهيم بن حمزة، عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان.

أن عبد الرحمٰن بن أبي بكر خرج في فتية من قريش مهاجراً إلى النبي ﷺ قبل الفتح. قال: وأحسبه قال: إن معاوية كان معهم.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: وقف مُحكّم اليمامة على ثُلْمَةٍ فحماها فلم يجز عليه أحد فرماه عبد الرحمٰن بن أبي بكر فقتله، وكان أحد الرماة فدخل المسلمون من تلك الثُّلمة.

وهو المخاطب لمروان يوم دعا إلى بيعة يزيد والقائل: إنما تريدون أن تجعلوها كسرْويَة أو هِرَقْلية، كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل، فقال مروان: أيـهـا الـنـاس، هـذا الـذي ﴿قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الأحقاف: ١٧] فصاحت به عائشة: ألعبد الرحمٰن تقول هذا؟ كذبت واللَّه، ما هو به، ولو شئتُ أن أسمّي من أُنْزلت فيه لسمَّيتُه، ولكني أشْهد أن رسول اللَّه ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فَضَضٌ[1] من لعنة اللَّه.

حدثنا بذلك أحمد بن الجعد قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني أبي قال: حدثنا وهب بن جرير، عن جويرية بن أسماء.

وفي غير روايته أن عائشة قالت له: يا مروان، أفينا تتأول القرآن وإلينا تسوق اللَّعْن، واللَّه لأقومَنَّ يوم الجمعة بك مقاماً تَوَدُّ أني لم أقمه، فأرسل إليها بعد ذلك وترضّاها واستعفاها، وحلف أن لا يصلي بالناس أو تُؤمنه، ففعلت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وأخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

استُهيم عبد الرحمٰن بن أبي بكر بليلى بنت الجُوديّ بن عديّ بن عمرو بن أبي عمرو الغساني فقال فيها:

تـذكَّـرتُ لـيـلـى والـسـمـاوةُ دُونـهـا ... ومـا لابـنـة الـجُـوديّ لَـيْـلَـى ومـا لـيَـا
وأنَّـى تـعـاطـى قـلـبُـه حـارثـيَّـةً ... تَـحـلُّ بـبُـصْـرَى أو تـحـل الـحـوانـيَـا
وكـيـف يُـلاقـيـهـا بـلـى ولـعـلـهـا ... إذا الـنـاس حـجـوا قـابـلاً أن تُـلاقـيَـا

[الطويل]

قال أبو زيد: وقال فيها:

يـا ابـنـة الـجُـوديّ قـلـبـي كـئـيـبُ ... مُـسـتـهـامٌ عـنـدهـا مـا يُـنـيـب
جـاورت أخـوالـهـا حَـيَّ عـكٍّ ... فـلـعَـكٌّ مـن فـؤادي نَـصِـيـبُ

[المديد]

(١) الفضض: الماء المنتشر عند الاستحمام أو هو كل منتشر متفرّق.

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم، قال الزبير في خبره.

وكان قدم في تجارة فرآها هناك على طنْفسة[1]، حولها ولائدُ فأعجبته. وقال أبو زيد في خبره: فقال له عمر: ما لك ولها يا عبد الرحمٰن؟ فقال: واللَّه ما رأيتها قطّ إلا ليلة في بيت المقدس في جَوَارٍ ونساء يتهاديْن، فإذا عَثَرَتْ إحداهن قالت يا ابنة الجودي، فإذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودي. فكتب عمر إلى صاحب الثغر الذي هي به: إذا فتح اللَّهُ عليكم دمشقَ فقد غَنَّمْتُ عبدَ الرحمٰن بن أبي بكر ليلى بنتَ الجودي، فلما فتح اللَّه عليهم غَنَّمُوه إياها. قالت عائشة: فكنت أكلمه فيما يصنع بها فيقول يا أخَيَّة دعيني، فواللَّه لكأني أرْشف من ثَناياها حَبَّ الرُّمان، ثم ملّها وهانت عليه، فكنتُ أكلمه فيما يسيئ إليها كما كنت أكلمه في الإحسان إليها، فكان إحسانه أنْ ردها إلى أهلها. قال الشيخ في خبره: فقالت له عائشة: يا عبد الرحمٰن لقد أحببت ليلى فأفرطت، وأبغضت ليلى فأفرطت، فإما أن تُنْصفها وإما أن تُجَهزها إلى أهلها، فجهزها إلى أهلها.

قال الزبير: وحدثني عبد اللَّه بن نافع الصائغ، عن هشام بن عروة عن أبيه:

أن عمر بن الخطاب نفل عبدَ الرحمٰن بن أبي بكر بنت الجُوديّ حين فتح دمشق، وكانت بنت ملك دمشق.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الصَّلْت بن مسعود قال: حدثنا محمد بن شِيرويه، عن سليمان بن صالح قال: قرأت على عبد اللَّه بن المبارك، عن مصعب بن ثابت عن عبد اللَّه بن الزبير عن عائشة بنت مصعب، عن عروة بن الزبير قال:

كانت ليلى بنتَ ملك من ملوك الشام تشبَّب بها عبدُ الرحمٰن بن أبي بكر وقد كان رآها ـ فيما تقدم ـ بالشام، فلما فتح اللَّه عز وجل على المسلمين وقتلوا أباها أصابوها، فقال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول اللَّه أعْط هذه الجارية عبد الرحمٰن فقد سلَّمْناها له، قال أبو بكر: أكُلُّكُمْ على ذلك؟ قالوا: نعم، فأعطاه إياها، وكان لها بساط في بلدها لا تذهب إلى الكَنيف ولا إلى الحاجة إلا بُسِط لها، ورُميَ بين يديها برُمانتين من ذهب تتلهَّى بهما في طريقها، فكان عبد الرحمٰن إذا خرج من عندها، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثر البكاء، فيقول: ما يبكيك؟ اختاري خصالاً أيها شئت فعلتُ بك، إما أن أعتقك وأنْكحك، فتقول: لا أشتهيه، وإن شئت

(١) الطنفسة: البساط.

رددتك على قومك، قالت: ولا أريد، وإن أحببت رددتك على المسلمين قالت: ولا أريد، قال: فأخبريني ما يبكيك؟ قالت: أبكي الملك من يوم البؤس.

أخبرني أحمد قال: حدثني أبو زيد قال: حدثني هارون بن إبراهيم بن معروف قال: حدثني ضَمْرة بن ربيعة، عن العلاء بن هارون، عن عبد اللَّه بن عوف قال: حدثني يحيى بن يحيى الغساني:

أن عبد الرحمٰن قدم على يَعْلى بن مُنَبه وهو على اليمن، فوجدها في السَّبْي فسأله أن يدفعها إليه.

أخبرني أحمد قال: حدثنا عمر قال: كتب إليّ محمد بن زياد بن عبيد اللَّه يذكر: أن عبد الرحمٰن قال فيها:

فإما تُصْبحي بعد اقتراب ... بسَلْع أو ثَنيّات الوَدَاع
فلم ألْفظُك من شِبَع ولكن ... لأقضي حاجة النفس الشَّعَاع(١)
كأنَّ جوانحَ الأضلاع مني ... بُعَيْدَ النوم مُبْطَنةُ اليَرَاع(٢)

[الوافر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا عبد اللَّه بن لاحق، عن أبي مليكة قال:

مات عبد الرحمٰن بن أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ بالحُبْشِيّ جبلٍ من مكة على أميال، فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ثم قالت:

وكُنَّا كندمانيْ جَذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعَا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلةً معَا

[الطويل]

أما واللَّه لو حَضْرتُك لدفنتك حيث متّ، ولو شهدْتُك ما زرتك.

صوت

أمَاوِيَّ إن المال غادٍ ورائحٌ ... ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقد عَلمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتماً ... أراد ثَراء المال كان له وَفْرُ

(١) الشَّعاع: المتبددة المتفرِّقة.
(٢) اليراع: القصب المعدّ ليُنفخ فيه.

أمـاويّ إن يُـصْـبِـحْ صَـدَايَ بـقَـفْـرة مـن الأرض لا مـاءٌ لَـديَّ ولا خَـمْـرُ
تَـرَىْ أنَّ مـا أنـفـقـتُ لـم يَـكُ ضـرّنـي وأن يَـدي مـمـا بَـخـلْـتُ بـه صـفْـرُ

[الطويل]

عروضه من الطويل، الثراء: الكثرة في المال وفي عدد القوم أيضاً، والوَفْر الغِنَى ووفُور المال، والصدى هاهنا: كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائراً يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه، فإذا قتل أو دفن يصوت على قبره حتى يُدْرَك بثأره، والصِّفْر: الخالي، والصَّدى: العطش، والصَّدَى ما يُجيب إذا صُوت في المكان الخالي، وصدأ الحديد مهموز.

الشعر لحاتم الطائي، والغناء لإسحاق رمل بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أن فيه ثقيلاً أولاً، ولمالك خفيفاً، وذكر حبش أن فيه لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالوسطى.

أخبار حاتم ونسبه

ذكر ابن الأعرابي عن المفضل، والأثرم عن أبي عمرو الشيباني، وابن الكلبي عن أبيه، والسكري عن يعقوب بن السكيت.

أنه حاتم بن عبد اللَّه بن سعد بن الحَشْرج بن امرئ القيس بن عديّ بن أخزم بن أبي أخزم واسمه هزومة بن ربيعة بن جَرْول بن عمرو بن الغوث بن طيء. وقال يعقوب بن السكيت: إنما سُمي هزومة لأنه شَجَّ أو شُجَّ. وإنما سمي طيء طيئاً واسمه جُلْهُمَة لأنه أول من طوى المناهل[١]، وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيدِ بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ويكنى حاتم أبا سَفَّانة وأبا عديّ، كنى بذلك بابنته سَفَّانة وهي أكبر ولده، وبابنه عَديّ بن حاتم. وقد أدركت سَفَّانة وعديٌّ الإسلام فأسلما، وأُتيَ بسَفَّانة النبيَّ ﷺ في أسرى طيء فَمَنَّ عليها.

أخبرني بذلك أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: حدثني عبد اللَّه بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفي، ووجدته في بعض نسخ الكوفيين عن سليمان بن الربيع أتمّ من هذا فنسخته وجمعتهما قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصلي البُرْجميّ قال: حدثنا زكريا بن عبد اللَّه بن الصهباني عن أبيه، عن كُهَيل بن زياد النَّخَعي.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يا سبحان اللَّه، ما أزْهَدَ كثيراً من الناس في الخبر، عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدلُّ على سبيل النجاة، فقام رجل فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: نعم وما هو خير منه، لما أُتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية حَمَّاء[٢] حوراء[٣] العينين

(١) المناهل: مفردها المنهَل وهو الموضع الذي فيه المَشْرب.
(٢) حمَّاء: بيضاء وسوداء، ضد. (٣) حوراء: الواسعة العينين مع شدة سوادهما.

لعساء[١] لمياء[٢] عيطاء[٣] شماء الأنف معتدلة القامة درماء[٤] الكعبين خدَلَّجَةُ[٥] الساقين لفاء الفخدين خَميصة[٦] الخَصْر ضامرة الكَشْحَيْن مصقولة المَتْنَيْن، فلما رأيتها أعجبت بها فقلت: لأطلبنَّها إلى رسول اللَّه ﷺ ليجعلها من فَيْئي، فلما تكلَّمتْ أنْسيتُ جمالها لمَا سمعتُ من فصاحتها، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تُخَليَ عني فلا تُشْمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي، كان أبي يَفُكُّ العَاني[٧] ويحمي الذِّمار[٨]، ويَقْري الضيف، ويُشبع الجائع، ويُفرج عن المكروب، ويُطعم الطعام، ويُفشي السلام، ولم يَرُدَّ طالب حاجة قطّ، أنا بنت حاتم طيء، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «**يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً لترحَّمنا عليه، خَلُّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، واللَّهُ يُحب مكارم الأخلاق**».

وأم حاتم غُنَيَّة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عديّ بن أخزم، وكانت في الجود بمنزلة حاتم، لا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا الحرمازي عن العباس بن هشام عن أبيه قال:

كانت غنية بنت عفيف وهي أم حاتم ذات يَسار، وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف، وكانت لا تُليق[٩] شيئاً تملكه، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها، فمكثت دهراً لا يُدفَع إليها شيء منه، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صِرْمَة[١٠] من إبلها، فجاءتها امرأة من هَوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الصرمَة فخذيها، واللَّه لقد عضّني من الجوع ما لا أمنع معه سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول:

لعمري لَقِدْماً عضّني الجوع عضَّةً ... فآليت ألَّا أمنعَ الدهْرَ جائعَا
فقولا لهذا اللائمي اليوم أعْفني ... فإن أنت لم تفعل فعَضِّ الأصابعَا
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم ... سوى عَذْلكم أو عذل من كان مانعَا

(١) لعساء: التي في شفتها سواد مستحسن.
(٢) لمياء: سمراء الشفتين.
(٣) عيطاء: طويلة ممشوقة.
(٤) درماء الكعبين: الملتفة لحم الكعبين.
(٥) خدلّجة الساقين: ممتلئة الساقين.
(٦) خميصة الخاصرة: ضامرة الخاصرة دقيقتها.
(٧) العاني: الأسير.
(٨) الذِّمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.
(٩) لا تليق: لا تمسك، لا تبقي.
(١٠) الصرمة: القطعة من الإبل.

ومـا إنْ تـرون الـيـوم إلَّا طـبـائـعـاً فـكـيـف بـتـركـي يـا ابـن أمِّ الـطـبـائـعَـا
[الطويل]

قال ابن الكلبي: وحدثني أبو مسكين قال:

كانت سَفَّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصِّرمَة بعد الصرمة من إبله فتُنْهبُها وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية إن القويين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي أو أمسكَ وتُعْطي، فإنه لا يَبْقى على هذا شيءٌ.

قال ابن الأعرابي: كان حاتم من شعراء العرب وكان جواداً يُشْبه شعْره جُودَه ويُصدق قولَه فعْلُه وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان مُظفَّراً إذا قاتل غَلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سَبَق، وإذا أسر أطلق، وكان يُقْسم باللَّه أن لا يقتل واحدَ أمه، وكان إذا أهلَّ الشهرُ الأصم [وهو رجب] الذي كانت مُضَرُ تعظمه في الجاهليةِ ينحر في كل يوم عَشْراً من الإبل فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحُطيئة وبشْر بن أبي خازم.

وذكروا أن أم حاتم أُتيت وهي حُبلى في المنام فقيل لها: أغلام سَمْح يقال له حاتم أحبُّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس، ليوث ساعة الباس، ليسوا بأوغاد ولا أنكاس، فقالت: حاتم، فولدت حاتماً، فلما ترعرع جعل يُخْرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه أنه يُهلك طعامه قال له: الحقْ بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوَها، فلما أتى الإبلَ طفق يبغي الناس فلا يجدهم، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً، فبينا هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم، فقالوا: يا فتى، هل من قِرًى؟ فقال: تسألون عن القرى وقد ترون الإبل، وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني، وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفينا بكرة إذ كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفت ولكني رأيت وجوهاً مختلفة، وألواناً متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكروا فضله، فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم فصارَ لكم الفضل عليّ، وأنا أعاهد اللَّه أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقوموا إليها فتقتسموها. ففعلوا، فأصاب الرجلَ تسعة وثلاثون ومَضَوْا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت طَوَّقتك بها طَوْقَ الحمامة مَجْدَ الدهر وكَرَماً لا يزال

الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضاً من إبلك، فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلت ذلك؟ قال: نعم، قال: واللَّه لا أساكنك أبداً فخرج أبوه بأهله وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفلْوُها، فقال يذكر تحوُّل أبيه عنه.

وإني لَعفُّ الفقرِ مشترك الغنى ... وتاركُ شَكْلٍ لا يُوافقه شَكْلي
وشَكْليَ شَكْلٌ لا يقوم لمثله ... من الناس إلَّا كلُّ ذي نِيقَة[1] مثلي
وأجعل مالي دون عرضيَ جُنَّةً ... لنفسي وأستغني بما كان من فضلي
وما ضرَّني أن سار سَعْدٌ بأهله ... وأفردني في الدار ليس معي أهلي
سيكفي ابتنائي المجدَ سَعْدَ بن حَشْرج ... وأحمل عنكم كلَّ ما ضاع من نَفْلِ
ولي مع بذل المال في المجد صوْلَةٌ ... إذا الحرب أبدت من نواجذها العُصْلِ[2]

[الطويل]

وهذا الشعر يدل على أن جدّه صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه، وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتم صغير فكان في حجر جَدّه سعد بن الحشرج، فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله ضيق عليه جَدُّه ورحل عنه بأهله وخلفه في داره، فقال يعقوب خاصة: فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه، وإذا حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويَحْطِم بعضها بعضاً، فساقها إلى قومه فقالوا: يا حاتم أبْق على نفسك فقد رُزقْتَ مالاً ولا تعودنَّ إلى ما كنت عليه من الإسراف، قال: فإنها نُهْبَى بينكم، فانتُهبت، فأنشأ حاتم يقول:

تداركني جَدّي بسفْح متالع ... فلا يَيْأسَنْ ذو نَوْمَة أن يُغنَّما

[الطويل]

قال: ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله.

قال ابن الأعرابي ويعقوب بن السكيت وسائر من ذكرنا من الرواة.

خرج الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، ومعه عِطْرٌ يريد الحِيرَة وكان بالحيرة سوق يجتمع فيها العرب كل سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام بن عمرو بن طَريف بن عمرو بن ثُمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قُطنة بن طيء رَيْعَ الطريق طُعمة لهم، وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا أصهاره، فمر الحكم بن أبي العاص

(١) النيقة: التجود والمبالغة في المأكل والملبس.
(٢) العُصل: مفردها الأعصل وهو المُعْوَجّ.

بحاتم بن عبد اللَّه فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنُحرت وطبخت أعضاء فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحَكَمُ من طيبه ذلك، فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على راحلته وفرسه تُقاد، فأتاه بنو لام، فوضع حاتم سُفرته وقال اطعَمُوا حياكم اللَّه، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيراني، قال له سعد، فأنت تجير علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابن عمكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمته، فقالوا: لست هناك، وأرادوا أن يفضحوه كما فُضح عامرُ بن جُوين قبله، فوثبوا إليه فتناول كندي بن حارثة بن لام حاتماً، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك:

ودِدْتُ وبيتِ اللَّه لو أن أنفه هواءٌ فما متَّ المُخاطُ عن العَظمِ
ولكنما لاقاه سيفُ ابن عَمه فآب ومرَّ السيف منه على الخَطْمِ

[الطويل]

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فَنُماجدُكَ ونضع الرهن، ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كلب، يقال له امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب. وهو جد سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات اللَّه عليهما، ووضع حاتم فرسه ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر، ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياس رهطه من بني حَيَّة وقال: يا بني حيَّة، إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مِجَاده، أي مماجدته. فقال رجل من بني حيّة: عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصُن، على كلّ حصان منها فارس مُدجَّج لا يُرى منه إلَّا عيناه، وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمتم أن أبي قد مات وترك مالاً كثيراً فعليّ كلُّ خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة، ثم قام إياس فقال: عليَّ مثلُ جميع ما أعطيتم كلكم. قال: وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ابنِ عمٍّ له بالحيرة كان كثير المال، فقال: يا ابن عم أعِنِّي على مُخَايَلَتي، قال: والمُخايلة المفاخرة ثم أنشد قوله:

يا مالِ إحدى خطوبُ الدهر قد طَرَقتْ يا مالِ ما أنتمُ عنها بزحزاحِ[1]

(١) الزحزاح: المتزحزح. النائي.

يـا مـالِ جـاءت حـيـاضُ الـمـوت واردةً من بين غَمْرٍ[١] فَخُضناه وضَحْضَاحِ[٢]
[البسيط]

فقال له مالك: ما كنت لأحْرِبَ نفسي ولا عيالي وأعطيَك مالي. فانصرف عنه وقال مالك في ذلك قوله:

إنَّـا بـنـو عـمـكـم لا أنْ نُـبَـاعـلَـكـمْ ولا نـجـاوركـم إلَّا عـلـى نَـاحِ
[البسيط]

[نُباعلكم: نجالسكم، وناح أراد ناحية].

وقـد بـلـوتـك إذ نـلـت الـثـراء فـلـم ألـقَـك بـالـمـال إلَّا غـيـرَ مُـرْتَـاحِ
[البسيط]

قال أبو عمرو الشيباني في خبره: ثم أتى حاتم ابنَ عَمٍّ له يقال له وَهْمُ بن عمرو، وكان حاتم يومئذٍ مُصارماً له لا يكلمه، فقالت له امرأته: أي وهمُ، هذا واللَّه أبو سفانة حاتم قد طلع. فقال: ما لنا ولحاتم؟ أثبتي النظر، فقالت هو هو، قال: ويحك هو لا يكلمني فما جاء به إليَّ؟ فنزل حتى سلم عليه فرد سلامه وحياه، ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطَرْت على حسبك وحسبي، قال: في الرّحْب والسَّعة، هذا مالي، قال: وعدَّته يومئذٍ تسعمائة بعير فخذها مائةً مائةً حتى تذهب الإبل أو تصيبَ ما تريد. فقالت امرأته: يا حاتم أنت تُخرجنا من مالنا وتفضح صاحبنا ـ تعني زوجها ـ فقال: اذهبي عنك فواللَّه ما كان الذي غَمَّك ليردني عما قِبَلي. وقال حاتم:

أَلَا أبـلـغـا وَهْـمَ بـنَ عـمـرو رسـالـةً فـإنـك أنـت الـمَـرْءُ بـالـخـيـر أجْـدَرُ
رأيـتُـك أدنـى الـنـاس مـنـا قـرابـةً وغـيـرك مـنـهـم كـنـتُ أحـبـو وأنْـصُـرُ
إذا مـا أتـى يـومٌ يُـفـرق بـيـنـنـا بـمـوت فـكـن يـا وَهْـمُ ذو يـتـأخَّـرُ
[الطويل]

ذو في لغة طي بمعنى الذي. قالوا: ثم قال إياس بن قبيصة: احملوني إلى الملك وكان به نِقْرِسٌ، فحُمل حتى أدخل عليه فقال: انْعم صباحاً أبيتَ اللعْنَ، فقال النعمان: وحيَّاك إلهُك، فقال إياس: أتُمدُّ أختانك بالمال والخيل وجعلتَ بني ثُعَل في قَعْر الكنَانة؟ أظَنَّ أختانُك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جُوَيْن ولم يشعروا أن بني حَيَّة بالبلد؟ فإن شئت واللَّه ناجزناك حتى يَسْفَحَ الوادي دماً، فليحْضُروا مِجادهم

(١) الغَمر: الماء الكثير.
(٢) الضحضاح: الماء القليل.

غداً بمجمع العرب. فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك، وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً فأرْضوه، فواللَّه ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حَيَّة، فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المِجاد نَدَعْ أرْش[١] أنف ابن عمنا. قال: لا واللَّه لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويُغْلَب مِجادُكم. فتركوا أرْشَ أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا: قبّحها اللَّه وأبعدها، فإنما هي مقاريف[٢]، فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم في ذلك:

أبلغْ بني لام فإن خيولهم ... عَقْرى وإنَّ مجادهمُ لم يَمجُدِ
هَا إنَّما مَطَرتْ سماؤكمُ دَماً ... ورفعتَ رأسك مثل رأس الأصْيَدِ[٣]
ليكون جيراني أكالى بينكم ... نُحْلاً لكنديٍّ وسَبْيَ مُزبَّدِ
وابْنُ النُّجُود إذا غدا متلاطماً ... وابن العَزوَّرِ[٤] ذي العِجان الأزبدِ[٥]
أبلغ بني ثُعَل بأني لم أكن ... أبداً لأفعلها طَوَال المُسنَدِ
لاجئتُهُمْ فلّاً وأتْرك صحبَتي ... نَهْباً ولم تُعْذر بقائمه يدِي

[الكامل]

خرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المُثنى بن عبد اللَّه بن يشْجَب بن عبد وُدّ في فضاء من الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لام: لا تعجلوا بقتله، فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم:

عمرو بن أوس إذا أشياعُه غَضبوا ... فأحرزوه بلا غُرم ولا عارِ
إن بني عبدِ وُدٍّ كلما وقعتْ ... إحدى الهَنَات[٦] أتوها غير أغمارِ[٧]

[البسيط]

---

(١) الأرش: الدية.
(٢) المقاريف: مفردها المقرف وهو غير الأصيل من الخيل.
(٣) الأصْيَد: الرجل الذي يرفع رأسه كِبراً وغروراً.
(٤) العزوّر: السيئ الخُلق.
(٥) الأزبد: الثقيل، الذي لا خير فيه.
(٦) الهنات: كلمة تطلق لخصال الشر.
(٧) الأغمار: مفردها الغمر وهو الرجل السخي الكثير العطاء.

أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش، عن علي بن حرب، قال: حدثنا هشام بن محمد، قال حدثنا أبو مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد عن أبيه قال: قال الوليد جَدُّه ـ وهو مولى لأبي هريرة ـ سمعت محرز بن أبي هريرة يتحدث قال:

كان رجل يقال له أبو الخيبريّ مرّ في نفر من قومه بقبر حاتم وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح، قال: فنزلوا به، فبات أبو الخيبري ليلته كلها ينادي: أبا جعفر اقْرِأضيافك، قال: فيقال له: مهلاً ما تُكلِّم من رمَّة بالية، فقال: إن طيئاً يزعمون أنه لم ينزل به أحد وهو ميت إلا قراه، قال: فلما كان من آخر الليل نام أبو الخيبريّ، حتى إذا كان في السحر وثب فجعل يصيح: واراحلتاه، فقال له أصحابه: ويلك ما لك؟ قال: خرج واللَّه حاتمٌ بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عَقر ناقتي، قالوا: كذبت، قال: بلى، فنظروا إلى راحلته فإذا هي مُخْتَزَلة لا تنبعث، فقالوا: قد واللَّه قَرَاك، فظلوا يأكلون من لحمها ثم أردفوه فانطلقوا، فساروا ما شاء اللَّه، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عديُّ بن حاتم، راكب جملاً قائد جملاً أسود فلحقهم، فقال: أيكم أبو الخيبريّ؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك إياه وأنه قَرَى راحلَتَك لأصحابك، وقد قال في ذلك أبياتاً وردَّدها حتى حفظتها وهي:

أبا خيبريٍّ وأنت امرؤٌ ... ظلومُ العشيرة شتَّامُها
فماذا أردت إلى رمَّة ... بدَاوِيَّة صَخِبٍ هَامُها
تُبَغِّي أذاها وإعسارها ... وحولك غَوْثٌ وأنعامُها
وإنَّا لنطعمُ أضيافنا ... من الكُوم بالسيف نَعْتامُها

[المتقارب]

وقد أمرني أن أحملك على جمل، فدونَكه، فأخذه وركبه وذهبوا:

أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شِمْر الجَفْنِيّ ويقال هو الحارث بن عمرو رجلٌ من بني جَفْنة، وقتلوا ابناً له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري، فحلف ليقتلن من بني الغَوْث أهْلَ بيتٍ على دم واحد، فخرج يريد طيئاً، فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلاً، رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رهط حاتم، وحاتم يومئذٍ بالحيرة عند النعمان فأصابتهم مُقدمات خيله، فلما قدم حاتم الجَبَلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول: يا حاتم أسر أبو هذا، فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا وهو معه فقال حاتم:

أَلَا إنـني قـد هـاجـني الـلـيـلـةَ الـذِّكَـرْ وما ذاك مـن حُـبّ الـنـسـاء ولا الأَشَـرْ
ولـكـنـه مـمـا أصـاب عـشـيـرتـي وقـومـي بـأقـرانٍ حـوالـيـهـم الـصُّـبَـرْ
[الطويل]

الأقران: الحبال. والصُّبرَ: الحظائر واحدها صُبْرَة.

لـيـالـي نَـمْـشـي بـيـن جَـوٍّ ومـسـطـح نـشـاوى لـنـا مـن كـل سـائـمـة جُـزُرْ
فـيـا لـيـت خـيـر الـنـاس حـيّـاً ومـيـتـاً يـقـول لـنـا خـيـراً ويـمـضـي الـذي ائْـتَـمَـرْ
فـإن كـان شـرّاً فـالـعـزاءُ فـإنـنـا عـلـى وَقَـعـات الـدهـر مـن قـبـلـهـا صُـبُـرْ
سـقـى الـلَّـه ربُّ الـنـاس سـحّـاً وديـمـةً جُـنُـوبَ الـسـراة مـن مـآب إلـى زُغَـر[1]
بـلاد امـرئ لا يـعـرف الـذمّ بـيـتـه لـه الـمـشـربُ الـصـافي ولا يَـطْـعـم الـكَـدرْ
تـذكَّـرْتُ مـن وهـم بـن عـمـرو جَـلادَةً وجـرأةَ مَـغْـزَاه إذا صـارخٌ بَـكَـرْ
فـأبـشـر وقَـرَّ الـعـيـنَ مـنـك فـإنـنـي أحـيّـي كـريـمـاً لا ضـعـيـفـاً ولا حَـصِـرْ[2]
[الطويل]

فدخل حاتم على النعمان فأنشده فأعجب به واستوهبهم منه، فوهب له بني امرئ القيس بن عديّ ثم أنزله فأتى بالطعام والخمر، فقال له ملحان: أتشرب الخمر وقومك في الأغلال؟ قم إليه فسله إياهم، فدخل عليه فأنشده:

إنَّ امرَأ الـقـيـس أضـحـت مـن صـنـيـعـتـكـم وعـبـدَ شـمـس أبـيـت الـلـعْـنَ فـاصْـطَـنِـعِ
إن عَـديّـاً إذا مـلّـكْـتَ جـانـبـهـا مـن أمْـر غَـوْث عـلـى مَـرْأًى ومُـسْـتَـمَـعِ
أتـبـعْ بـنـي عَـبْـد شـمـس أمـر إخـوتـهـمْ أهـلـي فـداؤك إنْ ضَـروا وإن نـفـعـوا
لا تـجـعَـلَـنَّـا أبـيـتَ الـلـعـن ضـاحـيـةً كـمـعـشـر صُـلـمُـوا الآذان أو جُـدعـوا
أو كـالـجـنـاح إذا سُـلَّـت قـوادمُـه صـار الـجـنـاح لـفـضـل الـريـش يَـتَّـبـعُ
[البسيط]

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم، وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضى بن مالك بن ذبيان بن عمرو بن ربيعة بن جَرْول الأجئي وهم من لخم، وأمه من بني عديّ، وهو جد الطِّرمَّاح بن حكيم بن نَفْر بن قيس بن جحدر، فقال له النعمان: أفبقي أحد من أصحابك، فقال حاتم:

فـكـكْـتَ عـديّـاً كـلَّـهـا مـن إسـارهـا فـأفْـضـلْ وشـفِّـعـنـي بـقـيـس بـن جَـحْـدرِ

(١) زُغَر: موضع بالشام.
(٢) الحَصر: الممسك البخيل.

أبــوه أبــي والأمــهــات امَّــهــاتُــنــا فأنعِمْ فدتْكَ اليوم نفسي ومعشري
[الطويل]

فقال: هو لك يا حاتم، فقال حاتم:

أبلغِ الحارث بنَ عمرو بأني حافظُ الود مُرْصِدٌ للثوابِ
ومجيبٌ دعاءه إنْ دعاني عَجِلاً واحداً وذا أصحابِ
إنما بيننا وبينك فاعلمْ سَيْرُ تسعٍ للعاجل المُنْتابِ
فثلاث من السَّراة إلى الحلّـ ـة للخيل جاهداً والرِّكَابِ
وثلاث يُورَدْن تيماءَ رَهْواً[1] وثلاث يُقْرَبْنَ بالإعجابِ
فإذا ما مررن في مُسْبَطِرٍّ[2] فاجْمحِ الخيلَ مثل جَمْح الكعَابِ[3]
[الخفيف]

اجمح: ارم بهم كما يُرْمى بالكِعاب، ويقال إذا انتصب لك أمر فقد جمح.

بينما ذاك أصبحتْ وهي عَضْدَي من سَبيٍّ مجموعة أو نِهَابِ
[الخفيف]

عضدي: مكسورة الأعضاد:

ليت شعري متى أرى قبَّة ذا ت قلاع للحارث الحَرَّابِ
[الخفيف]

بيَفاع وذاك منها مَحَلٌّ فوق مَلْك يَدين بالأحسابِ
أيها الموعدي فإنَّ لَبُوني بين حَقْل وبين هَضْب دبابِ
حيث لا أرهب الجُرَاة وحولي ثُعَلِيُّون كاللّيوث الغِضَابِ
[الخفيف]

وقال حاتم أيضاً:

لم يُنْسني أطلالَ ماويَّةٍ يَأسِي ولا الزمنُ الماضي الذي مثلُه يُنْسِي
إذا غربتْ شمسُ النهار وردتها كما يُورَد الظمآنُ آتيةَ الخَمْسِ
[الطويل]

قال: وكنا عند معاوية فتذاكرنا ملوك العرب حتى ذكرنا الزباء وابنةَ عفْزَر، فقال

(١) الرهو: الرفق والسير السهل.
(٢) المُسْبَطِرّ: المستقيم.
(٣) الكَعاب: مفردها الكعب وهي العظمة يُلعب بها.

معاوية: إني لأحب أن أسمع حديث ماوِيَّة وحاتم، وماوية بنت عَفْزر، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى، فقال إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج من أرادت، وإنها بعثت غلماناً لها، وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة، فجاؤها بحاتم، فقالت له: استَقْدِم إلى الفراش، فقال: حتى أخْبُرَك. وقعد على الباب وقال: إني أنتظر صاحبَيْن لي، فقالت: دونك اسْتَدخل المِجْمَر فقال: استي لم تعوّد المجمر. فأرسلها مثلاً، فارتابت منه وسقته خمراً ليسكر، فجعل يُهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائق قِرًى ولا قارٌ حتى أنظر ما فعل صاحباي فقالت: إنّا سنرسل إليهما بِقِرىً، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيَهُما، قال: فأتاهما فقال: أفتكونان عبدين لابنة عفزر ترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما؟ فقالا: كلُّ شيء يشبه بعضه بعضاً، وبعض الشر أهون من بعض فقال حاتم الرَّحيلَ والنجاةَ. وقال يذكر ابنة عفزر وأنه ليس بصاحب ريبة:

حننت إلى الأجبال أجبال طيء ... وحنَّت قَلُوصي أن رأت سَوْط أحمرا
فقلت لها إن الطريق أمامنا ... وإنَّا مُحَيّو رَبْعنا إنْ تَيَسَّرا
فيا رَاكبَيْ عَلْيَا جَديلَةَ إنما ... تُسامان ضَيْماً مُستبيناً فتُنْظَرا
فما نكراه غير أنّ ابن مُلْقِط ... أراه وقد أعطى الظلامة أو جَرَى
وإني لمُزجٍ للمطيّ على الوَجَى[1] ... وما أنا من خُلَّانك ابنةَ عَفْزَرا
وما زلت أسعى بين ناب ودارة ... بلحْيَانَ حتى خفت أن أتنصرا
وحتى حَسبْتُ الليل والصبح إذ بدا ... حِصانين سَيَّالَيْن جَوْناً[2] وأشقرا
لَشِعْبٌ من الرَّيَّان أملِكُ بابه ... أنادي به آلَ الكَبير وجعفرا
أحبُّ إليّ من خَطيب رأيته ... إذا قلت معروفاً تبدَّل مُنكرا
تُنادي إلى جاراتها إن حاتماً ... أراه لَعَمْري بعدنا قد تَغَيَّرا
تغيَّرْتُ إني غيرُ آت لريبة ... ولا قائل يوماً لذي العرف منكرا
فلا تسألِيني واسألي: أيُّ فارس ... إذا بادر القومُ الكَنيف[3] المُسَتَّرَا
ولا تسألِيني واسألي: أيُّ فارس ... إذا الخيل جالت في قَناً قد تكسّرا

(١) الوجى: رقة القَدَم من كثرة المشي.

(٢) الجَوْن: الأحمر والأبيض والأسود جمعها الجُون بالضم.

(٣) الكنيف: الشجر الملتفّ.

فلا هي ما ترعى جميعاً عشارُهَا ... ويصبح ضيفي ساهمَ الوجه أغبرا
متى تَرَني أمشي بسيفيَ وَسْطها ... تَخَفْني وتُضْمر بينها أن تُجَزَّرَا
وإني لَتَغْشى أبْعَدَ الحيِّ جَفْنتي ... إذا وَرَقُ الطَّلْح[1] الطِّوالِ تَحَسَّرا
فلا تسأليني واسألي بيَ صُحْبتي ... إذا ما المَطيُّ بالفلاة تَضَوَّرَا[2]
وإني لوهّاب قُطوعي[3] وناقتي ... إذا ما انتشيت والكُمَيْتَ المُصَدَّرا
وإني كأشلاء اللجام ولن تَرَىْ ... أخا الحرب إلَّا سَاهمَ الوجه أغبرا
أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عَضَّها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شَمَّرا
وإني إذا ما الموتُ لم يك دونه ... قِدَى الشِّبْر أحمى الأنف أن أتأخرا
متى تبِغ وُدًّا من جَديلة تَلْقَه ... مع الشَّنْءِ[4] منه باقياً مُتأثِّرَا
فإلَّا يُعَادُونا جهاراً نُلاقهم ... لأعدائنا رِدْءاً دليلاً ومُنْذِرا
إذا حال دوني من سلامانَ رَمْلةٌ ... وجدت توالي الوَصْل عنديَ أبْتَرا

[الطويل]

وذكروا أن حاتماً دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأتاها يخطبها، فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت[5]، فقالت لهم: انقلبوا إلى رجالكم ولْيَقُلْ كلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم، فانصرفوا ونحر كل واحد منهم جزوراً. ولبست ماويَّة ثياباً لِأَمَةٍ لها وتبعتْهم، فأتت النبيتيَّ فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل[6] جمله فأخذته، ثم أتت نابغة بني ذُبيان فاستطعمته فأطعمها ذَنَب جزوره فأخذته، ثم أتت حاتماً وقد نصب قدره فاستطعمته، فقال لها: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العَجُز والسَّنام ومثلها من المُخَدَّش وهو عند الحارك، ثم انصرفت، وأرسل كل واحد منهم إليها ظهر جمله، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها، ولم يكن يترك جاراته إلَّا بهدية، وصبحوها فاستنشدتهم فأنشدها النبيتيُّ:

هلَّا سألت النبيتيِّين ما حسبي ... عند الشتاء إذا ما هبَّت الرِّيحُ

(١) الطّلح: الشجر العِظام.
(٢) تضوّر: تلوى من شدة الجوع أو الوجع.
(٣) القطوع: مفردها القطع وهو ضرب من الثياب الموشاة.
(٤) الشنء: الكره والبغض.
(٥) النَّبيت: اسم حيّ.
(٦) الثيل: وعاء قضيب البعير وغيره.

ورَدَّ جـازرُهـم حَـرْفـاً[١] مُـصَـرَّمـة ... في الـرأس منـها وفي الأصلاء تَـمليـحُ
وقـال رائـدهـم سـيَّـانِ مـا لُـهـمُ ... مـثـلان مـثـلٌ لـمـن يَـرْعـى وتَـسـريـحُ
إذا الـلِّـقـاح غـدت مُـلْـقًـى أصـرَّتُـهـا ... ولا كـريـمَ مـن الـولـدان مَـصْـبـوحُ

[البسيط]

فقالت له: لقد ذكرت مجهدة، ثم استنشدت النابغة فأنشدها يقول:

هـلا سـألـتِ بـنـي ذُبـيـان مـا حـسـبـي ... إذا الـدخـانُ تَـغَـشَّـى الأشْـمَـط[٢] الـبَـرَمَـا[٣]
وهـبـت الـريـح مـن تـلـقـاء ذي أرُلٍ[٤] ... تزجي مع الليل من صُرَّادها[٥] الصِّرمَا[٦]
إنـي أتـمـم أيْـسـاري[٧] وأمـنـحُـهـم ... مَـثْـنَـى الأيـادي وأكسـو الـجَـفْـنَـة الأُدُمَـا[٨]

[البسيط]

فلما أنشدها قالت: ما ينفك الناس بخير ما ائتدموا. ثم قالت: يا أخا طيء أنشدني، فأنشدها:

أمـاويّ قـد طـال الـتـجـنُّـب والـهَـجْـرُ ... وقـد عـذرتْـنـي فـي طـلابـكُـمُ الـعُـذْرُ
أمـاويَّ إن الـمـال غـادٍ ورائـحٌ ... ويـبـقـى مـن الـمـال الأحـاديـثُ والـذكْـرُ
أمـاويَّ إنـي لا أقـول لـسـائـل ... إذا جـاء يـومـاً حـلَّ فـي مـالـنـا الـنَّـذْرُ
أمـاويّ إمـا مـانـع فَـمُـبـيَّـنٌ ... وإمـا عـطـاءٌ لا يُـنـهـنـهـه الـزَّجْـرُ
أمـاويَّ مـا يُـغـنـي الـثـراءُ عـن الـفـتـى ... إذا حـشـرَجَـتْ يـومـاً وضـاق بـهـا الـصَّـدْرُ
إذا أنَـا دلانـي الـذيـن أحـبُّـهـمْ ... بـمـلْـحـودة زلْـخ جـوانـبُـهـا غُـبْـرُ
وراحـوا سـراعـاً يـنـفُـضـون أكُـفَّـهـمْ ... يـقـولـون قـدْ دَمَّـى أنـامـلَـنَـا الـحَـفْـرُ
أمـاويّ إنْ يُـصْـبـحْ صـداي بـقـفـرةٍ ... مـن الأرض لا مـاءٌ لـدي ولا خَـمْـرُ
تَـرَىْ أنَّ مـا أنـفـقـتُ لـم يـكُ ضَـرَّنـي ... وأن يَـدى مـمـا بَـخِـلْـتُ بـه صـفْـرُ

---

(١) الحَرف: الناقة الهزيلة.
(٢) الأشمط: الذي كثر بياض شعره وخالطه السواد.
(٣) البَرَم: اللئيم الشحيح.
(٤) أرل: جبل، وموضع بديار فزارة.
(٥) الصُرَّاد: الغيم الرقيق الذي لا ماء فيه.
(٦) الصِّرم: مفردها الصّرمة وهي القطعة من السحاب.
(٧) الأيسار: الأقوام المجتمعة على الميسر.
(٨) الأُدُم: الجلود.

أمـــاويّ إنـــي رُبَّ واحـــدِ أمِّـــه ... أخـذْتُ فـلا قـتـلٌ عـلـيـه ولا أسْـرُ
وقـد عـلـم الأقـوام لـو أن حـاتـمـاً ... أراد ثـــراءَ الـــمـــال كـــان لـــه وَفْـــرُ
فـإنـيَ لا آلُـو بـمـالـي صَـنـيـعـة ... فـــأوَّلُـــه زادٌ وآخـــره ذُخْـــرُ
يُـفـكُّ بـه الـعَـانـي ويُـؤْكـل طَـيِّـبـاً ... ومـا إنْ يُـعـرِّيـه الـقـداحُ ولا الـقَـمْـرُ
ولا أظـلـم ابـن الـعـمّ إن كـان إخـوتـي ... شـهـوداً وقـد أودى بـإخـوتـه الـدَّهْـرُ
غـنـيـنَـا زمـانـاً بـالـتـصـعـلـك والـغـنَـى ... [كـمـا الـدهـر فـي أيـامـه الـعُـسْـرُ واليُسرُ
لـبـسـنـا صـروف الـدهـر لـيـنـاً وغـلـظـة] ... وكُـلّاً سـقـانـاه بـكـأسـيـهـمـا الـعـصـرُ
فـمـا زادنـا بَـغـيـاً عـلـى ذي قـرابـة ... غـنَـانـا ولا أزرى بـأحـسـابـنـا الـفـقـرُ
ومـا ضَـرَّ جـاراً يـا ابـنـة الـقـوم فـاعـلـمـي ... يُـجـاورنـي ألَّا يـكـونَ لـه سـتْـرُ
بـعـيـنِـيَ عـن جـارات قـومـيَ غـفـلـةٌ ... وفـي الـسـمـع مـنـي عـن حـديـثـهـم وَقْـرُ

[الطويل]

فلما فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء، وكانت قد أمرت إماءها أن يُقَدّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها، فقدمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدِّمنه إليهم، فنكس النبيتيُّ رأسه والنابغة، فلما نظر حاتمٌ إلى ذلك رمى بالذي قُدم إليهما وأطعمهما مما قُدِّم إليه، فتسللا لِوَاذاً، وقالت: إن حاتماً أكرمكم وأشعركم، فلما خرج النبيتيُّ والنابغة قالت لحاتم: خلِّ سبيلَ امرأتك، فأبى، فزوَّدته وردَّته، فلما انصرف دعته نفسه إليها، وماتت امرأته، فخطبها فتزوجته، فولدت عَديّاً.

وقد كان عديٌّ أسلم وحسُنَ إسلامُه فبلغنا أن النبي ﷺ قال له، وقد سأله عديّ: يا رسول اللَّه إن أبي كان يُعْطي ويَحْمل ويُوفي بالذمة ويأمر بمكارم الأخلاق، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**إن أباك خشبة من خشبات جهنم**»، فكأنَّ النبي ﷺ رأى الكآبة في وجهه فقال له: «**يا عديّ إن أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار**».

وكانت ماوية عنده زماناً وإنّ ابن عم لحاتم كان يقال له مالكٌ قال لها: ما تصنعين بحاتم؟ فواللَّه لئن وجد شيئاً ليُتْلفَنَّه، وإن لم يجد ليتكلفنّ وإن مات ليتركنَّ ولده عَيَالاً على قومك. فقالت ماوية: صدقت، إنه كذلك، وكان النساءُ أو بعضُهن يُطلقن الرجالَ في الجاهلية، وكان طلاقهنّ أنهن إنْ كُنَّ في بيت من شَعَرٍ حَوَّلْنَ الخباء، فإن كان بابه قِبَلَ المشرق حولنه قبل المغرب، وإن كان بابه قبل اليمن حوّلنه قبَل الشام، فإذا رأى ذلك الرجلُ علم أنها قد طلقته فلم يأتها، وإن ابن عم حاتم قال لماوية وكانت أحسن نساء الناس: طلِّقي حاتماً وأنا أنْكحك، وأنا خير لك منه، وأكثر

مالاً، وأنا أُمْسِك عليك وعلى ولدك، فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً، فأتاها حاتم وقد حوّلت باب الخباء فقال: يا عديُّ ما ترى أمك عَدَا عليها؟ قال: لا أدري غير أنها قد غيّرت باب الخباء، وكأنَّه لم يَلْحَن[1] لما قال، فدعاه فهبط به بطن واد، وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون، فتوافَوْا خمسين رجلاً، فضاقت بهم ماويَّةُ ذرعاً وقالت لجاريتها: اذهبي إلى مالك فقولي له: إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً، فأرْسل بنابٍ نَقْرهِمْ ولبن نَغْبُقْهم[2]، وقالت لجاريتها: انظري إلى جبينه وفمه، فإن شافهك بالمعروف فاقْبَلي منه، وإن ضرب بلِحيته على زَوْره وأدخل يده في رأسه فاقْفُلي وَدعيه، وإنها لما أتت مالكاً وجدته متوسداً وَطْباً[3] من لبن وتحت بطنه آخر، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره، فأبلغته ما أرسلتها به ماوية وقالت: إنما هي الليلة حتى يعلم الناسُ مكانه، فقال لها: اقْرَئي عليها السلام وقولي لها: هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه، فما عندي من كبيرة قد تَركت العَمَل، وما كنت لأنحر صَفيَّةً غزيرة بشحم كُلَاها، وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم. فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وما قال، فقالت: ائتي حاتماً فقولي: إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ولم يعلموا بمكانك، فأرسلْ إلينا بناب ننحرها ونقرهم، وبلبن نَسْقهم، فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك. فأتت الجارية حاتماً فصرخت به، فقال حاتم: لبيك، قَريباً دَعَوت. فقالت: إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة، فأرْسل إليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقهم، فقال: نَعَمْ وأبي، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثَنِيَّتَيْن من عقَالَيْهما، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما، فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الذي طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء، فقال حاتم:

هل الدهر إلَّا اليومُ أو أمسِ أو غَدُ ... كذاك الزمانُ بيننا يتردَّدُ
يرُدُّ علينا ليلةً بعد يومها ... فلا نحن ما نبقى ولا الدهر يَنْفَدُ
لنا أجلٌ إمَّا تناهى أمامه ... فنحن على آثاره نَتَوَرَّدُ
بنو ثُعَل قَوْمي فما أنا مُدَّعٍ ... سواهم إلى قوم وما أنا مُسْنِدُ

(١) يلحن: يفطن، ينتبه.
(٢) نغبقهم: نسقيهم ما يشرب بالعشي وهو الغَبوق.
(٣) الوطب: السقاء.

بِـدَرْئـهـمُ[١] أغـشـى دُروء مـعـاشـر ... ويَحْنِف[٢] عني الأبلحُ[٣] المتعَمِّدُ
فـمـهـلاً فـداكِ الـيـومَ أمـي وخـالـتـي ... فـلا يـأمُـرنِّـي بـالـدَّنـيَّـة أسـودُ
عـلـى حـيـن أنْ ذَكَّـيْـتُ واشـتـدَّ جـانـبـي ... أُسـام الـتـي أعْـيَـيْـتُ إذ أنـا أمـردُ
فـهـل تُـرِكَـتْ قـبـلـي حُـصُـونٌ مـكـانـهـا ... وهـل مـن أبَـى ضـيـمـاً وخـسـفـاً مُـخَـلَّـدُ
ومُـعْـتَـسـفٍ[٤] بـالـرمـح دون صـحـابـه ... تـعـسَّـفـتـه بـالـسـيـف والـقـومُ شُـهَّـدُ
فـخـرَّ عـلـى حُـرِّ الـجـبـيـن وَذاده ... إلى الموت مطرورُ الوقيعة[٥] مِذْوَدُ[٦]
فـمـا رِمْـتُـه[٧] حـتـى أزحْـت عَـويـصـه[٨] ... وحـتـى عـلاه حـالـكُ الـلـون أسـودُ
فـأقـسـمـت لا أمـشـي عـلـى سـر جـارتـي ... يَـدَ الـدهـر مـا دام الـحـمـامُ يُـغَـرِّدُ
ولا أشـتـري مـالاً بـغَـدْر عـلـمـتـه ... ألَا كُـلُّ مـال خـالـط الـغـدْرَ أنـكَـدُ
إذا كـان بـعـضُ الـمـال رَبّـاً لأهـلـه ... فـإنـي بـحـمـد الـلَّـه مـالـي مُـعَـبِّـدُ
يُـفَـكُّ بـه الـعـانـي ويُـؤكـل طـيّـبـاً ... ويُعْطَى إذا ضَنَّ[٩] البخيل المُصَرِّدُ[١٠]
إذا مـا الـبـخـيـل الـخَـبُّ[١١] أخـمـد نَـاره ... أقـول لـمـن يَـصْـلَـى بـنـاريَ أوقِـدُوا
نُـوَسِّـعْ قـلـيـلاً أو يَـكُـنْ ثَـمَّ حَـسْـبُـنـا ... ومُـوقِـدُهـا الـبـادي أعـفُ وأحْـمَـدُ
كـذاك أمـور الـنـاس راضٍ دَنـيَّـةً ... وسـامٍ إلـى فَـرْع الـعـلا مُـتَـورِّدُ
فـمـنـهـمْ جـوادٌ قـد تَـلَـفَّـتَ حـولـه ... ومـنـهـم لـئـيـم نـائـم الـطـرف أقْـوَدُ[١٢]
وداعٍ دعـانـي دعـوة فـأجـبـتـه ... وهـل يَـدَعُ الـدَّاعـيـن إلَّا الـيَـلَـنْـدَدُ[١٣]

[الطويل]

أسرت عَنَزَةُ حاتماً، فجعل نساء عنزة يُدارئن بعيراً ليفْصدنه، فضعُفْن عنه، فقلن: يا حاتم أفاصِدُه أنت إن أطلقنا يديك؟ قال: نعم، فأطلقن إحدى يديه، فوَجأ[١٤] لَبَّتَه[١٥] فاستَدمَيْنه، ثم إن البعير عَضِد أي لوى عنقه أي خَرَّ، فقلن: ما

(١) الدرء: الذب والدَّفع.
(٢) يحنِف: يميل.
(٣) الأبلح: الجاحد.
(٤) المعتسف: المتهور، الراكب الأمر بلا تدبُّر.
(٥) الوقيعة: النّصل.
(٦) المِذْود: الرمح القصير.
(٧) رِمته: فارقته.
(٨) العويص: الشديد.
(٩) ضنَّ: بخل.
(١٠) المصرَّد: القليل العطاء.
(١١) الخَبّ: المخادع، الساعي بين الناس بالخديعة.
(١٢) الأقوَد: المنقاد الذليل.
(١٣) اليلندد: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق.
(١٤) وجأ: شق، ضرب.
(١٥) اللَّبَّة: مقدِّمَة العنق أو المنحر.

صنعت؟ قال: هكذا فصدي، فجرت مثلاً، قال: فلطمته إحداهن فقال: ما أنتن نساءَ عنزة بكرام ولا ذوات أحلام. وإن امرأة منهن يقال لها عاجزة أعجبت به فأطلقته، ولم ينقموا عليه ما فعل، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده:

كـذلـك فـصـدي إن سـألـت مَـطـيَّـتـي دمُ الـجَـوْف إذْ كُـلُّ الـفـصـاد وخـيـمُ

أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتماً فقالوا له: إنّا تركنا قومنا يُثنون عليك خيراً، وقد أرسلوا إليك رسولاً برسالة، قال: وما هي؟ فأنشده الأسديون شعراً لعَبيد ولبشر يمدحانه، وأنشد القيسيون شعراً للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنّا نستحيي أن نسألك شيئاً وإن لنا لحاجة، قال: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد رَجِلَ، فقال حاتم: خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها، وربطت الجارية فلوَها بثوبها، فأفلت فاتبعته الجارية، فقال حاتم: ما تبعكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو[1] والجارية، وإنهم وردوا على أبي حاتم فعرف الفرس والفلو فقال: ما هذا معكم؟ فقالوا: مررنا بغلام كريم فسألناه فأعطى الجسيم.

قال: وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجود، فقال رجل من القوم: أجود الناس حيّاً وميتاً حاتم، فقال معاوية: وكيف ذلك؟ فإن الرجل من قريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قطّ ولا قومه، فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين أن نفراً من بني أسد مرّوا بقبر حاتم فقالوا لنبخلنَّه ولنخبرَنَّ العرب أنا نزلنا بحاتم فلم يَقْرِنا، فجعلوا ينادون: يا حاتم ألا تَقْري أضيافك؟ وكان رئيسَ القوم رجلٌ يقال له أبا الخَيبريّ، فإذا هو بصوت ينادي في جوف الليل:

أبـا خـيـبـريٍّ وأنـت امـرؤٌ ظـلـوم الـعـشـيـرة شَـتَّـامُـهـا

[المتقارب]

إلى آخرها، فذهبوا ينظرون فإذا ناقة أحدهم تَكُوس[2] على ثلاث أرجل عَقيراً، قال: فعجب القوم من ذلك جميعاً.

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما، فبلغ ذلك حاتماً فقال:

ولـقـد بـغـى بـجِـلاد أوسٍ قَـوْمِـهِ ذُلّاً وقـد عـلـمـت بـذلـك سُـنْـبـسُ

(١) الفلو: المهر أو الجحش عُزل عن الرضاع.
(٢) تكُوس: تمشي على ثلاثة أرجل.

حاشا بني عمرو بن سنبسَ إنهم ... منعوا ذِمار أبيهم لا يُدنَسُ
وتواعدوا وِرْد القُرَيَّة غُدوةً ... وحلفت باللَّه العزيز لَنَحْبِسُ
واللَّهُ يعلم لو أتى أسلافَهم ... طَرَفُ الجَريضِ[١] لظلَّ يومٌ مشكَسُ[٢]
كالنار والشمس التي قالت لها ... بيد اللُّوَيْمِس عالِماً ما يَلْمُسُ
لا تَطْعَمَنَّ الماء إن أوردتهم ... لتمام ظمْئِكُمُ ففوزوا واحْلَسُوا[٣]
أو ذو الحُصَين وفارسٌ ذو مِرَّةٍ ... بكتيبةٍ من يدركوه يَفْرِسوا
وموطَّأ الأكنافِ غيْرُ مُلَعَّنٍ ... في الحَيّ مشَّاءٌ إليه المَجْلِسُ

[الكامل]

قال: وجاور في بدر زَمَن احتربت جَديلةُ وثعلُ وكان ذلك زمن الفساد، فقال يمدح بني بدر:

إن كنتِ كارهةً معيشتنا ... هاتي فحُليِّ في بني بَدْرِ
جاورتهم زمن الفساد فنعـ ... ـم الحيُّ في العَوْصاء[٤] واليُسْرِ
فسُقيتُ بالماء النَّمير ولمْ ... [أُترك لأطْمر حمأة الجَفْرِ
ودُعِيتُ في أولى النَّديّ ولم] ... يُنظر إليّ بأعين خُزْرِ
ألضاربين لدى أعنَّتهم ... والطاعنين وخيلُهم تَجري
ألخالطين نَحيتَهم بنُضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

[الكامل]

وزعموا أن حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة، فلما كان بأرض عَنَزة ناداه أسير لهم: يا أبا سَفَّانة، أكلني الإسارُ والقمل، قال: ويلك، واللَّه ما أنا في بلاد قومي، وما معي شيء، وقد أسأتَ بي إذ نوَّهْت باسمي، ومالَك مَتْرَكٌ، فساومَ به العَنَزيين، فاشتراه منهم، فقال: خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قَيْده حتى أؤديَ فداءه ففعلوا فأُتيَ بفدائه.

وحدث الهيثم بن عدي عمن حدثه:

عن ملحان ابن أخي ماويةَ امرأة حاتم قال: قلت لماوية: يا عمة، حدثيني ببعض عجائب حاتم، فقالت: كل أمره عجب، فعن أيِّهِ تسأل؟ قال: قلت: حدثيني ما شئت، قالت: أصابت الناسَ سَنَةٌ[٥] فأذهبت الخُفَّ والظِّلْف[٦]، فإني ليلةً قد

(١) الجريض: الغمّ والفصص.
(٢) مشكس: شديد عَسِرٌ.
(٣) أحلس: لزم المكان وأقام به.
(٤) العوصاء: الداهية الشديدة.
(٥) السنة: السنة المجدِبة القاحلة.
(٦) الظِّلف: هو للبقرة والشاة بمنزلة القدم لنا.

أسهرنا الجوع، قالت: فأخذ عَديّاً وأخذت سَفَّانة، وجعلنا نعللهما حتى ناما، ثم أقبل عَلَيَّ يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام، فَرقَقْتُ له لما به من الجَهْد، فأمسكت عن كلامه لينام، فقال لي: أنمت؟ مراراً، فلم أجب، فسكت، فنظر في فَتْق الخباء فإذا شيء قد أقبل، فرفع رأسه فإذا امرأة، فقال: ما هذا؟ قالت: يا أبا سَفَّانة، أتيتك من عند صبية يتعاوَوْنَ كالذئاب جُوعاً، فقال: أحضريني صبيانك، فواللَّه لأشبعنَّهم، قالت: فقمت سريعاً فقلت: يا حاتم؟ فواللَّه ما نام صبيانك من الجوع إلَّا بالتعليل، فقال: واللَّه لأشبعنَّ صبيانك مع صبيانها، فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها، ثم قدح ناراً، ثم أجَّجها ثم دفع إليها شَفْرة فقال: اشتوي وكُلي، ثم قال: أيقظي صبيانك، قالت: فأيقظتهم، ثم قال: واللَّه إن هذا لَلُؤمٌ، تأكلون وأهلُ الصِّرْم حالهم مثل حالكم، فجعل يأتي الصرْمَ بيتاً بيتاً فيقول، انهضوا، عليكم بالنار، قال: فاجتمعوا حول تلك الفرس، وتقنَّع بكسائه فجلس ناحية، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلَّا عظم وحافر، وإنه لأشدُّ جوعاً منهم وما ذاقه.

أتى حاتم مُحَرِّقاً، فقال له محرق: بايعْني فقال له: إنَّ لي أخوين ورائي، فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا، قال: فاذهبْ إليهما فإن أطاعاك فأتني بهما، وإن أبيا فأذَنْ بحرب، فلما خرج حاتم قال:

أتـانـي مـن الـرّيَّـان أمـس رسـالـةٌ ... وعُـدْوَى وغـيٌّ مـا يـقـول مُـوَاسـلُ
هـمـا سـألانـي مـا فـعـلـتَ وإنـنـي ... كـذلـك عـمـا أحـدثـا أنـا سـائـلُ
فـقـلـت ألا كـيـف الـزمـانُ عـلـيـكـمـا ... فـقـالا بـخـيـر كـل أرضـك سـائـلُ

[الطويل]

فقال محرق: ما أخواه؟ قيل: طَرَفَا الجَبَل، فقال: ومَحْلُوفه لأُجَلِّلَنَّ مُواسلاً الرَّيْطَ مصْبوغاتٍ بالزيت ثم لأشعلنَّه بالنار، فقال رجل من الناس: جبل مُرْتَقًى بين مداخل سُبُلَّات فلما بلغ ذلك مُحَرقاً قال: لأقْدمَنَّ عليك قُرَيَّتَك، ثم إنه أتاه رجل فقال له: إنك إنْ تَقْدَم القُرَيَّة تَهْلك، فانصرف ولم يَقْدَم.

غزت فَزَارةُ طيئاً وعليهم حُصَينُ بن حُذَيفة، وخرجت طيء في طلب القوم، فلحق حاتمٌ رجلاً من بني بدر فطعنه، ثم مضى فقال: إن مرَّ بك أحدٌ فقل له: أنا أسير حاتم، فمر به أبو حَنْبل فقال: من أنت؟ قال: أنا أسير حاتم، فقال له: إنك يقتلك، فإن زعمتَ لحاتم أو لمن سألك أني أسرتُك ثم صرتَ في يدي خلَّيتُ سبيلك، فلما رجعوا قال حاتم: يا أبا حنبل خَلِّ سبيلَ أسيري، فقال أبو حنبل: أنا أسرْتُه، فقال حاتم: قد رضيتُ بقوله، فقال: أسرني أبو حنبل، فقال حاتم:

إنَّ أبـــاك الـــجَـــوْنَ لـــم يَـــكُ غـــادراً ألَا مـــن بـــنـــي بَـــدرٍ أتـــتْـــك الـــغـــوائـــلُ
[الطويل]

صـــوت

وهـــاجـــرة مـــن دون مَـــيَّـــة لـــم تَـــقِـــلْ قـلـوصـي بـهـا والـجُـنْـدَب الـجَـوْنُ يَـرْمَـحُ
بـتـيـهـاء مِـقْـفـار يـكـادُ ارتـكـاضُـهـا بـآلِ الـضُّـحى والـهَـجْـرُ بـالـطرف يَـمْـصَـحُ
[الطويل]

الهجر هاهنا مرفوع بفعله، كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجر، ويمصح: يذهب بالطرف.

كـأنَّ الـفِـرِنْـدَ الـمَـحْـضَ مَـعْـصـوبـةٌ بـه ذُرَا قُـورِهـا يَـنْـقَـدُّ عـنـهـا ويُـنْـصَـحُ
إذا ارْفَـضَّ أطـرافُ الـسـيـاط وهَـلـلـتْ جُـروم الـمـطَـايـا عَـذَّبـتْـهُـنَّ صَـيْـدحُ
[الطويل]

عروضه من الطويل، الهاجرة: تكون وقت الزوال، والجُنْدَب: الجرادة، والجَوْن: الأسود، والجون: الأبيض أيضاً وهو من الأضداد، وقوله يرمح أي يَنْزو من شدَّة الحرّ لا يكاد يستقر على الأرض، والتيهاء من الأرض: التي يُتَاه فيها، والمقفار: التي لا أحد فيها ولا ساكن بها، ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعي، وارتكاضها يعني ارتكاض هذه التيهاء وهو نَزْوُها بالآل، والآل: السراب، والهَجْر والهاجرة واحد، وقوله الهجر بالطرف يمصح رفع الهجر بفعله، كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجرُ، ويَمْصَح: يذهب بالطرف. والفِرِنْد: الحرير الأبيض، والمحض: الخالص، يقول: كأن هذا السراب حرير أبيض وقد عُصِبت به ذُرَا قورها وهي الجبال الصغار والواحدة قارَة، فتارة يغطيها وتارة يَنْجَاب عنها وينكشف، فكأنه إذا انكشف عنها يَنْقَدُّ عنها، وكأنه إذا غطَّاها يُنْصَح عنها أي يُخاط، ويقال: نَصَحْت الثوبَ إذا خِطْته، والناصح: الخيَّاط والنِّصَاح: الخَيْط، وقوله: ارفضَّ أطرافُ السِّياط يعني أنها انفتحت أطرافها من طول السفر، وأصل الارفضاض التفرق. والجُروم: الأبدان واحدها جِرْم بالكسر، وقوله هللت جُرُوم المطايا يعني أنها صارت كالأهلَّة في الرّقة، وصيدح اسم ناقته.

الشعر لذي الرمة. والغناء لإبراهيم الموصلي ماخوري بالوسطى.

ذكر ذي الرمَّة وخبره

اسمه غيلان بن عُقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عَديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وقال ابن سلَّام: هو غيلان بن عقبة بن بُهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان، ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقب، يقال لقبته به مَيّة، وكان اجتاز بخِبائها وهي جالسة إلى جنب أمها، فاستسقاها ماء فقالت قُومي فاسقيه، وقيل: بل خرق إداوته[1] لما رآها وقال لها: اخرزي لي هذه، فقالت: واللَّه ما أحسن ذلك فإني لَخَرقاء. قال: والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قومها، فقال لأمها: مُريها أن تسقيني ماء، فقالت لها: قومي يا خَرْقاء فاسقيه ماء، فقامت فأتَتْه بماء، وكانت على كتفه رُمَّة، وهي قطعة من حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرُّمة فلُقب بذلك.

وحكى ابن قتيبة أن هذه القصة جرت بينه وبين خرقاء العامرية.

وقال ابن حبيب: لُقب ذو الرمة بقوله:

أشـــعـــث بـــاقـــي رُمـــة الـــتـــقْـــلِـــيـــد

وقيل: بل كان يصيبه في صغره فزع، فَكتَبَتْ له أمه تميمة فتعلقها بحبل فلقب بذلك ذا الرمة.

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، عن أبيه وعن أشياخه وعدة من أهل البادية من بني عدي منهم زُرْعة بن دبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم أن أم ذي الرمة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدوي وهو يُقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم، فقالت له: يا أبا الخليل، إن ابني هذا يُروَّع بالليل، فاكتُب لي مَعَاذةً أعلقها على عنقه فقال لها: ائتيني بِرَقٍّ[2] أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن فهل يستقيم في غيرِ رَقّ أن يكتب له؟ قال: فجئيني بجِلْد، فأتته

(١) الإداوة: الإناء الصغير من الجِلد.

(٢) الرِّق: الجلد الرقيق يكتب فيه.

بقطعة جلد غليظ فكتب له مَعَاذة فيه، فعلّقته في عنقه، فمكث دهراً ثم إنها مرت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصين وهو جالس في مَلإ من أصحابه ومواليه، فدنت منه فسلمت عليه وقالت: يا أبا الخليل ألا تسمع قول غَيْلان وشعرَه؟ قال: بلى، فتقدم فأنشده وكانت المَعَاذةُ مشدودة على يساره من حبل أسود، فقال الحصين: أحْسَن ذو الرمة، فغلبَتْ عليه.

وقال الأصمعي: أم ذي الرمة امرأة من بني أسد يقال لها ظَبْيَة، وكان له إخوة لأبيه وأمه شعراء، منهم مسعود، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته.

إلى اللَّه أشكو لا إلى الناس أنني ... وليلى كلانا مُوجَع مات وافدهْ

[الطويل]

ولمسعود يقول ذو الرمة:

صوت

أقولُ لمسعود بجَرْعاءِ مالك ... وقد هَمَّ دمعي أن تَسِيحَّ أوائلُهْ

ألَا هلْ ترى الأظعانَ جاوَزْن مُشْرفاً ... من الرمل أو سالت بهن سلاسلُهْ

[الطويل]

غنّى فيه يحيى بن المكي ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرمة ويرثي أوفى بن دَلْهَم ابنَ عمه وأوفى هذا أحد من يُرْوَى عنه الحديث ـ وقال هارون بن محمد الزيات أخبرني ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لذي الرمة إخوة ثلاثة مسعود وجِرْفاس وهشام كلهم شعراء، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فَيبني عليها ذو الرمة أبياتاً أخر فينشدها الناسَ فيغلب عليها لشهرته وتنسب إليه ـ

نعى الرّكْبُ أوْفى حين آبتْ ركابهُمْ ... لَعَمْري لقد جاؤوا بشَرٍّ فأوْجَعوا

نَعَوْا باسقَ الأخلاقِ لا يُخْلَفُونه ... تكاد الجبال الصُّمُّ منه تَصَدَّعُ

خَوى المسجد المَعْمُور بعد ابنِ دَلهم ... فأضحى بأوفى قومُه قد تضعضعوا

تَعَزَّيْتُ عن أوْفى بغَيْلانَ بعده ... عزَاءً وجفْنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِني أوْفَى المُصيباتُ بعدَه ... ولكنْ نِكاءُ القَرْح بالقَرْح أوْجَعُ

وأخوه الآخرُ هشامٌ وهو ربّاه، وكان شاعراً ولذي الرمة يقول:

أغـيـلانُ إنْ تـرجـعْ قُـوَى الـوُدّ بـيـنـنـا فـكـلُّ الـذي ولَّـى مـن الـعـيـش راجـعُ
فكـنْ مثـلَ أقصى النـاس عـنـدي فإنـني بـطـول الـتـنـائـي مـن أخ الـسـوء قـانـعُ
[الطويل]

وقال ذو الرمة لهشام أخيه:

أغَـرَّ هـشـامـاً مـن أخـيـه ابـن أمّـه قَـوَادِمُ ضَـأنٍ أقـبـلَـتْ وربـيـعُ
وهـل تُـخْـلِـفُ الـضـأنُ الـغِـزارُ أخـا الـنَّـدا إذا حـلَّ أمْـرٌ فـي الـصـدور فـظـيـعُ
[الطويل]

فأجابه هشام فقال:

إذا بـان مـالـي مـن سَـوَامِـك لـم يـكـن إلـيـك وربِّ الـعـالـمـيـن رُجُـوعُ
فـأنـت الـفـتـى مـا اهـتـزَّ فـي الـزَّهَـرِ الـنَّـدَى وأنـت إذا اشـتـد الـزمـانُ مَـنُـوعُ
[الطويل]

وذكر المهلبي عن أبي كريمة النحوِي قال:

خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدهناء، فسنحت لهما ظبية فقال ذو الرمة:

أقـولُ لـدهْـنـاوِيَّـةٍ عَـوْهَـجٍ[1] جَـرَتْ لـنـا بـيـن أعـلـى بُـرْقـةٍ بـالـصـرائـم[2]
أيـا ظـبـيـة الـوَعْـسـاء بـيـن جُـلاجِـل وبـيـن الـنـقـا آأنْـت أمْ أمُّ سـالِـم
[الطويلَ]

وقال مسعود:

فـلـو تُـحْـسـن الـتـشـبـيهَ والـنَّـعْـتَ لـم تَـقُـلْ لـشـاةِ الـنَّـقـا آأنـت أمْ أمُّ سـالـم
جـعـلـت لـهـا قَـرنـيـن فـوق قُـصَـاصـهـا[3] وظِـلْـفـيـن[4] مُـسْـوَدَّيـن تـحـت الـقـوائـم
[الطويلً]

وقال ذو الرمة:

هـي الـشَّـبْـهُ لـولا مِـدْرَيَـاهـا وأذْنُـهـا سَـوَاء ولـولا مَـشْـقَـةٌ فـي الـقـوائـم
[الطويلَ]

---

(١) العوهج: الطويلة العنق.
(٢) الصرائم: الرمال مفردها الصريمة.
(٣) قُصاص: مجرى المقص من رأس المرء.
(٤) الظِّلف: هو للبقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم لنا.

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتي الحَضَر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طُفيليّاً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثني الحسن بن علي قال: حدثني ابن سعيد الكنديُّ قال: سمعت ابن عياش يقول:

حدثني من رأى ذا الرمة طفيليّاً يأتي العُرُسَات.

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن الزيات قال: أخبرني محمد بن صالح العدوي قال: قال زرعة بن دبول:

كان ذو الرمة مُدوَّر الوجه، حسن الشَّعْرَة جعدها، أقنى[١] أنزع[٢] خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك مفوَّهاً، إذا كلمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء.

وقال حماد بن إسحاق. حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة،

عن عمته، عافية وغيرها من أهله أنهم رأوا ذا الرمة باليمامة عند المُهاجِر بن عبد اللَّه: شيخاً أجنأ سِناطاً متساقطاً.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: حدثني علي بن أحمد الباهلي قال: حدثني ربيح النميري قال:

اجتمع الناس مرة وتحلَّقوا على ذي الرمة [وهو ينشدهم، فجاءت أمُّه فاطلعت من بينهم، فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة] وكان دميماً شَخْتاً[٣] أجنأ[٤]، فقالت أمه: استمعوا إلى شعره ولا تنظروا إلى وجهه.

قال هارون: وأخبرني يعقوب بن السكّيت عن أبي عدنان قال: أخبرني أسيد الغَنويّ قال: سمعت ببادِيتنا من قوم هضبوا [في] الحديث.

أن ذا الرمة كان تِرْعيَّة وكان كِنَازَ اللَّحْم مربوعاً قصيراً وكان أنفه ليس بالحسن.

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، عن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، عن صالح بن سليمان قال:

كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة، وأهلُ البادية يُعجبهم شعرُه، قال: وكان

---

(١) الأقنى: المرتفع قصبة الأنف.
(٢) الأنزع: منحسر الشعر عن جانبي جبهته.
(٣) الشخت: الضامر من غير هزال.
(٤) الأجنأ: المنكبّ كاهله على صدره أو الأحدب.

صالح بن سليمان راوية لشعر ذي الرمة، فأنشد يوماً قصيدةً له وأعرابيٌّ من بني عديٍّ يسمع، فقال: أشهد عَنَّك ـ أي أنك ـ لفقيهٌ تحسن ما تتلوه. وكان يحسبه قرآناً.

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثني هارون بن محمد الزيات عن محمد بن صالح العَدَوِي قال: قال حماد الراوية:

قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة:

أعاذلُ قد أكثرت من قولِ قائلِ وعيبٌ على ذي الوُدِّ لومُ العواذلِ

[الطويل]

هذا واللَّه ملهم، وما عِلْم بَدويٍّ بدقائق الفِطنة وذخائر كنز العقل المعَدّ لذوي الألباب؟ أحسنَ ثم أحسن.

قال محمد بن صالح: وحدثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكميت وقال: لما أنشد قوله في هذه القصيدة:

دَعاني وما داعي الهوى من بلادها إذا ما نأت خرقاء عني بغافلِ

[الطويل]

فقال الكميت: للَّه بلادُ هذا الغلام، ما أحسن قولَه وما أجود وصفه، ولقد شفع البيتَ الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة. وقال قوْلَ مُستسلم.

قال ابن كناسة: وقال لي حماد الراوية: ما أخّر القومُ ذكْرَه إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه.

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المطرف.

لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذي الرمة ولا أحسن جواباً، كان كلامه أكثر من شعره.

وقال الأصمعيّ ما أعلم أحداً من العُشاق الحضريين وغيرهم شكا حبّاً أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل رصين.

قال: وقال أبو عبيدة: ذو الرمة يُخبر فيُحسن الخبر، ثم يَرُدُّ على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الردّ، ثم يعتذر فيحسن التخلص، مع حسن إنصاف وعفاف في الحكم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشمي، عن مولًى لجده قال:

رأيت ذا الرمة بسوق المِرْبَد، وقد عارضه رجل يهزأ به، فقال له: يا أعرابي أتشهد بما لم تر؟ قال: نعم، قال: بماذا؟ قال: أشهد أن أباك ناك أمك.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد اللَّه عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل قال:

كان جرير عند بعض الخلفاء، فسأله عن ذي الرمة، فقال: أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره.

أخبرني وكيع، عن حماد بن إسحاق قال:

قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو قال:

خُتم الشعر بذي الرمة، وخُتم الرجز برؤبة، قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون؟ قال: كَلٌّ على غيرهم، إن قالوا حَسَناً فقد سُبقوا إليه، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز؛ عن المدائني، عن بعض أصحابه.

عن حماد الراوية قال: أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد اللَّه، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل.

أن جريراً والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أمية، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراده عن ذي الرمة، فكلاهما قال: أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره، فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعاً.

أخبرني جحظة، عن حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي قال:

أُنشِد الصَّيْقَلُ شعْرَ ذي الرمة فاستحسنه وقال: ماله قاتله اللَّه ما كان إلَّا رُبيقةَ[1] هلَّا عاش قليلاً؟

(١) الرُبيقة: تصغير للربقة وهي العروة في الحبل.

وقال هارون بن محمد: أخبرني علي بن أحمد الباهلي قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخي، عن سفيان بن عيينة.

عن ابن شبرمة قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلتُ: كأنه، ثم لم أجد متخرجاً فقطع اللَّه لساني.

قال هارون: وحدثني العباس بن ميمون طائع قال: قال الأصمعي:

كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شَبّه ولم يكن بالمُفْلِق.

وحدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال:

كان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين وكان علماؤنا يقولون: أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرمة.

[أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه، عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأم ميّة قالت.

كنا نازلين بأسافل الدهناء. وكان رهط ذي الرمة مجاورين لنا، فجلست ميّة وهي حينئذٍ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته، تغسل ثياباً لها ولأمها في بيت منفرد وكان بيتاً رثّاً قد أخلق ففيه خروق، فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها، فأقبل ذو الرمة حتى دخل إلينا، ثم سلّم ونَشد ضالَّة وجلس ساعة، ثم خرج، فقالت مية: إني لأرى هذا العدوي قد رآني منكشفة واطلع عليّ من حيث لا أدري، فإن بني عدي أخبث قوم في الأرض فاذهبي فقُصّي أثره، فخرجت فوجدته ما يثبت مقامه، فقصصت أثره ثانية حتى رأيته قد تردد أكثر من ثلاثين طرقة، كل ذلك يدنو فيطلع إليها ثم يرجع على عقبيه ثم يعود فيطلع إليها، فأخبرتها بذلك، ثم لم ننشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان].

وذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازي: أن هارون بن مسلم بن سعد حدثه عن غُصَين الأسدي.

عن عمارة بن ثقيف قال: حدثني ذو الرمة أن أول ما قاد المودة بينه وبين مية أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بِغاء إبل لهم، قال: فبينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش، فعَدلْنا إلى حِوَاء[1] عظيم، فقال لي أخي وابن عمي: ائت الحواءَ فاستسق لنا، فأتيته وبين يديه في رُواقه عجوز جالسة، قال: فاستسقيت فالتفتت

(١) الحِواء: البيوت المتقاربة.

وراءها فقالت: يا ميُّ اسقي الغلام، فدخلت عليها فإذا هي تنسج عِلْقةً[١] لها وهي تقول:

يا من يرى برقاً يمرُّ حينَا زمزم رَعْداً وانتحى يمينَا
كأنَّ في حافاته حَنينا أو صوت خيل ضُمَّر[٢] يَرْدينَا[٣]

[الرجز]

قال: ثم قامت تصُبُّ في شَكْوَتي[٤] ماء وعليها شَوْذَب[٥] لها، فلما انحطَّت على القِرْبة رأيتُ مُوَلَّى لم أر أحسن منه، قال: فلهوت بالنظر إليها، وأقبلت تصبُّ الماء في شَكْوَتي، والماءُ يذهب يميناً وشمالاً، قال: فأقبلت عليّ العجوزُ وقالت: يا بنيَّ ألهتك ميّ عما بعثك أهلك له، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً؟ قال: فأقبلتُ على العجوز فقلت: أمَا واللَّه ليطولنّ هِيَامي بها، قال: وملأت شَكْوتي وأتيت أخي وابن عمي، ولففت رأسي فانتبذت ناحية، وقد كانت ميّ قالت: لقد كلَّفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك، فأنشأت أقول:

قد سخرتْ أختُ بني لبيدِ مني ومن سَلْم ومن وَليدِ
رأت غُلامَيْ سفرٍ بعيدِ يَدَّرِعان الليلَ ذا السُّدودِ[٦]
مثل ادِّراع اليَلْمَق[٧] الجديدِ

[الرجز]

قال: وهو أول قصيدة قلتها ثم أتممتها.

هل تعرف المنزل بالوحيدِ

[الرجز]

ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن النوفلي قال: سمعت أبي يقول: ضاف ذو الرمة زوجَ ميٍّ في ليلة ظلماء، وهو طامع في ألَّا يعرفه زوجُها فيدخله

(١) العِلقة: القميص بلا كمين.
(٢) الضُمَّر: مفردها الضامر هو دقيق الخصر، خامص البطن.
(٣) يردين: يضربن الأرض بحوافرهن.
(٤) الشكوة: الوعاء من الجلد للماء وغيره.
(٥) الشوذَب: ثوب طويل.
(٦) السُّدود: الظلمات الحالكة التي تسد الأفق.
(٧) اليلمق: القباء.

بيته فيَقريه فيراها، ففطن له الزوجُ وعرفه فلم يدخله، وأخرج إليه قراه وتركه بالعَراء، وقد عرفته ميّةُ، فلما كان في جوف الليل تغني غناء الرُّكبان قال:

أراجعةٌ يا ميُّ أيامُنا الألى بذي الأثْل أم لا ما لَهُنَّ رُجوعُ

[الطويل]

فغضب زوجها وقال: قومي فَصيحي به: يا ابن الزانية وأيُّ أيام كانت لي معك بذي الأثل؟ فقالت: يا سبحان اللَّه، ضيفٌ، والشاعر يقول، فانتضى السيف وقال: واللَّه لأضربنك به حتى آتيَ عليك أو تقولي، فصاحت به كما أمرها زوجها، فنهض على راحلته فركبها وانصرف عنها مُغضباً يريد أن يصرف مودته عنها إلى غيرها، فمرّ بفَلْج في ركْب، وبعضُ أصحابه يريد أن يرقع خُفَّه، فإذا هو بجَوَارٍ خارجاتٍ من بيت يُردْن آخَرَ، وإذا خرقاءُ فيهن وهي امرأة من بني عامر، فإذا جارية حُلوةٌ شهلاءُ[١]، فوقعت عينُ ذي الرمة عليها، فقال لها: يا جارية، أترقعين لهذا الرجل خُفَّه؟ فقالت تهزأ به: أنا خرقاء لا أحْسنُ أعملُ، فسماها خرقاء وترك ذكْرَ ميّ يريد أن يغيظ بذلك ميّاً، فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ثم لم يلبث أن مات.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه عن الأصمعي عن عمارة بن عقيل قال:

قال جرير: خرجت مع المُهاجر بن عبد اللَّه إلى حَجَّةٍ فلقينا ذا الرمة، فاستنشده المهاجر فأنشده:

ومنْ حاجتي لولا التنائي ورُبَّما مَنَحْتُ الهوى مَن ليس بالمتقاربِ
عَطابيلُ[٢] بيضٌ من ربيعة عامرٍ عِذابُ الثنايا مُثْقلات الحقائبِ
يَقِظْنَ الحمى والرملُ منهن مَحْضَر ويشربن ألبان الهِجان[٣] النجائبِ[٤]

[الطويل]

فالتفت إليَّ المهاجرُ وقال: أتراه مجنوناً.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: أخبرنا أبو البيداء الرِّياحي قال: قال جرير: قاتل اللَّه ذا الرمة حيث يقول:

---

(١) الشهلاء: التي يشوب سواد عينيها زرقة.
(٢) العطابيل: مفردها العطبول وهو الطويل الحسن.
(٣) الهِجان: الكرام.
(٤) النجائب: مفردها النجيبَة وهي الحسيبة من الإبل.

ومُـنـتـزعٍ مـن بـيـن نِـسْـعَـيْـه جِـرَّةً نَشيجَ[١] الشجا[٢] جاءت إلى ضِرْسه نَزْرَا
[الطويل]

أما واللَّه لو قال: ما بين جنبيه، لما كان عليه من سبيل.

أخبرني الطوسي وحبيب المهلبي، عن ابن شبة، عن أبي غزاله، عن هشام بن محمد الكلبي، عن رجل من كندة قال:

سئل جرير عن شعر ذي الرمة فقال: بعر ظباء ونُقَط عروس تضمحلّ عن قليل.

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال:

كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرمة نقط عروس تضمحلّ عما قليل، وأبعار ظبي لها شَمٌّ في أول شمة ثم تعود إلى أرواح البعر.

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة:

وقف الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد قصيدته التي يقول فيها:

إذا ارفـضَّ أطـراف الـسـيـاط وهُـلِّـلـت جُـروم [الـمـطـايـا] عـذّبـتـهـن صَـيْـدَحُ
[الطويل]

فقال ذو الرمة: كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال: أسمع حسناً، قال: فما لي لا أعدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويتقاعد بك ذكرُك الأبعارَ وبكاؤك الديار ثم قال:

ودَوِّيَّـةٍ لـو ذو الـرُّمـيـمـة أمَّـهـا لَـقَـصَّـر عـنـهـا ذو الـرِّمـام وصَـيْـدَحُ
قـطـعـتُ إلـى مَـعـروفـهـا مُـنْـكـراتـهـا إذا اشـتـدَّ آلُ[٣] الأمـعـزِ[٤] الـمُـتَـوَضِّـحُ
[الطويل]

وقال عمر بن شبة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك اللَّه أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً، فقال: إنهما بيتان ولن أزيد عليهما شيئاً.

قال: وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو:

إنما شعره نقط عروس تضمحلّ عما قليل، وأبعار ظباء لها شمٌّ في أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار.

---

(١) النشيج: صوت النفس، تنفس الصعداء.
(٢) الشجا: العود المعترض في الحلق.
(٣) الآلُ: السراب.
(٤) الأمعز: الأرض الغليظة ذات الحجارة.

وكان هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لَجأ التيميّ، وتَيمٌ وعَديٌّ أخوان من الرِّباب، وعُكْل أخوهم، ولذلك يقول جرير لعُكْل:

فلا يَضْغَمَنَّ الليثُ عُكْلاً بِغِرَّةٍ وعُكْلٌ يَشَمُّون الفَريسَ المُنيَّبَا

[الطويل]

الفريس هاهنا ابنُ لَجأ، وكذلك يفعل السبع، إذا ضَغَم شاة ثم طُرد عنها أو سبقته أقبلت الغنم تَشمُّ موضع الضَّغْم[1] فيفترسها السبع وهي تشم، ولذلك قال جرير لبني عدي:

وقلتُ نصاحةً لبني عديٍّ ثيابَكُمُ ونَضْحَ دَم القتيلِ

[الوافر]

يُحذِّر عديّاً ما لقي ابنُ لجأ.

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا أبو عبد اللَّه بن سلام، قال أخبرني أبو يحيى الضبي قال:

قال ذو الرمة يوماً: لقد قلت أبياتاً إن لها لعُرُوضاً وإن لها لمُراداً ومعنى بَعيداً، قال له الفرزدق: ما هي؟ قال: قلت:

أحين أعاذتْ بي تميمٌ نساءَها وجُرّدتُ تجريد اليماني من الغِمْدِ
ومَدَّتْ بضَبْعَيَّ الرِّبَابُ ومَالكٌ وعمرٌو وشالَتْ من ورائي بنو سَعْدِ
ومن آل يَرْبوعٍ زُهاءٌ كأنه زُها الليل محمودُ النِّكاية والرِّفْدِ

[الطويل]

فقال له الفرزدق: لا تعودنّ فيها فأنا أحقّ بها منك، قال: واللَّه لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك، فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكنا إذا القَيْسيُّ نَبَّ[2] عَتُوده[3] ضَربناه فوق الأنثيين إلى الْكَرْدِ

[الطويل]

الأنثيان: الأذنان، والكَرْدُ: العُنق.

وروى هذا الخبر حمادٌ عن أبيه عن أبي عبيدة.

عن الضحاك بن القاسم الفقيمي قال: بينا أنا بكَاظِمَةَ وذو الرمة يُنشد قصيدته التي يقول فيها:

أحين أعاذت بي تميم نساءها

(١) الضَّغم: العَضّ. (٢) نَبَّ: صاح عند الهياج، ونبّ عتوده: تكبَّر.
(٣) العَتود: الجدي الحولي من أولاد المعز جمعها: أعتدة وعِدّان وأصله عِتْدانٌ فادغمت.

إذا راكبان قد تدليا من نَقْب كاظمة مُقنّعان فوقفا، فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال لراويته: يا عُبيد، اضمَم إليك هذه الأبيات، قال له ذو الرمة: نَشدتُك اللَّهَ يا أبا فراس، فقال له: أنا أحقّ بها منك. وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

[أخبرنا أبو خليفة قال] حدثنا محمد قال: حدثنا أبو الغَرّاف قال:

مرّ ذو الرمة بمنزل لامرئ القيس بن زيد مناة يقال له مَرْأةُ، به نخل، فلم يُنزلوه ولم يقروه فقال:

نزلنا وقد طال النهار وأوْقَدتْ ... علينا حَصى المَعْزاء[1] شَمْسٌ تَنالُها
أنخنا فظُلّلْنا بأبْراد يُمْنَةٍ ... عِتاقٍ وأسياف قديمٍ صقالُها
فلما رآنا أهل مَرْأةَ أغلقوا ... مخادع لم تُرْفع لخيرٍ ظلالُها
وقد سُمِّيَتْ باسم امرئِ القيس قَريَةٌ ... كرامٌ صَواديها[2] لئامٌ رجالُها

[الطويل]

فلجّ الهجاء بين ذي الرمة وبين هشام المرَنيّ، فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد:

صوت

وَقفتُ على رَبْع لميَّة ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبُهْ
وأسقيه حتى كاد مما أبثُّه ... تكلّمني أحجاره وملاعبُهْ

[الطويل]

غنّى فيه إبراهيمَ ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر، وسيأتي خبره بعد لئلّا ينقطع هذا الخبر.

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء في الديار والعبد يَرتجز بك في المقابر، يعني هشاماً. وكان ذو الرمة مسْتعْلياً هشاماً حتى لقي جريرٌ هشاماً فقال: عليك العَبْدَ يعني ذا الرُّمة، قال: فما أصنع يا أبا حزّرة وأنا راجز وهو يُقَصِّد، والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء؟ فلو رفدتني، فقال جرير ـ لُتهمته ذا الرمة بالميل إلى الفرزدق: قل له:

---

(١) المَعزاء: الأرض الشديدة الصلبة.

(٢) الصوادي: النخيل الطوال.

غـضـبـتَ لِـرَجْـل مـن عـديٍّ تـشـمَّـسـوا وفـي أيّ يـوم لـم تـشَـمَّـسْ رجـالُـهـا
وفـيـم عَـديٌّ عـنـد تَـيْـم مـن الـعُـلا وأيَّـامُـنـا الـلَّاتـي تُـعَـدُّ فَـعَـالُـهـا
وَضَّـبـةُ عَـمّـي يـا ابـن جُـلٍّ فـلا تَـرُمْ مَـساعـيَ قـوم لـيس مـنـك سِـجـالُـهـا[1]
يُـمـاشـي عَـديّـاً لُـؤمُـهـا لا تُـجِـنُّـه مـن الـنـاس مـا مـسَّـتْ عَـديّـاً ظـلالُـهـا
فـقـلْ لـعـديٍّ تـسـتـعـنْ بـنـسـائـهـا عَـلَـيَّ فـقـد أعـيـا عَـديّـاً رجـالُـهـا
أذا الـرُّمِّ قـد قـلّـدت قـومَـك رُمَّـةً بَـطـيـئـاً بـأمـر الـمُـطـلـقـيـن انـحـلالُـهـا

[الطويل]

قال أبو عبد اللَّه: فحدثني أبو الغراف قال:

لما بلغت الأبياتُ ذا الرُّمة قال: واللَّه ما هذا بكلام هشام، ولكنه كلام ابن الأتان.

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا ابن سلام قال: حدثني أبو البيداء قال:

لما سمعها قال: هو واللَّه ينتمي شعْرَ حنظليٍّ عَدويّ. وغلب هشامٌ على ذي الرمة بها.

نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة قال: حدثني فلان المرئيّ قال:

أتانا جريرٌ على حمار وأنا لا أعرفه، فأتي بنبيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟ فدُعيَ فقال له: أنشدني ما قلتَ في ذي الرمة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدة قال: لم تصنع شيئاً، ثم قال له: قد دنا رَوَاحي فاردُدْ هذه الأبيات ومُرْ شبَّانكم بروايتها، وذكر الأبيات التي أولها قوله:

غـضـبْـتَ لـرجْـل مـن تَـمِـيـم تَـشَـمَّـسُـوا

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرمة جريراً فقال: تعصَّبت على خالك للمرئيّ، فقال جرير: حيث فعلتُ ماذا؟ قال: حين تقول للمرئيّ كذا وكذا، فقال جرير: لأنك الهالك البكاء في دار مَيَّة حتى استقبحَتْه محارمُك، قال: وقول ذي الرمة: تعصَّبْتَ على خالك أن النَّوَارَ بنت جُلّ أم حنظلة بن مالك، وهي من رهط ذي الرمة، وكذلك عني جرير بقوله:

ولـولا أن تـقـول بـنـو عَـدِيٍّ ألـم تـك أمَّ حـنـظـلـةَ الـنَّـوَارُ

(١) السِّجال: مفردها السَّجْل وهي الدلو الكبيرة.

أتتكم يا بني مِلْكَانَ مني قصائد لا تَعَاوَرُها البحارُ
[الوافر]

فقال ذو الرمة: لا، ولكن اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك، قال: كذلك هو: قال فواللَّه ما فعلتُ، وحلف له بما يُرضيه، قال: فأنشدني ما هجوت به المَرَئيّ، فأنشده قوله:

نَبَتْ عيناك عن طَلَل بحُزْوَى[١] عَفَتْه[٢] الريحُ وامْتَنَح[٣] القِطارا[٤]
[الوافر]

فأطال جدّاً، فقال له جرير: ما صنعت شيئاً، أفأرْفِدُك؟ قال: نعم، قال: قل:

يَعُدُّ الناسبون إلى تميم بيوتَ المجد أربعةً كبارَا
يعُدُّونَ الرِّبابَ وآل سَعْد وعَمْراً ثم حنظلة الخيارَا
ويَهلك بينها المرَئيُّ لَغْواً كما ألغيت في الدِّيَةِ الحُوارَا[٥]
[الوافر]

[ويُرْوى: ويذهب بينها]. فغلبه ذو الرمة بها.

قال حدثني محمد بن عمر الجَرْجَرَائي قال: حدثني جماعة من أهل العلم. أن ذا الرمة مر بالفرزدق فقال له: أنشدني أحدث ما قلت في المرئي، فأنشده هذه الأبيات، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال: أعدْ، فأعاد، فقال: كذبت وايم اللَّه، ما هذا لك، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْن منك، وما هذا إلّا شعرُ ابن الأتان، فلما سمعها المرئيُّ جعل يلطم رأسه ويصرخ ويدعو بوَيْله ويقول: قتلني جرير قتله اللَّه، هذا واللَّه شعره الذي لو نقطت منه نقطة في البحر لكدَّرته، قتلني وفضحني، فلما استعلى ذو الرمة على هشام أتى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا: يا أبا حَزْرة، عادَتُك الحسنى، فقال: هيهاتَ ظلمتُ أخوالي، قد أتاني ذو الرمة فاعتذر إليّ وحلف، فلست أعين عليهم، فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتَب[٦] وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعنز وأعانوه على مكاتبته، فقال أبياتاً عينيّة يفضل فيها بني امرئ

(١) حُزوى: موضع بنجد في ديار بني تميم.
(٢) عَفَتْه: محت أثره.
(٣) امتنح: طلب العطاء والمنحة.
(٤) القِطار: المطر المنهمر.
(٥) الحُوار: ولد الناقة من ساعة وضعه إلى حين فطمه عن أمّه.
(٦) المكاتَبُ: هو العبد الذي يكاتبه سيده على مبلغ من المال يُعتق بسداده.

القيس على بني عدي وهشاماً على ذي الرمة، ومات ذو الرمة في تلك الأيام، فقال الناس غلبه هشام.

قال ابن النطاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إياه على المرئي. فقال الناس: غلبه. ولم يغلبه: إنما مات قبل الجواب.

أخبرني اليزيدي عن محمد بن الحسن الأحول عن بعض أصحابه عن الشبو بن قسيم العذري قال:

سمعت ذا الرمة يقول: من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني، ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جُننت به جنوناً، فأما ما طاوعني القول فيه فقولي:

خـلـيـلـيّ عـوجـا مـن صـدور الـرّواحـل

وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولي:

أأنْ تـوسّـمْـت مـن خَـرْقَـاء مـنـزلـة

وأما ما جننت به جنوناً فقولي:

مـا بـال عـيـنـك مـنـهـا الـدمـعُ يَـنـسـكـبُ

أخبرني علي بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل قال:

كان جرير يقول: ما أحببت أن ينسب إليّ من شعر ذي الرمة إلا قوله:

مـا بـال عـيـنـك مـنـهـا الـمـاء يـنـسـكـب

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه قال: قال حماد الراوية.

ما تمم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها:

مـا بـال عـيـنـك مـنـهـا الـمـاء يـنـسـكـب

حتى مات، كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عدنان قال: أخبرنا جابر بن عبد اللّه بن جامع بن جرموز الباهلي، عن كثير بن ناجية قال:

بينا ذو الرمة ينشد بالمِربَد[1] والناس مجتمعون إليه إذا هو بخيَّاط يطالعه ويقول يا غيلان:

(١) المِربَد: موضع بالبصرة.

أأنت الذي تستنطق الدارَ واقفاً من الجهل هل كانتْ بكنَّ حلولُ
[الطويل]

فقام ذو الرمة وفكر زماناً ثم عاد فقعد في المربد ينشد، فإذا الخياط قد وقف عليه ثم قال له:

أأنت الذي شبهت عنزاً بقفرة لها ذَنَبٌ فوق استها أمّ سالمِ
وقرنان إمّا يَلْزقا بك يَتْرُكا بجنبيك يا غيلانُ مثلَ المواسمِ
جعلت لها قرنين فوق شَوَاتها[١] ورَابك منها مَشْقَةٌ في القوائمِ
[الطويل]

فقام ذو الرمة فذهب ولم يُنشد بعدها في المرْبد حتى مات الخياط، قال: وأراد الخياط بقوله هذا قول ذي الرمة:

أقول لدهناويَّةٍ عَوْهَجٍ جرَتْ لنا بين أعلى بُرقة في الصرائمِ
أيا ظبية الوعساء بين جُلاجِلٍ[٢] وبين النقا آأنت أمْ أمُّ سالمِ
هي الشِّبه لولا مِدْرَياها وأذْنُها سواءٌ وإلَّا مَشْقَةٌ في القوائمِ
[الطويل]

فانتبه ذو الرمة لذلك فقال:

أقول بذي الأرْطى[٣] عشيَّة أرْشَقَتْ[٤] إلى الركب أعناقُ الظباء الحواذِلِ[٥]
لأدماءَ من آرام بَينِ سُوَيقة وبين الجبال العُفْر ذات السلاسلِ
أرى فيك من خرقاءَ يا ظبية اللِّوَى مَشابهَ جُنِّبْت اعتلاق الحبائلِ
فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك لولا أنها غيرُ عاطلِ
[الطويل]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت، عن محمد بن سلام، عن أبي الغرَّاف قال:

---

(١) الشوى: قحف الرأس.
(٢) الجُلاجل: موضع.
(٣) الأرطى: مفردها أرطاة، وهي شجرة ثمرها كالعنّاب، مُرَّة تأكلها الإبل غضّة، عروقها حمر.
(٤) أرشق: مدَّ عُنُقه وتطاول.
(٥) الحواذل: المتخلفات عن الركب.

قال ذو الرمة لرؤبة: ما عنى الراعي بقوله:

أنـاخـا بـأشْـوال وظـلا بِـخُـبَّـة قَـلـيـلاً وقـد أقـعـى[١] سُـهـيـلٌ فـعـرَّدا[٢]

[الطويل]

[ما الخُبَّة] فجعل رؤبة يقول: هي كذا، هي كذا، لأشياء لا يقبلها ذو الرمة، فقال له رؤبة: فَمَهْ ويحك، قال: هي الأرضُ بين المُكْلئة وبين المُجْدبة.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عدنان، عن إبراهيم بن نافع.

أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره، فقال له: من أشعر الناس؟ قال: أنا، قال: أفتعلم أحداً أشعر منك؟ قال: لا إلا أن غلاماً من بني عَديّ بن كعب يركب أعجاز الإبل، وينعت الفَلَوات. ثم أتاه جرير فسأله، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه ذو الرمة فقال له: ويحك، أنت أشعر الناس، قال: لا ولكن غلام من بني عقيل يقال له مُزاحم يسكن الرَّوْضات يقول وَحْشيّاً من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله. قال:

وكان ذو الرمة يتشبب بمَيّ بنت طُلْبة بن قيس بن عاصم المِنْقَري، وكانت كثيرةُ أمةً مُولَّدة لآل قيس بن عاصم، وهي أم سلهمة بن بردة اللص الذي قتله سنان بن محسر القشيري أيام محمد بن سليمان فقالت كثيرة:

عـلـى وجـه ميٍّ مَـسْـحَـة مـن مـلاحـة وتـحـت الـثـيـاب الـخـزْيُ لـو كـان بـاديـا

ألـم تـر أنَّ الـمـاء يـخـبـث طـعـمُـه وإن كـان لـون الـمـاء أبـيـض صـافـيـا

[الطويل]

ونَحَلَتْهَا ذا الرمة، فامتعض من ذلك وحلف بجَهْدِ أيمانه ما قالها، قال: وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمذُقها[٣] ثم أقول هذا؟ ثم اطلع على أن كثيرة قالتهما ونحلتهما إياه.

وقال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه قال: حدثني هارون بن سعيد قال: حدثني أبو المسافر الفقعسيّ، عن أبي بكر بن جبلة الفقعسيّ قال:

وقف ذو الرمة في ركب معه على ميّة، فسلموا عليها، فقالت: وعليكم إلا ذا

(١) أقعى: علا وارتفع.
(٢) عرَّد: مال.
(٣) أمذقها: لم أُخلِص ودَّها.

الرمة، فأحفظه ذلك وغمه ما سمع منها بحضرة القوم فغضب وانصرف وهو يقول:

أيا مَيّ قد أشمَتِّ بي ويحَك العِدا وقطَّعت حبلاً كان يا مَيّ باقيا
فيا ميّ لا مرجوع للوصل بيننا ولكنَّ هجرا بيْنَنَا وتَقَاليا
ألمْ تَرَيِنَّ الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء في العين صافيا

[الطويل]

أخبرني الحسن بن علي الأدمي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني ابن النطاح.

عن محمد بن الحجاج الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم، قال: مرّت عليّ ميّةُ وقد أسنّت. فوقفت عليها وأنا يومئذٍ شاب، فقلت: يا مية، ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله حيث يقول:

صوت

أمَا أنت عن ذكراك ميَّة مُقْصِرُ ولا أنت ناسي العهد منها فتذكُرُ
تهيم بها ما تستفيق ودونها حجابٌ وأبوابٌ وستر مُسَتَّرُ

[الطويل]

قال: فضحكت وقالت: رأيتني يا ابن أخي وقد ولَّيْتُ وذهبتْ محاسني، ويرحم اللَّه غيلان، فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القَرَّة في عين المقرور، ولن تبرح حتى أقيم عندك عُذْرَة، ثم صاحت: يا أسماء اخرجي، فخرجت جارية كالمهاة، ما رأيت مثلها، فقالت: أمَا لمن شَبَّب بهذه وهَويَها عُذْرٌ؟ فقلت: بلى، فقالت: واللَّه لقد كنتُ أزمانَ كنتُ مثْلَها أحسنَ منها، ولو رأيتني يومئذٍ لازدريتَ هذه ازدراءكَ إياي اليومَ، انصرفْ راشداً.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني أبو خليفة قال: قال محمد بن سلام:

قال أبو سوَّار الغنوي: رأيت ميّة وإذا بنون لها صغار، فقلت: صِفْها لي، فقال: مَسنونة[1] الوَجْه، طويلة الخدّ، شمَّاء الأنف، عليها وسْمُ جمال. فقالت: ما تلقَّيتُ بأحد من بَنيَّ هؤلاء إلا في الإبل. قلت: أفكانت تنشدك شيئاً

(١) مسنونة الوجه: مخروطة الوجه.

مما قاله ذو الرمة فيها؟ قال: نعم، كانت تَسُحّ سَحًّا ما رأى أبوك مثله.

فأما ابن قتيبة فقال في خبره:

مكثت ميّة زماناً لا ترى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شعره، فجعلت للَّه عليها أن تنحر بَدنة يوم تراه، فلما رأته رجلاً دميماً أسود، وكانت من أجمل الناس، قالت: واسوأتاه وابؤساه واضيعة بَدَنتاه، فقال ذو الرمة:

على وجه ميّ مَسْحة من ملاحة وتحت الثياب الشَّيْنُ[1] لو كان باديا

[الطويل]

قال: فكشفت ثوبها عن جسدها ثم قالت: أشيناً ترى لا أمَّ لك؟ فقال:

ألم تَرَ أنَّ الماء يخبث طَعْمُه وإن كان لون الماء أبيض صافيا

[الطويل]

فقالت: أما ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمت أنْ لا شَيْنَ فيه، ولم يبق إلَّا أن أقول لك هَلُمَّ حتى تذوق ما وراءه. وواللَّه لا ذُقْتَ ذاك أبداً، فقال:

فيا ضيعة الشعْر الذي لَجَّ فانقضى بمَيّ ولم أمْلك ضلالَ فؤاديا

[الطويل]

ثم صَلَح الأمر بينهما بعد ذلك، فعاد لما كان عليه من حبها.

وذكر محمد بن علي بن حفص الجُبيري الحنفي من ولد أبي جُبيرة.

أن النوار بنت عاصم المِنْقرية ـ وأمها ميّة صاحبة ذي الرمة ـ أخبرته، وقد ذكَرَ عندها ذا الرمة وأنشدها قوله في أمها:

هي البُرْء والأسقام والهمُّ والمنى وموت الهوى لولا التنائي المُبَرِّحُ
وكان الهوى بالنأي يُمْحى فَيمَّحى وحُبك عندي يَسْتَجدُّ ويَرْبحُ

[الطويل]

أراد: يزيد كما يزيد الربح، هكذا ذكره الأصمعي:

إذا غيّر النأي[2] المُحبين لم أجد رَسيس[3] الهوى من حُبّ ميّة يَبْرَحُ

[الطويل]

فلما سمعت قوله:

---

(١) الشَّيْن: العيب.

(٢) النأي: البعد.

(٣) رسيس الهوى: الهوى الباطن الخفيّ.

إذا غـيـر الـنـائـي الـمـحـبـيـن

قالت: قبحه اللَّه هو الذي يقول أيضاً:

عـلـى وجـه ميٍّ مَـسـحـة مـن مـلاحـة وتـحـت الـثـيـاب الـشَّـيـن لـو كـان بـاديـا

[الطويل]

فقلت لها: أكانت ميّة جَدَّتَكِ؟ قالت: لا بل أمي، فقلت لها: كم تَعُدِّين؟ قالت: ستين سنة.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، عن محمد بن سلام قال:

كانت مي صاحبة ذي الرمة من ولد طُلْبة بن قيس بن عاصم المنقري، وكانت لها بنت عم من ولد قيس يقال لها كثيرة أم سلهمة، فقالت على لسان ذي الرمة:

عـلـى وجـه ميّ مـسـحـة مـن مـلاحـة

(الأبيات)، فكان ذو الرمة إذا ذكر له ذلك يَمتعض منه ويحلف أنه ما قالها قط.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي الغرّاف الضبي بمثله وقال فيه.

إن كثيرة مولاة لهم، وهي أم سلهمة اللص الذي قتلته خيل محمد بن سليمان واللَّه أعلم.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلّبي عن ابن شبة، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب قال:

كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك، فقيل له: كيف تقول: عُزيرٌ ابنُ اللَّه، أو عُزَيرٌ بن اللَّه. فقال: أكثرهما حروفاً.

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد اللَّه بن مسلم قال:

قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرمة: ارفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه: اكتم عليَّ فإنه عندنا عيب.

أخبرني ابن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن محمد بن أبي بكر المخزومي قال:

قال رؤبة: كلما قلت شعراً سرقه ذو الرمة، فقيل له: وما ذاك؟ قال: قلت:

حـيّ الـشـهـيـق مـيّـتُ الأنـفـاسِ

فقال هو:

يَـطْـرَحْـن بـالـمـهـامـه الأغـفـالِ[١] كـلَّ جَـهِـيـض[٢] لَـثِـق[٣] الـسـرْبـالِ

حَـيّ الـشـهـيـق مَـيِّـت الأوْصـالِ

[الرجز]

فقلت له: فقولُه واللَّه أجودُ من قولك وإن كان سرقه منك، فقال: ذلك أغَمُّ لي.

أخبرني ابن عبد العزيز، عن ابن شبة قال:

قيل لذي الرمة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما واللَّه لئن قيل ذاك ما مَثَلي ومَثَلُه إلَّا شابٌّ صحب شيخاً، فسلك به طُرُقاً ثم فارقه، فسلك الشابُّ بعده شِعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ.

أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس، عن الخرّاز، عن المدائني. وأخبرني به إبراهيم بن أيوب، عن عبد اللَّه بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعي عن عمه.

دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال:

إنما وَضَع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح، وقد مدح بلال بن أبي بُرْدة فقال:

رأيـت الـنـاس يـنـتـجـعـون غَـيْـثـاً فـقـلـت لِـصَـيْـدَحَ انـتـجـعـي بِـلالا

[الوافر]

فلما أنشده قال له: أو لم ينتجعني غَيْرُ صيدح؟ يا غلام أعطه حَبْلَ قَتٍّ لصيدح، فأخجله.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام قال: حدثني أبو الغراف قال:

عاب الحكم بن عوانة الكلبيُّ ذا الرمة في بعض قوله، فقال فيه:

فـلـو كـنْـتَ مـن كَـلْـب صـمـيـمـاً هـجـوتـكُـمْ جـمـيـعـاً ولـكـن لا إخـالـك مـن كَـلْـبِ

(١) الأغفال: المجهولة الخفيَّة.

(٢) الجهيض: الولد الذي يسقط قبل وقت ولادته لغير تمام خلقته.

(٣) اللَّثِق: الرّطب.

ولـكـنـمـا أُخْـبِـرْت أنـك مُـلْـصَـق كـمـا ألْـصِـقَـتْ مـن غـيـرهـا ثُـلْـمـة الـقَـعْـبِ
تَـدَهْـدى فـخـرَّت ثُـلْـمَـةٌ مـن صـمـيـمـه فَـكِـيـفَ بـأخـرى بـالـغِـرَاء وبـالـشَّـعْـبِ
[الطويل]

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام قال: حدثني أبو الغراف قال:

دخل ذو الرمة على بلال بن أبي بردة، وكان بلالٌ رَاويةً فصيحاً أديباً، فأنشده بلالٌ أبياتَ حاتم طيء قال:

لـحـا الـلَّـهُ صُـعـلـوكـاً مُـنـاه وهَـمّـه مـن الـعـيش أن يَـلْـقى لَـبُـوساً ومَـطـعَـمَـا
يـرى الـخِـمْـس تَـعـذيـباً، وإن نـال شَـبْـعَـة يَـبـتْ قـلـبُـه مـن شـدَّة الـهـمِّ مُـبْـهَـمَـا
[الطويل]

هكذا أنشد بلال. فقال ذو الرمة يرى الخَمْصَ تعذيباً، وإنما الخِمْس للإبل، وإنما هو خَمصُ البطن، فمحكَ بلال وكان مَحِكاً[1] وقال: هكذا أنشدنيه رُواة طيء. فرد عليه ذو الرمة، فمحك [بلال]، ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال: كيف تنشدهما؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كلا الوجهين جائز. فقال: أتأخذون عن ذي الرمة؟ فقال، إنه لفصيح وإنّا لنأخذ [عنه] بتمريض، وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو: واللَّه لولا أني أعلم أنك حَطَبْت في حبله[2] وملت مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد إليك اثنان بعده.

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن عمارة عن عقيل قال:

قيل لبلال بن جرير: أي شعر ذي الرمة أجود؟ فقال:

هـل حـبـلُ خـرقـاء بـعـد الـيـوم مَـرْمـومُ

إنها مدينة الشعر.

حدثنا أبو خليفة، عن ابن سلام قال:

كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتَادة من الحسن وابن سيرين، كان يروي عنهما ويروي عن الصحابة، وكذلك ذو الرمة هو دونهما ويساويهما في بعض شعره.

---

(١) المَحِك: اللَّجوج.
(٢) حطبت في حَبْلِهِ: نصرته وأعنته وحميته.

أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن شبة، عن ابن معاوية قال:

قال حماد الراوية قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريبٍ منه، فغمَّ ذلك كثيراً من أهل المدينة، فصنعوا له أبياتاً وهي قوله:

رأى جَمـلاً يـومـاً ولـم يَـرَ قَـبْـلَـهـا ... مـن الـدهـر يـومـاً كـيـف خـلـقُ الأبـاعـرِ[١]

فـقـال شـظـايـا[٢] مـعْ ظـبـايـا[٣] ألالـنـا ... وأجـفـل إجـفـال الـظَّـلِـيـم الـمـبـادِرِ

فـقـلـت لـه لا ذَهْـلَ مِـلْـكَـيْـل بـعـدمـا ... مَـلا نَـيْـفَـق[٤] الـتُّـبَّـان مـنـه بـعَـاذرِ

[الطويل]

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

أخبرني أبو الحسن الأسدي، عن العباس بن ميمون طائع قال: حدثنا أبو عثمان المازني، عن الأصمعي.

عن عنبسة النحوي قال: قلت لذي الرمة وسمعته ينشد ويقول:

وعـيـنـان قـال الـلَّـه كـونـا فـكـانـتـا ... فَـعُـولَـيْـن بـالألـبـاب مـا تـفـعـل الـخَـمْـرُ

[الطويل]

قال: فقلت له: فهلَّا قلت، فعولان؟ فقال: لو قلت: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إلٰه إلا اللَّه واللَّه، أكبر، كان خيراً لك، أي أنك أردتَ القَدر. وأراد ذو الرمة كُونَا فعولين، وأراد عنبسة: وعينان فعولان.

وروى هذا الخبر، هارون بن محمد الزيات، عن محمد بن عبادة، عن الأصمعي عن العلاء بن أسلم فذكر مثله، وحكى أن إسحاقَ بنَ سُويد المُعارضُ له.

وأخبرني علي بن سلمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني عبد الصمد بن المعذَّل قال: حدثني أبي عن أبيه قال:

قدم ذو الرمة الكوفةَ، فوقف يُنشد الناس بالكُنَاسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله:

---

(١) الأباعر: مفردها البعير وهو الجمل البازل والجَذَع والحمار وكل ما يَحمِل.

(٢) الشظايا: مفردها الشظيَّة: القوس وعظمُ الساق.

(٣) الظبايا: مفردها الظبيَّة وهي الأنثى والشاة والبقرة.

(٤) النيفق: الموضع المتَّسِع من السروال.

إذا غيَّر النأْيُ المُحبين لم يَكَدْ رَسيسُ الهوى من حُبِّ ميَّة يَبْرَحُ
[الطويل]

فناداه ابنُ شُبْرُمة: يا غيلان أراه قد بَرَّح. فشَنق[1] ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر، ثم عاد فأنشد قوله:

إذا غير النأي المحبين لم أجد

قال: فلما انصرفتُ حدثت أبي فقال: أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشده، وأخطأ ذو الرمة حين غيّر شعره لقول ابن شُبْرُمة، إنما هذا مثل قول اللَّه عز وجل: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ [النور: ٤٠] وإنما معناه لم يرها ولم يكد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا، عمر بن شبة قال حدثني يحيى بن نُجيم قال:

قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة: علام تعطي ذا الرمة؟ فواللَّه إنه ليَعْمِد إلى مُقَطَّعاتنا فيصلها فيمدحك بها. فقال: واللَّه لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا إسحاق الموصلي عن الأصمعي قال:

قال رجل: رأيت ذا الرمة بمِرْبَد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه بُرْدٌ قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجري على لحيته:

ما بالُ عينك منها الماء ينسكب

فلما انتهى إلى قوله:

تُصْغِي إذا شدَّها بالكُور[2] جانحةً حتى إذا ما استوى في غَرْزها[3] تَثِبُ
[البسيط]

قلت: يا أخا بني تمم، ما هكذا قال عمك، قال: وأي أعمامي يرحمك اللَّه؟ قلت: الراعي، قال: وما قال؟ قال: قلت: قوله:

---

(١) شنق الناقة: كفها بزمامها وشدّ الزِّمام حتى ألصق ذفراها بالرحل.
(٢) الكور: الرحل.
(٣) الغَرز: موضع الرجل عند الركوب حين تنغرز في التراب.

ولا تُـعْـجِـلُ الـمَـرْءَ قـبـل الـوُرو ك[١] وهـي بـرُكْـبـتـه أبْـصَـرُ
وَهِـيَّ إذا قـام فـي غَـرْزهـا كـمـثـل الـسـفـيـنـة أو أوْقَـرُ[٢]
ومُـصـغـيـة خـدَّهـا بـالـزمـ ـام فـالـرأس مـنـهـا لـه أصْـعَـرُ[٣]
حـتـى إذا مـا اسـتـوى طَـبَّـقَـتْ كـمـا طـبَّـق الـمِـسْـحَـلُ[٤] الأغـبـرُ

[المتقارب]

قال فأُرتج عليه ساعة ثم قال: إنه نعت ناقةَ مَلك ونعَتُّ ناقةَ سُوقةٍ. فخرج منها على رؤوس الناس.

فأما السبب بين ذي الرمة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة، فقيل: إنه كان يهواها، وقيل: بل كَادَ بها مَيَّة، وقيل: بل كانت كَحَّالة فداوت عينه فشبب بها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه.

أن زوج ميَّة أمرها أن تسبّ ذا الرمة غَيْرَةً عليها، فامتنعت، فتوعّدها بالقتل، فسبته، فغضب وشبّب بخرقاء العامرية يَكيدُ مَيَّةَ بذلك، فما قال فيها إلا قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات.

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني العتبي، عن هارون بن عتبة قال:

شبب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوًى، وإنما كانت كحَّالةً فداوَت عينه من رَمَد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك فقالت: لي عشر بنات أَيامى، فشَبِّب بي ليرغب الناس فيهن إذا سمعوا أنَّ فيَّ بقيَّةً للتشبيب. ففعل.

أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال:

كان ذو الرمة شبّب بخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة، وكانت تَحُلُّ فَلْجاً ويمرُّ بها الحاجُّ فتقعد لهم تحادثهم وتهاديهم، وكانت تجلس معها فاطمة بنتها ـ فحدثني من رآهما ـ فلم تكن فاطمة مثلها، وكانت تقول: أنا مَنْسَكٌ من مناسك الحجِّ، لقول ذي الرمة فيها:

---

(١) الوروك: هو ثني الورك للنزول من الدابة، أو ثنيه للاستراحة.
(٢) أوْقر: أكثر ثباتاً وصلابة.
(٣) أصعر: مائل مهتزّ.
(٤) المِسحَل: الحمار الوحشي.

تمام الحجّ أن تقف المطايا على خرقاءَ واضعةَ اللِّثَام
[الوافر]

قال ابن سلام في خبره: وأرسلت خرقاء إلى العُجَيْف العقيلي تسأله أن يشبب بها فقال:

صوت

لقد أرسلت خرقاءُ نحوي جَرِيَّها[1] لتجعلني خرقاءُ فيمن أضلَّتِ
وخرقاء لا تزداد إلَّا ملاحة ولو عُمِّرت[2] تعميرَ نوح وجَلَّتِ
[الطويل]

حدثني حبيب بن نصر قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني موهب بن رشيد عمن حدثه قال:

نزل ركبٌ بأبي خرقاء العامرية، فأمر لهم بلبن فسُقُوه، وقصَّر عن شابّ منهم، فأعطته خرقاء صَبُوحها[3] وهي لا تعرفه، فشربه ومضوا فركبوا. فقال لها أبوها: أتعرفين الرجل الذي سقيتِه صبوحك؟ قالت: لا واللَّه. قال: هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل، فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه وابؤساه. ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثاً.

حدثني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة قال:

قال المفضل الضبي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت، فقال لي: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة؟ فقلت: إن فعلتَ فقد بَرَرْتَ، فتوجهنا جميعاً نريدها، فعدل بي عن الطريق قَدْرَ ميل، ثم أتينا أبياتَ شَعَرٍ، فاستفتح بيتاً ففُتح له، وخرجت امرأة طويلة حُسَّانة بها قوة، فسلمت وجلست، فتحادثنا ساعة ثم قالت لي: هل حَجَجت قطّ؟ قلت: غيرَ مرة، قالت: فما منعك من زيارتي؟ أما علمت أني مَنْسَك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعت قول ذي الرمة:

تمامُ الحجّ أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللِّثَام
[الوافر]

أخبرنا وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: حدثنا مصعب الزبيري قال:

---

(١) الجَريّ: الرسول.
(٢) عُمِّرَت: طال عمرها وعاشت كثيراً.
(٣) الصَّبوح: شراب الصباح.

شبب ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة.

قال هارون بن محمد الزيات: حدثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن إبراهيم قال حدثني محمد بن يعقوب عن أبيه قال:

رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانها وإن في ديباجة[١] وجهها لبقيَّة، فقلتُ: أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمة، فقالت: اجتاز بنا في رَكب ونحن عِدَّةُ جوار على بعض المياه، فقال: اسْفِرْن، فسَفَرْنَ غيري، فقال: لئن لم تَسْفِري لأفضحنَّك، فسفرت، فلم يزل يقول حتى أزبد ثم لم أره بعد ذلك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار، [قال: حدثني موهوب بن رشيد قال: حدثني جدي قال:

كنت مع خرقاءِ ذي الرمة إذ نزل بأبيها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسُقُوه، وقصّر اللّبن عن شاب منهم، فأمرت له خرقاء بغبُوقها، فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء، أتعرفين من سقيت غبوقك[٢] اليوم؟ قالت: لا واللَّه ما أعرفه، قال: ذاك ذو الرمة، فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه، ودخلت خدرها.

قال الزبير]: وحدثني عبد اللَّه بن إبراهيم الجمحي قال: حدثنا أبو الشبل المعديّ قال:

كانت خرقاء البَكَّائية أصْبَحَ من القَبَسِ، وبَقِيَتْ بقاءً طويلاً حتى شبّب بها العُجيف العقيلي.

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، عن عليّ بن صالح بن سليمان، عن صباح بن الهُذيل أخي زُفَرَ بن الهذيل قال:

خرجت أريد الحج، فمررت بالمنزل الذي تنزله خرقاء فأتيتها، فإذا امرأة جَزْلة، عندها سِمَاطان[٣] من الأعراب تحدثهم وتناشدهم، فسلمتُ فردَّتْ ونَسَبَتْني[٤]، فانتسبت لها وهي تُنْزلني حتى انتسبت إلى أبي، فقالت: حسبُك أكرمْتَ ما شِئْت، ما اسمك؟ قلت: صباح، قالت: وأبو مَنْ؟ قلت: أبو المُغَلِّس قالت: أخذت أول الليل وآخره، قال: فما كانت لي همة إلا الذهاب عنها.

(١) ديباجة الوجه: زينته وجماله.
(٢) الغَبوق: شراب العشيّ.
(٣) السِّماط: الصفّ.
(٤) نسبتني: سألتني عن نسبي وأصلي.

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطاح: حدثني محمد بن الحجَّاج الأسدي التميمي ـ وما رأيت تميميّاً أعلم منه ـ قال: حججت فلما صرت بمَرَّان متصرفاً، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له، فجئته فاستنشدته، فقال لي: إليك عني فإني مشغول عنك، وألححت عليه فقال: أرشدك إلى بعض ما تُحِبّ، انظر إلى ذلك البيت الذي يلقاك فإن فيه حاجتك، هذا بيت خرقاءِ ذي الرمة، فمضيت نحوه فَطوَّحت بالسلام من بعيد، فقالت: ادْنُهْ، فدنوت فقالت: إنك لَحضَريٌّ فمن أنت؟ قلت: من بني تميم، وأنا أحسب أنها لا معرفة لها بالناس، قالت: من أي تميم؟ فأعلمتها، فلم تزل تُنْزِلني حتى انتسبت إلى أبي، فقالت: الحجَّاج بن عُمير بن يزيد؟ قلت: نعم، قالت: رحم اللَّه أبا المُثَنَّى، قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عُمَير بن يزيد، قلت: نعم فعاجلته المنية شابّاً، قالت: حياك اللَّه يا بُنَيَّ وقرَّبك، من أين أقبلت؟ قلت: من الحج، قالت: فما لك لم تَمُرَّ بي وأنا أحد مناسك الحج، إن حجَّك ناقص فأقم حتى تَحجّ أو تُكَفِّر بعتْقٍ، قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعت قول غيلان عمك:

تمامُ الحجّ أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللِّثام

[الوافر]

قال: وكانت وهي قاعدةٌ بفناء البيت كأنها قائمة من طولها، بيضاء شَهْلاء[1] فخمة الوجه، قال: فسألتها عن سنها فقالت: لا أدري، إلا أني كنت أذكر شَمِرَ بنَ ذي الجَوْشن حين قَتَل الحسينَ عليه السلام، مرَّ بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسمها في قومه، قالت: وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمَالات، قال: ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت: هيهات يا عمَّة، قد ذهب ذلك منك، قالت: لا تقل يا بني، أما سمعت قول عُجَيف فيّ:

وخرقاءُ لا تزداد إلَّا ملاحة ... ولو عُمِّرت تعمير نوح وجَلَّتِ

[الطويل]

ثم قالت: رحم اللَّه ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة، وعذب المنطق، حسن الوصف، مقارب الرصف، عفيف الطرف، فقلت لها: لقد أحسنتِ الوصف، فقالت: هيهات أن يدركه وصْفٌ، رحمه اللَّه ورحم من سماه اسمَه، فقلت: ومن سماه؟ قالت: سيد بني عدي الحُصَين بن عبدة بن نُعيم. ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة:

---

(١) الشهلاء: التي يخالط سواد عينيها زرقة.

لـقـد أصـبَـحْـتَ فـي فَـرْعَـي مَـعَـدٍّ مـكـانَ الـنـجـم فـي فَـلَـكِ الـسـمـاءِ
إذا ذُكِـرَتْ مـحـاسـنُـه تَـذرَّتْ بـحـارُ الـجـود مـن نـحـو الـسـمـاءِ
حُـصَـيْـنٌ شـاد بـاسـمـك غـيـرَ شَـكٍّ فـأنـت غـيـاثُ مَـحْـل بـالـفِـنـاءِ
إذا ضَـنَّـتْ[1] سـحـابـةُ مـاءِ مُـزْنٍ تَـثُـجُّ[2] بـحـار جـودك بـارتـواءِ
لـقـد مُـطِـرتْ بـإسـمـك أرضُ قَـحْـطٍ كـمـا مـطـرت عـديٌّ بـالـثـراءِ

[الوافر]

فقلت: أحسنت يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إي وربي، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر اللَّه لك يا خرقاء نعمةً رَبَّيتِ شُكْرَها من ذِكْرِها، فقالت: أثْقَلَنا حَقُّها ثم قالت: اللَّهم غُفْرانك، هذا في اللفظ ونحتاج إلى العمل.

أخبرني جحظةُ عن حماد بن إسحاق عن أبيه، عن ابن كُناسة، عن خيثم بن حجيَّة العِجلي قال:

حدثني رجل من بني النجار قال: خرجت أمشي في ناحية البادية، فمررت على فتاة قائمة على باب بيت، فقمت أكلّمها، فنادتني عجوز من ناحية الخباء: ما يقيمك على هذا الغزال النَّجدّي، فواللَّه ما تنال خيراً منه ولا ينفعك، قال: وتقول هي: دَعِيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة:

وإن لـم يـكـن إلَّا مُـعَـرَّسُ سـاعَـة قَـلـيـلاً فـإنـي نـافـعٌ لـي قـلـيـلُـهـا

[الطويل]

فسألت عنهما فقيل لي: العجوز خرقاءُ ذي الرمة والفتاة بنتها.

وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك، وله أربعون سنة، وقد اختلفت الرواة في سبب وفاته.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، عن يعقوب بن السكيت.

أنه بلغ أربعين سنة وفيها توفي وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك، ودفن بحُزْوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني ابن أبي عديّ قال:

---

(١) ضنَّت: بخلت.
(٢) تَثُجُّ: تسيل، تنهمر.

قال ذو الرمة: بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين.

قال ابن سلام: وحدثني أبو الغراف أنه مات وهو يريد هشاماً وقال في طريقه في ذلك:

بلاد بها أهلون لستُ ابنَ أهلها وأخرى بها أهلون ليس بها أهلُ

[الطويل]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسدي قال: حدثني جبر بن رياط قال:

أنشد ذو الرمة الناس شعراً له وصف فيه الفلاة وهو بالثَّعلبيَّة، فقال له حَلْبس الأسدي: إنك لتنعت الفلاة نعتاً لا تكون مَنِيَّتُك إلا بها. قال: وصَدَرَ ذو الرمة على أحد جَفْرَيْ بني تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة، فلما أشرف على البصرة قال:

إنّي لَعَاليها وإني لخائفٌ لما قال يوم الثَّعْلَبِيَّة حَلْبَسُ

[الطويل]

قال: ويقال: إن هذا آخر شعر قاله، فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ولم تكن تنفر منه، وعليها شرابه وطعامه، فلما دنا منها نفرت حتى مات، فيقال إنه قال عند ذلك:

ألا أبْلِغ الفتيانَ عني رسالةً أهينوا المطايا هُنَّ أهْلُ هوانِ
فقد تركتْني صَيْدحٌ بمَضَلَّةٍ لسانيَ[1] مُلْتَاثٌ من الطَّلَوَانِ[2]

[الطويل]

قال هارون: وأخبرني أحمد بن محمد الكلابي بهذه القصة، وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم، فركبها أخوه وقصّ أثره حتى وجده ميتاً وعليه خِلَعُ الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن الرياشي، عن الأصمعي.

عن أبي الوجيه قال: دخلت على ذي الرمة وهو يَجُود بنَفْسه فقلت له: كيف تَجِدُك؟ قال: أجِدُني واللَّه أجدُ ما لا أجِدُ أيام أزعمُ أني أجد ما لم أجد حيث أقول:

---

(١) مُلتاث: ملوّث.

(٢) الطّلوان: بياض يعلو اللسان من عطش أو مرض.

كـأنـي غـداة الـزُّرْق يـامـيّ مُـدْنَـفٌ[١] يَـجُـود بـنـفـس قـد أحَـمَّ[٢] حِـمَـامُـهـا
حِـذارَ اجـتـذامِ الـبَـيْـن أقْـرانَ نِـيَّـة مُـصـابٌ ولـوْعـاتُ الـفـؤاد انـجـذامُـهـا[٣]
[الطويل]

قال: وكان آخر ما قاله:

يـا ربّ قـد أشـرفَـتْ نـفـسـي وقـد عـلـمـتْ عـلْـمـاً يـقـيـنـاً لـقـد أحـصـيْـتَ آثـاري
يا مُخرج الرُّوح من جسمي إذا احْتُضِرَتْ وفـارِجَ الـكـرب زَحْـزِحْـنـي عـن الـنـارِ
[البسيط]

قال أبو الوجيه: وكانت مَنِيَّتُه هذه في الجُدَرِيّ، وفي ذلك يقول:

ألـمْ يـأتـهـا أنـي تَـلَـبَّـسْـتُ بـعـدهـا مُـفَـوَّفَـةً صَـوَّاغُـهـا غـيـرُ أخـرقِ
[الطويل]

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزدي قال: حدثني جَهمْ بن مسعدة قال: حدثني محمد بن الحجاج الأسدي عن أبيه قال:

وردت حجْراً وذو الرمة به، فاشتكى شكايته التي كانت منها مَنيَّته، وكرهت أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته، وكنت أتعهده وأعوده في اليوم واليومين، فأتيته يوماً وقد ثَقُل فقلت: يا غيلان، كيف تجدك؟ فقال: أجدني واللَّه يا أبا المثنى اليوم في الموت، لا غداة أقول:

كـأنـي غـداة الـزُّرق يـا مـيّ مـدنـف يـكـيـد بـنـفْـسٍ قـد أحَـمَّ حِـمـامُـهـا
[الطويل]

فأنا واللَّه الغداةَ في ذلك لا تلك الغداة.

قال هارون بن الزيات: حدثني موسى بن عيسى الجعفري قال: أخبرني أبي قال: أخبرني رجل من بني تميم قال:

كانت ميتة ذي الرمة أنه اشتكى النَّوْطة[٤]، فوجعها دهراً فقال في ذلك:

ألـفْـت كـلابَ الـحـيِّ حـتـى عـرفـنـنـي ومُـدَّتْ نِـسَـاج الـعَـنـكـبـوت عـلـى رَحْـلـي
[الطويل]

---

(١) مُدْنَفٌ: يلازمه المرض والإعياء.
(٢) أحمَّ: حضر وحان وقته.
(٣) الانجذام: الانقطاع.
(٤) النَّوْطة: داء أو نوع من الورم.

قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود قد أجِدُني: تماثَلْتُ وخفَّت الأشياءُ عندنا واحتجنا إلى زيارة بني مروان، فهل لك بنا فيهم؟ فقال له: نعم، فأرسله إلى إبله ليأتيه منها بلبن يتزوّده، وواعده مكاناً، وركب ذو الرمة ناقته، فقمصت به وكانت قد أُعفيت من الركوب، وانفجرت النَّوْطَة التي كانت به، قال: وبلغ موعد صاحبه وجُهِد فقال: أردنا شيئاً وأراد اللَّه شيئاً، وإذا العلة التي كانت به قد انفجَرت. فأرسل إلى أهله فصلَّوا عليه ودفن برأس حُزْوى، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

نسخت من كتاب عبيد اللَّه بن محمد اليزيدي: قال أبو عبيدة. وذكر هارون بن الزيات، عن محمد بن علي بن المغيرة عن أبيه، عن أبي عبيدة عن المنتجع بن نبهان قال:

لما احتُضِر ذو الرمة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض والوِهاد، قالوا: فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء؟ قال: فأين أنتم من كُثْبان حُزْوَى؟ قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال. قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل؟ قال: فأين الشجَر والمَدر والأعواد؟ قال: فصلينا عليه في بطن الماء ثم حملناه، وحملنا له الشجر والمدر على الكِباش وهي أقوى على الصعود في الرمل من الإبل، فجعلوا قبره هناك ودَثَّروه بذلك الشجر والمدر ودلَّوْه في قبره، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدّوِّ[1] على مسيرة ثلاث.

قال هارون: وحدثني محمد بن صالح العدوي قال: ذكر أبو عمران المرادي.

أن قبر ذي الرمة بأطراف عَنَاقَ من وسط الدهناء مقابل الأواعس، وهي أجْبُلٌ شَوارعُ يقابلن الصَّريمة، صريمة النَّعَام، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرِّباب.

قال هارون: وحدثني هارون بن مسلم، عن الزِّيادي عن العلاء بن بُرْد قال:

ما كان شيء أحبَّ إلى ذي الرمة إذا ورد ماء من أن يَطْوِيَ ولا يَسْقِيَ. فأخبرني مُخبر أنه مرّ بالجَفْر وقد جَهَدَه العطش، قال: فسمعته يقول:

يا مخرج الروح من جسمي إذا احْتضِرتْ وفارجَ الكرْبِ زحزحني عن النارِ

[البسيط]

ثم قضى.

(١) الدّو: أرض بين مكة والبصرة وهي ملساء ليس فيها رمل ولا جبل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، عن عيسى بن عمر قال:

كان ذو الرمة ينشد الشعر، فإذا فرغ قال: واللَّه لأكسعنَّك[1] بشيء ليس في حسابك: سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إلٰه إلا اللَّه واللَّه أكبر.

أخبرني الحسن بن علي ووكيع قالا: حدثنا أبو أيوب قال: حدثني أبو معاوية الغلابي قال:

كان ذو الرمة حسن الصلاة حسن الخشوع فقيل له: ما أحسن صلاتك فقال: إن العبد إذا قام بين يدي اللَّه تبارك وتعالى لحقيق أن يخشع.

نسخت من كتاب عبيد اللَّه اليزيدي قال: حدثنا عبد الرحمن عن عمه، عن أبي عمرو بن العلاء قال:

كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيراً إلى منزلي، فقال لي يوماً وقد بلغ منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرمة:

إلـى الـلَّـه أشـكـو لا إلـى الـنـاس أنـنـي ولَـيْـلَـى كـلانـا مـوجـع مـات وافِـدُهْ

[الطويل]

فقلت له: من ليلى؟ فقال: بنت أخي ذي الرمة.

(١) أكسعَنَّك: أي أدفعك أو أرميك.

ذكر خبر إبراهيم
في هذه الأصوات الماخورية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة.

عن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: صنعت لحناً فأعجبني وجعلت أطلب له شعراً فعسر ذلك عليّ، فأُرِيت في المنام كأنَّ رجلاً لقيني فقال لي: يا إبراهيم أوَقَدْ أعياك شِعْرٌ لغنائك هذا الذي تُعْجَب به؟ قلت: نعم، قال: فأين أنت من قول ذي الرمة:

ألا يا اسْلَمي يا دارَ مَيّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلّاً بجَرْعَائك القَطْرُ

[الطويل]

قال: فانتبهت فرحاً بالشعر، فدعوت من ضرب عليّ فغنيته، فإذا هو أوفق ما خلق اللَّه، فلما عملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة نَبَّهْتُ عليه وعلى شعره، فصنعت ألحاناً ماخورية منها:

أمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سلامٌ عليكما هل الأزْمُنُ اللائي مَضَيْنَ رَواجعُ

[الطويل]

وغنيت بها الهادي فاستحسنها وكاد يطير فرحاً، وأمر لي لكل صوت بألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا يا اسْلَمي يا دار ميّ على البِلى ولا زال منهلّاً بجَرْعائك القَطْرُ
ولو لم تكوني غير شَامٍ بقَفْرَةٍ تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفيَّةٌ كُدْرُ

[الطويل]

عروضه من الطويل وقوله: يا اسلمي هاهنا نداء، كأنه قال: يا در ميّ

اسلمي، ويا هذه اسلمي، يدعو لها بالسلامة، ومثل قول اللَّه عز وجل: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] فسره أهل اللغة هكذا كأنه قال يا قوم اسجدوا للَّه. وميّ ترخيم ميّة إلا أنه أقامه هاهنا مقام الاسم الذي لم يُرَخَّم. فنونه، وقوله: على البلى، أي اسلمي وإن كنت قد بَليت، والمُنْهَلُّ: الجاري، يقال: انهلَّ المطر انهلالاً إذا سال. والجرعاء والأجرع من الرمل: الكثير الممتد، والشام: موضع يخالف لون الأرض، وهو جمع واحدته شامة، والقفر: ما لم يكن فيه نبات ولا ماء، تَجُرُّ بها الأذيالَ صيفيةٌ، يعني الرياحَ، والصيفية: الحارة، وأذيالها؛ مآخيرها التي تسفّي التراب على وجه الأرض شبهها بذيل المرأة وعني بها أوائلها، والكُدْر: التي فيها الغبرة من القَتَام والفِجَاج فهي تُعَفِّي الآثار وتدفنها.

غناه إبراهيم الموصلي ماخوريّاً بالوسطى، ومنها:

صـوت

أمـنـزلَـتَـيْ مَـيٍّ سـلامٌ عـلـيـكـمـا ... هـل الأزمُـنُ الـلائـي مـضـيـن رواجـعُ
وهل يَرْجعُ التسليم أو يكشف العمى ... ثـلاثُ الأثـافـي والـديـارُ الـبـلاقـعُ
تـوهَّـمْـتُـهـا يـومـاً فـقـلـت لـصـاحـبـي ... ولـيـس بـهـا إلَّا الـظـبـاءُ الـخَـواضـعُ
ومَـوْشِـيَّـةٌ سُـحْـمُ الـصَّـيـاصـي كـأنـهـا ... مُـجَـلَّـلَـةٌ حُـوٌّ عـلـيـهـا الـبـراقـعُ

[الطويل]

عروضه من الطويل، غناه إبراهيم ماخورياً بالوسطى.

الأزمن والأزمان جمع زمان، والعمى: الجهالة، والأثافي الثلاث: هي الحجارة التي تنصب عليها القِدْر واحدتها أُثْفِيَّة، والخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رؤوسها، والموشية يعني البَقَر، والصياصي: القرون واحدتها صِيصِيَة والمجلّلة: التي كأنّ عليها جِلَالاً سُوداً، والحُوَّةُ: حمرة في سواد.

ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله:

صـوت

قِـف الـعـيـسَ نـنـظـر نـظـرة فـي ديـارهـا ... وهـل ذاك مـن داء الـصـبـابـة نـافـعُ
فـقـال أمـا تَـغْـشـى لـمـيَّـةَ مـنـزلاً ... مـن الأرض إلَّا قـلـت هـل أنـا رابـعُ

وقــلَّ لأطــلالٍ لــمــيّ تــحــيَّــةٌ تُــحَــيَّــا بــهــا أو أن تُــرِشَّ الــمــدامــعُ

[الطويل]

العيس: الناقة، والرابع: المقيم، وقلَّ لأطلال: أي ما أقل لأطلال، أي ما أقل لهذه الأطلال ما أفعلُه، وتُرِشُّ المدامعُ أي تُكثر نَضْحَها الدموعَ.

وغناه إبراهيم الموصلي ماخورياً.

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العدوي عن الحرمازي قال:

مرّ الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد:

أمــنــزلــتَــيْ مــيٍّ ســلام عــلــيــكــمــا

فلما فرغ قال له: يا أبا فراس كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً، قال: فما أقعدني عن غاية الشعر؟ قال: بكاؤك على الدِّمَن ووصْفُك القَطَا وأبوالَ الإبل.

حدثني ابن عمار والجوهري وحبيب المهلبي، عن ابن شبة، عن إسحاق الموصلي.

عن مسعود بن قند قال: ذاكَرْنَا ذا الرمة يوماً، فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه، قال: كان حُلْوَ العينين حسن النغمة، إذا حدث لم نسأم حديثه، وإذا أنشدك بربر وجَشَّ صَوْتُه، جمعني واياه مَرْبَع مرة فقال لي: هَيَا عصمة، إن ميّة من مِنْقَر، ومنْقَرٌ أخبث حيٍّ وأقفاه لأثر، وأثبته في نظر، وأعلمه بشَرّ، وقد عرفوا آثار إبلي، فهل عندك من ناقة نَزْدَارُ عليها ميَّة؟ قلت: إي واللَّه، عندي الجوذر بنت يمانِيَّة الجَدليّ. قال: فعَلَيَّ بها، فأتيته بها، فركب وَرَدفْتُه، فأتينا محلّه ميّة، والقومُ خُلوفٌ، والنساء في الرِّحال، فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى ميّ، وأنخنا قريباً وأَتيناهن، فجلسنا إليهن، فقالت ظريفةٌ منهن: أنشدنا يا ذا الرمة، فقال لي: أنشدهن يا عصمة، فأنشدته قصيدته التي يقول فيها:

نــظــرت إلــى أظــعــان مَــيٍّ كــأنــهــا ذُرَا الــنــخــل أوْ أثْــلٌ تــمــيــل ذوائــبُــهْ

فــأســبــلَــتِ الــعــيــنــانِ والــقَــلْــبُ كــاتــمٌ بــمُــغْــرَورِقٍ نَــمَّــتْ عــلــيــه سَــواكــبُــهْ

بــكــاء فَــتــىً خــاف الــفِــراقَ ولــم تُــجِــلْ جــوائــلَــهــا أســرارُه ومــعــاتــبُــهْ

[الطويل]

قالت الظريفة: فالآنَ فلْتُجِلْ، ثم أنشدتُ حتى أتيت على قوله:

وقــد حــلــفــتْ بــالــلَّــه مــيَّــةُ مــا الــذي أُحَــدِّثُــهــا إلَّا الــذي أنــا كــاذبُــهْ

إذاً فـرمـانـي الـلَّـهُ مـن حـيـث لا أرى ولا زال فـي أرضـي عَـدوٌّ أحـاربُـهْ

[الطويل]

فقالت ميّة: ويحك يا ذا الرمة، خَفِ اللَّه وعواقبه، ثم أنشدتُ حتى أتيت على قوله:

إذا سَـرَحَـتْ مـن حُـبِّ مـيٍّ سَـوارحٌ عـلـى الـقـلـب أبَّـتْـه جـمـيـعـاً عـوازبُـهْ

[الطويل]

فقالت الظريفة: قتلتِه قتلك اللَّه، فقالت ميّة: ما أصحّه وهنيئاً له، فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يَطير بلحيتي، ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

إذا نـازعَـتْـك الـقـولَ مـيَّـةُ أوْ بـدا لـك الـوجْـهُ مـنـهـا أو نـضـا الـدرْعَ سـالـبُـهْ

فـمـا شِـئْـتَ مـن خـدٍّ أسـيـلٍ ومَـنْـطِـقٍ رخـيـمٍ ومـن خَـلْـقٍ تَـعَـلَّـل جـادبُـهْ

[الطويل]

فقالت الظريفة: فقد بدا لك الوجهُ وتُنُوزع القولُ فمن لنا بأن ينضو الدرعَ سالبه، فقالت لها ميَّة: قاتلك اللَّه، فماذا تأتين به، فتضاحكت الظريفة وقالت: إن لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما، فقامت وقمن معها، وقمت فخرجت وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما، فواللَّه ما رأيته تحرَّك من مكانه الذي خلَّفته فيه حتى ثاب أوائلُ الرجال، فأتيته فقلت: انهض بنا فقد ثاب القوم، فودّعها فركب وردفته وانصرفنا، ومنها:

صـوت

إذا هـبَّـت الأرواح مـن أي جـانـب بـه أهـلُ مَـيٍّ هـاج قـلـبـي هُـبُـوبُـهـا

هـوًى تـذرِفُ الـعـيـنـان مـنـه وإنـمـا هَـوَى كـلّ نـفـس حـيـث كـان حـبـيـبُـهـا

[الطويل]

الغناء لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن الهشامي.

صـوت

إنـي تُـذَكـرنـي الـزُّبـيـر حـمـامـةٌ تَـدْعُـو بـمـجـمـع نـخـلـتـيـن هـديـلَا

أفَـتَـى الـنـدى وفـتـى الـطـعـان قـتـلـتـمـو وفَـتَـى الـريـاح إذا تَـهُـبُّ بَـلـيـلَا

لـو كـنـتَ حُـرّاً يـا ابْـن قَـيْـن مُـجَـاشـع شَـيَّـعْـتَ ضَـيْـفَـك فَـرْسَـخـاً أو مـيـلَا
[الكامل]

وفي أخرى: فَرْسَخَيْن وميلا.

قـالـت قـريـشٌ مـا أذَلَّ مُـجـاشِـعـاً جـاراً وأكْـرَمَ ذا الـقَـتِـيـلَ قَـتِـيـلَا
[الكامل]

الشعر لجرير يهجو الفرزدق ويعيره بقتل عشيرته الزُّبيْرَ بنَ العَوَّام يوم الجمَل.

والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

الفهرس العام

فهرس المحتويات

خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين ٥
نسبة الأصوات التي في هذا الخبر ٨
خالد بن الحارث المخزومي وبشرة ١٠
أخبار لبيد في مرثية أخيه ١٥
ذكر خبر العباس بن الأحنف وفوز ٢٢
ذكر بذل وأخبارها ٢٨
نسبة هذا الصوت ٣١
أخبار كعب بن زهير ٣٣
أخبار ابن الدمينة ونسبه ٤٠
نسب المقنع الكندي وأخباره ٥٠
خبر لإسحاق وابن هشام ٥٢
نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره ٥٦
يوم بعاث: ٥٦
خبر مقتل حجر بن عدي ٦٦
رجع الحديث إلى سياقه الأول ٦٩
أخبار لابن أبي ربيعة ٧٩
أخبار عَزّة الميلاء ٨٣
[نسبة هذا الصوت] ٨٧
نسبة هذا الصوت ٩٢
ذكر نسب الربيع بن زياد وبعض أخباره وحرب داحس والغبراء ٩٤
خبر ليزيد بن معاوية ١١٢
ذكر شريح ونسبه وأخباره ١١٦
خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها ١٢٠
أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص ١٢٣

أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه ١٢٧
أخبار زيد الخيل ونسبه ١٣٧
عروة بن زيد الخيل ١٤٥
حريث بن زيد الخيل ١٥٣
ابن قيس الرقيات ١٥٤
ذكر فند وأخباره ١٥٨
أخبار نبيه بن الحجاج ونسبه ١٦٠
حلف الفضول ١٦٥
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ١٧٣
نسب أميَّة بن أبي الصّلت وقدوم الحبشة إلى اليمن وطردهم ١٧٥
قدوم الحبشة إلى اليمن: ١٧٥
هوذة بن علي ويوم الصفقة ١٨٥
[ذكر الخبر في ذلك] ١٨٨
ذكر أبي عطاء السندي ١٩١
ذكر خالد ورملة وأخبارهما ٢٠١
ولادة خالد: ٢٠٢
خالد ومعاوية بن مروان: ٢٠٦
خبر للأحوص ٢٠٨
ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصَّة بنت الجُودِيّ ٢١١
أخبار حاتم ونسبه ٢١٦
ذكر ذي الرمَّة وخبره ٢٣٦
ذكر خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية ٢٦٨
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٢٦٨
فهرس المحتويات ٢٧٢